مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة الخامسة والعشرون . العدد 270 . صفر 1431 هـ . فبراير 2010 م

عوامل ظهور
فكر الإرجاء
والتكفير

حوار مع
العلاَّمة
الشيخ
شعيب
الأرنؤوط

# مستقبل السودان
## ومهمة الدعاة وأهل الرأي

الرباعية
الإيرانية
في المرمى
الأفغاني

رسالة إلى
علماء مصر
ودعاتها

بكة
ولو كره
الكافرون

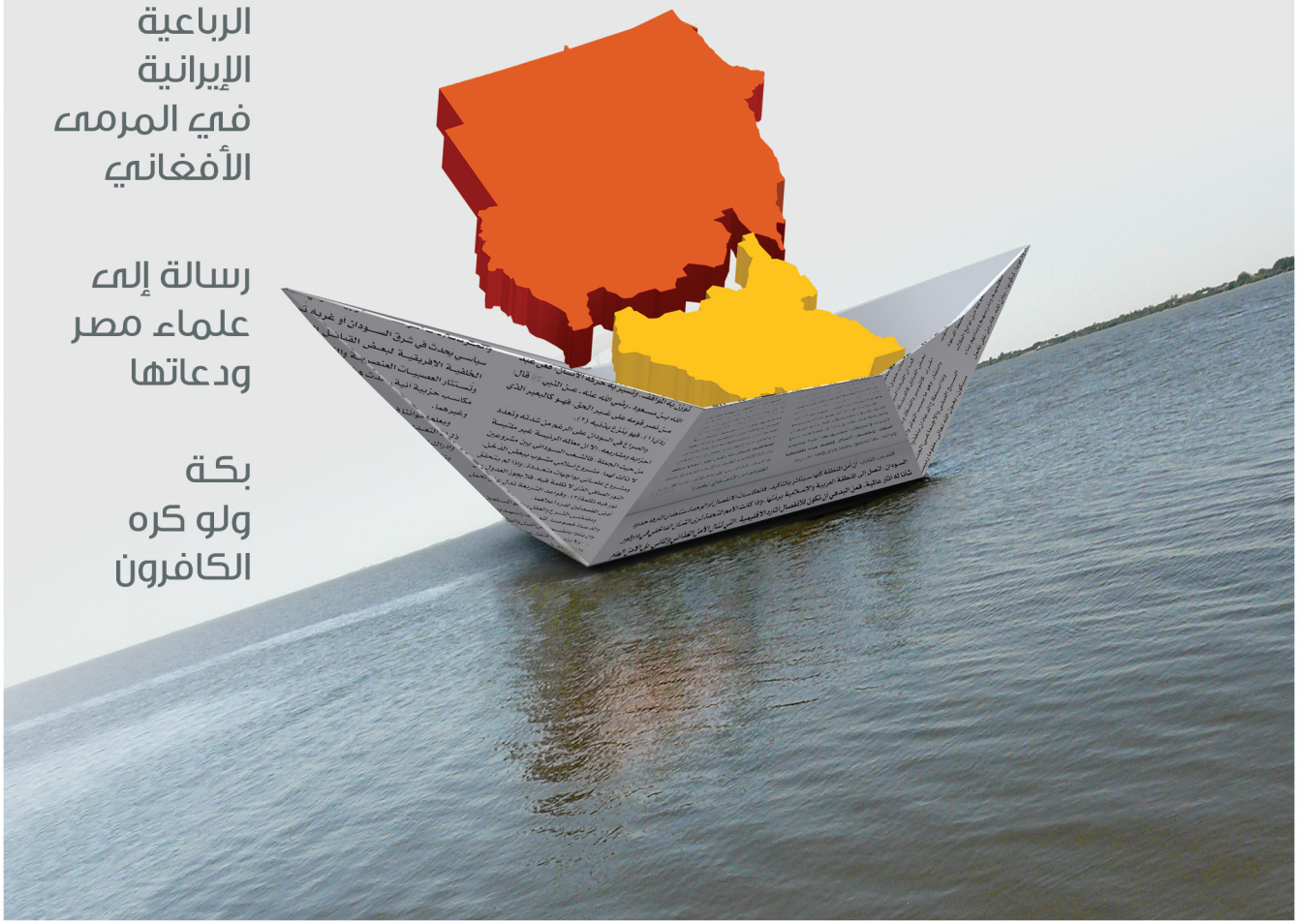

سعر العدد:السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . مصر ٥ جنيهات . المغرب ١٢ درهماً . قطر ١٠ ريالات . اليمن ٣٠٠ دينار . السودان ١٥٠ ريالاً . سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة . الأردن ٧٥ فلسً . الإمارات العربية ١٠ دراهم . البحرين دينار واحد . فلسطين نصف دولار أمريكي

# لأول مرة في المنطقة الجنوبية

## يعلن مستشفى أبها الخاص
## عن افتتاح

## الوحدة التخصصية لأمراض وجراحة القولون والشرج و المستقيم

**لتشخيص وعلاج :**

- ☆ البواسير بواسطة الأشعة تحت الحمراء .
- ☆ الشرخ الشرجي باستخدام حقن ( بوتكس ) بدون جراحة .
- ☆ الناسور العصعصي والشرجي بأحدث تقنية طبية .

( الكشف المبكر لأورام القولون والمستقيم )

**تحت إشراف الدكتور / الحسن النعمي**

**استشاري الجراحة العامة - جراحة المناظير - وجراحة القولون والمستقيم**

## كما يتشرف المستشفى بافتتاح ..

# الوحدة التخصصية لأمراض وجراحة الثدي

**وتقوم هذه الوحدة بمعالجة :**

- ✱ استئصال الورم دون الحاجة للاستئصال الكامل للثدي .
- ✱ استئصال أنسجة الثدي مع الحفاظ على الجلد .
- ✱ إجراء عمليات الغدد الحارسة لأورام الثدي .
- ✱ الفحص المبكر لأورام الثدي بأحدث الطرق .

**تحت إشراف الدكتور / محمد سعد القحطاني**

**استشاري جراحة الأورام ورائد جراحة أورام الثدي**

**استشاري الجراحة العامة - المناظير - جراحة الكبد والبنكرياس وزراعة الأعضاء**

مع تمنياتنا لكم بدوام الصحة والعافية

ABHA PRIVATE HOSPITAL

# مكتبة سلسبيل

## أحدث الإصدارات

ولدينا الكثير إن شاء الله تعالى

العنوان شارع العزيز بالله - حدائق الزيتون - القاهرة ت: ف ٠٠٢٠٢٢٤٥٢٢٩١٩ / ٠٠٢٠٢٠١٠٦٧٦١٢١٩


نتشرف بزيارتكم لنا في جناحنا بمعرض القاهرة الدولي بسريا ٤

# الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

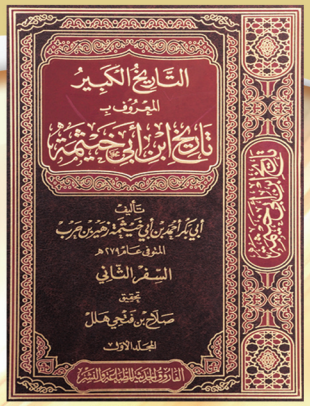


السفر الثانى والثالث (٦/١)

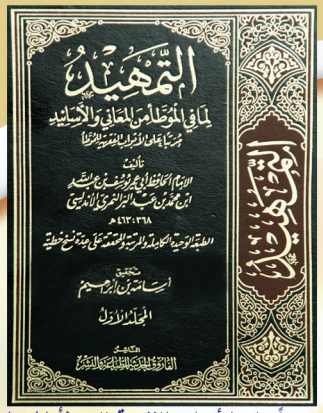


مرتباً على الأبواب الفقهية للموطأ (١٨/١)

قمنا بتحقيقه على عدة نسخ خطية وقد تفردت طبعتنا بالمقابلة على ثلاث قطع من نسخة دار الكتب المصرية وهي نسخة متقنة بها زيادات هامه كما قمنا بالحكم على جميع الاثار المرفوعه والموقوفه

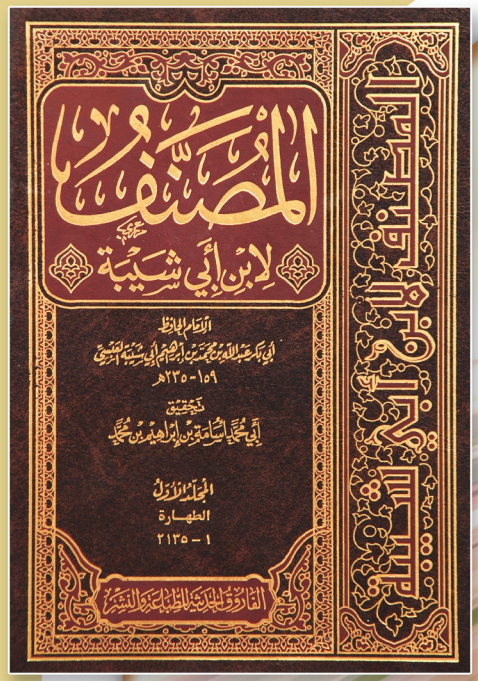


(١٥/١)

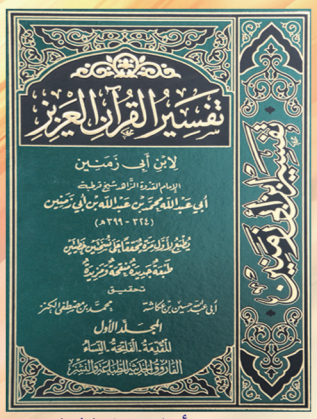


يصدر لأول مرة (٤/١)

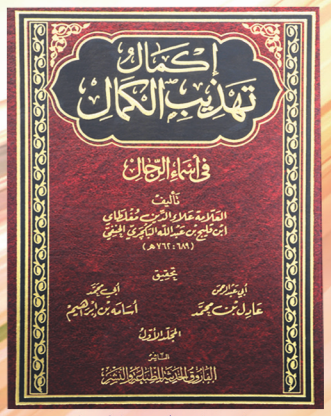


تفردنا بطبعه (١٢/١)

## أحدث الإصدارات

سلسلة السؤالات الحديثية رقم (١٩)

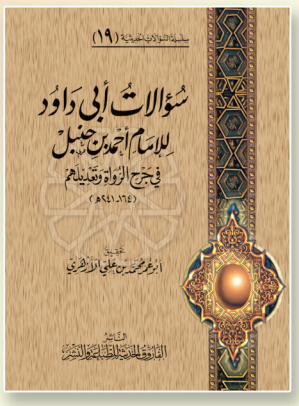


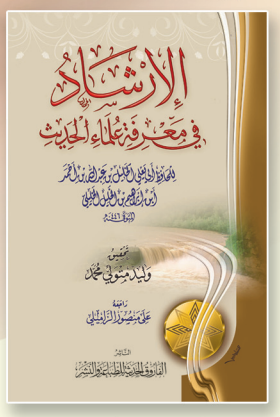


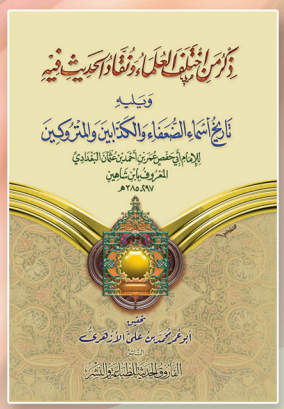


سلسلة الرسائل الحديثية رقم (١)

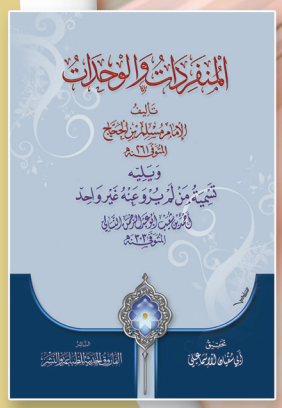



العنوان

خلف ٦٠ شارع راتب باشا - حدائق شبرا - القاهرة

هاتف ٢٤٣٠٧٥٢٦ فاكس ٢٢٠٥٥٦٨٨ جوال المبيعات ٠١٠١٦١٨١١٦ (٢٠٢+)

لمتابعة أحدث إصداراتنا وتلقى استفساراتكم تواصلوا معنا عبر موقعنا الالكترونى www.dar-alfarouk.com


زوروا جناحنا بمعرض القاهرة الدولى للكتاب بسراى ٤

مطلوب وكلاء فى جميع دول العالم

## الافتتاحية

٦ **مستقبل السودان... ومهمة الدعاة وأهل الرأي**
التحرير

## العقيدة والشريعة

١٠ **رسالة إلى علماء مصر ودعاتها**
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
١٤ **نظرة في بعض عوامل ظهور الإرجاء والتكفير المعاصرَين**
د. هاني بن عبد الله الجبير

## قضايا دعوية

٢٠ **النقد إصلاح لا انتقام**
صلاح بن فتحي هَلَل

## قراءة عقدية

٢٤ **«بكة» ولو كره الكافرون**
فيصل بن علي الكاملي

## قضايا تربوية

٢٨ **العمل التطوعي وأثره في الصحة النفسية**
سالم أحمد محسن البطاطي

## في المنهج

٣٢ **لا تجعل قلبك كالإسفنجة**
د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

## الإسلام لعصرنا

٣٨ **القرار السويسري بمنع المآذن قرار ديمقراطي!**
أ. د. جعفر شيخ إدريس

## حوار

٤٠ **حوار مع الشيخ العلاّمة شعيب الأرنؤوط**
أجرى الحوار - مجلة البيان

## معركة النَّص

٤٤ **الهروب عن النص... إليه!**
فهد بن صالح العجلان

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

## خدمة العملاء

**السعودية**
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
هاتف خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

## للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk

## الموزعون

**الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
**الإمارات العربية المتحدة :** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
**سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
**البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
**السعودية :** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
**السودان:** الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
**قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
**الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
**المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
**اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
خالد حسن عمارة

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan-magazine.com

## الحسابات

**السعودية:** مصرف الراجحي
**آي بان:** SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

## الاشتراكات

| | |
|---|---|
| السعودية ودول الخليج | ١٢٠ ريال سعودي |
| بريطانيا وايرلندا | ٤٧ يورو |
| أوروبا | ٥٥ يورو |
| البلاد العربية وإفريقيا | ٤٥ يورو |
| أمريكا وبقية دول العالم | ٥٥ يورو |
| المؤسسات الرسمية | ٦٠ يورو |

قصة قصيرة

٤٦ ولا عزاء للبوسنيات
د. بشرى بنت عبد لله اللهو

المسلمون والعالم

٥٠ الرباعية الإيرانية في المرمى الأفغاني
أحمد فهمي

٥٦ أين الولايات المتحدة من الحوثيين؟
أمير سعيد

٦٢ بلوشستان: الهدف الأمريكي القادم!
محمد سليمان الزواوي

٦٦ الجالية الصومالية في الغرب والخوف من الغرق
حسن محمد إبراهيم

٧٠ مرصد الأحداث
جلال الشايب

نص شعري

٧٥ أجيبوا: كيف ينعقد السلامُ؟
محمود مفلح

عين على العدو

٧٦ قراءة في التعامل الصهيوني مع الانتفاضات الفلسطينية (سياسياً وعسكرياً)
د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٧٨ المراكز البحثية للمؤسسات الدعوية
أحمد طومان

متابعات

٨٤ عن البهائية والبهائيين
هشام بنشاوي

الباب المفتوح

٨٨ التَنْوير... مَقْبولٌ أم مَرفوض؟
عبد العزيز بن صالح العسكر

منتدى القرّاء

٩٠ عدّة كتّاب

الورقة الأخيرة

٩٢ الرُقاة والمجرّبات
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

[ كلمة صغيرة ]

## حرب المساجد...!

لم تتوقف بَعْدُ تبعات الاستفتاء السويسري عن المآذن؛ فقد تتابع المشهد الغربي في سلسلة طويلة من الاعتداءات السافرة على المساجد، وهذه بعض معالمها:

- تظاهرة لليمين المتطرف في شمال لندن، تدعو لمنع بناء المساجد وطَرْد المسلمين.
- تدنيس مسجد بلال في مدينة كاستر الفرنسية بوضع أرجل خنازير على مدخله، وكتابة عبارات عنصرية مهينة للمسلمين.
- وفي مدينة براغ التشيكية عُلِّق رأس خنزير في مدخل أحد المساجد وكُتِبَت عبارات مسيئة للإسلام.
- في ألمانيا كتب بعض المتطرفين على أحد المساجد شعارات يمينية ورسومات للصليب المعكوف (رَمْز النازية).
- لم تَسْلم مساجد الأرض المحتلة من هذه الاعتداءات أيضاً؛ فقد حُرِق الدور الثاني من مسجد (حسن خضر) في قرية ياسوف جنوب مدينة نابلس.
- وفي قرية رأس خميس هددت شرطة الاحتلال في مغتصبة (بسغات زئيف) مؤذن المسجد إذا رفع الأذان بمكبرات الصوت، وبكل استهتار طلبت مديرة المركز الجماهيري من الأهالي استخدام ساعات منبِّهة في منازلهم بدلاً من رَفْع الأذان.
- أمَّا التطاول على المسجد الأقصى فقد بلغ حداً خطيراً يهدد كيانه، وقد نشرت البيان في عدد (ذي القعدة) تحقيقاً خاصاً بذلك.

هذه بعض مشاهد الخوف والعداء التي تتصاعد يوماً بعد آخر. وهذا ما يجعلنا نؤكد على ثلاث ملحوظات في غاية الأهمية:

الأولى: ثبت في الحديث الصحيح: أنَّ الشيطان إذا سمع الأذان خنس وولَّى هارباً، وهكذا شياطين الإنس؛ فالعَلْمانيون في تركيا جعلوا الأذان باللغة التركية، وبعض وزارات الأوقاف العربية تتململ من الأذان وتطالب بتوحيده؛ بحجة تحسينه تارة، وتطالب بإلغاء مكبرات الصوت، وخاصة في الفجر؛ بحجة راحة المرضى والأطفال تارة أخرى!

الثانية: أنَّ المسجد له مكانة عظيمة في دين الإسلام، والأذان هو شعار المسلمين الذي يعتزون به ويفخرون. ومن واجبنا أن نحرص على إحياء رسالة المسجد، والارتقاء ببرامجه ومشاريعه الدعوية؛ فهو القلب النابض الذي يضخ دماء الحيوية في المسلمين.

الثالثة: هذه الممارسات العنصرية المتشنجة التي يمارسها بعض المتطرفين في الغرب، دفعت بعض الغربيين إلى القراءة عن الإسلام، وهذه فرصة دعوية يجب أن يستثمرها الدعاة وأئمة المساجد في الغرب، وبعض المحن قد تكون بوابة لِمَنَح عظيمة لم تكن في الحسبان، والله أعلم.

# مستقبل السودان... ومهمة الدعاة وأهل الرأي

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن المشهد السوداني يزداد اضطراباً وتشنجاً يوماً بعد يوم، وحِدَّة الصراع والتدافع السياسي بين الأحزاب السياسية تتصاعد كلما اقترب موعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في: (أبريل ٢٠١٠م)، وموعد الاستفتاء على انفصال الجنوب في: (٢٠١١م).

العام الحالي: (٢٠١٠م) هو عام الحسم وهو مفرق طريق خطير سيؤثر على حاضر السودان ومستقبله في العاجل والآجل، وها هي جميع الأحزاب والتجمعات السياسية تُعِدُّ العدة، وتحشد القوى، وتجيِّش الأتباع، وتعيد بناء طاقاتها وبرامجها لتحقيق تطلعاتها ورؤاها الحزبية.

هذا الغليان السياسي ليس شأناً داخلياً لسببين رئيسين:

السبب الأول: أن السودان الموحَّد بشماله وجنوبه جزء منا (أمة الإسلام)، ولنا معه أخوة وجوار، ويسرُّنا ما يسرُّه ويسوؤنا ما يسوؤه، وإذا كانت بعض الحكومات والأنظمة العربية والإسلامية تنظر إلى مستقبل السودان بلا اهتمام أو مبالاة، فإن المصلحين والدعاة لهم موقف آخر؛ فالمسلمون يد واحدة على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وبكل حال فإن الجار الذي تربطه بجاره الأواصر الوثيقة أَوْلَى بالحضور في شأن جاره من الفرنجة وأشتات الغرب القادمة من الأصقاع البعيدة!

السبب الثاني: **أن أمن المنطقة كلّها سيتأثر بالتأكيد؛ فانعكاسات الانفصال أو الوحدة ستتعدّى آثارها حدود السودان، لتصل إلى المنطقة العربية والإسلامية برمَّتها، وإذا كانت الأمم المتحدة ترى الشأن الداخلي في دارفور شأناً له آثار عالمية، فمن البدهي أن تكون للانفصال آثاره الإقليمية، التي تنال الأمن الغذائي والمائي، بل الأمن العام في المنطقة؛ فنحن شركاء في المستقبل شئنا أم أَبَينَا.**

**مستقبل السودان ليس مكسباً حزبياً، أو خِياراً انتخابياً، وليس ساحة لتحقيق تطلعات شخصية أو طموحات مادية، بل هو قضية أمة، ويجب التعامل معه بصدق وتجرُّد ومسؤولية، بعيداً عن المزايدات الحزبية والمناكفات السياسية**

ونحسب أن إخواننا في السودان أحرص منَّا على مستقبل بلدهم، وأَقْدَر منَّا على تصوُّر الواقع ووسائل التعامل معه؛ لكننا رأينا أن من واجبنا أن نذكِّر إخواننا ونضع بين أيديهم بعض الملحوظات التي نجزم أنهم أعرف بها منَّا، ونرجو أن نُكتب مع النصحة البرَرَة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

## أولاً: المستقبل إسلام أو لا إسلام:

مستقبل السودان ليس مكسباً حزبياً، أو خِياراً انتخابياً، وليس ساحة لتحقيق تطلعات شخصية أو طموحات مادية، بل هو قضية أمة، ويجب التعامل معه بصدق وتجرُّد ومسؤولية، بعيداً عن المزايدات الحزبية والمناكفات السياسية؛ فالحق هو المعيار الذي توزن به المواقف، وتسيَّر به حركة الإنسان؛ فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من نصر قومه على غير الحق، فهو كالبعير الذي رُدِّيَ[1]، فهو يُنْزَع بذنبه»[2].

والصراع في السودان على الرغم من شدته وتعدُّد أحزابه ومشاريعه، إلا أن معالمه الرئيسة غير ملتبسة من حيث الجملة؛ فالشعب السوداني بين مشروعين لا ثالث لهما: مشروع إسلامي مشوب ببعض الدَّخَن، ومشروع عَلْماني بواجهات متعدِّدة. وإذا لم يتحقق النور الصافي الذي لا ظلمة فيه، فلا يجوز العدول عن نور فيه ظلمة[3]. وقواعد الشريعة تدل على تحمُّل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما.

ومقتضى الشرع والعقل يدعو المسلمين عموماً، والدعاة خصوصاً، لتوحيد رايتهم ورصِّ صفوفهم، وأن ينأوا بأنفسهم عن القيل والقال. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ فلا مجال إذاً للتهارش أو التدافع أو الدخول في معارك جانبية.

### وهَلْ يحتالُ في دَفْعِ العَصا مَنْ أظلَمَتْه الحُساماتُ القُضُبْ؟

والحزب الحاكم – خصوصاً – مطالَب في المرحلة المقبلة بمزيد من التلاحم مع أبناء الحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتهم، وإذا كان الحزب حريصاً على استيعاب الأحزاب العَلْمانية وأحزاب التمرد؛ فمن باب أَوْلى أن يتسع صدره لإخوانه، وأن يتعاون معهم؛ فهم السند الرئيس والردء الحقيقي الذي ينبغي أن تتدثر به الحكومة وتعض عليه بالنواجذ.

## ثانياً: صراع الهوية:

خلال العقدين الماضيين – خصوصاً – كانت هوية السودان الإسلامية وجذوره العربية مستهدفة من تيارات عديدة؛ على رأسها الحركة الشيوعية والحركات (ذات النزعة الشعوبية)، وفي كل توتُّر سياسي يحدث في شرق السودان أو غربه تُستَدْعى الخلفية الإفريقية لبعض القبائل السودانية، وتُستَثَار العصبيات العنصرية والقبلية؛ لتحقيق مكاسب حزبية آنية، حدث هذا في دارفور وأبيي... وغيرهما.

ويعلم إخواننا في السودان أن الحل ليس في تجاهل ذلك التعدد العرقي والثقافي، ولكن الحل بفهمه وإدراك الوسائل الملائمة للتعامل معه واستيعابه، وتخلِّي السودان عن دين الإسلام أو تحييده في عالم السياسة – كما تطالب بذلك الحركة الشعبية لتحرير السودان أو بعض الأحزاب العَلْمانية في الشمال – لن يؤدي إلى الاجتماع والوحدة، بل سيؤدي إلى مزيد من التنازع والصراع. وكما أن الانفصال ليس حلاً لمشكلة الهوية في الجنوب؛ فنسبة النصارى فيه لا تتجاوز ١٧٪، بينما تصل نسبة المسلمين إلى ٢٣٪، وترتفع هذه النسبة لتصل عند الوثنيين إلى ٦٠٪.

ونحسب أنَّ الإسلام هو الهوية الحقيقية التي يمكن أن يجتمع عليها شتات القبائل (العربية وغير العربية). قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ حتى القبائل غير المسلمة سيكون الإسلام خيراً لها وأنفع؛ لأنه هو الدين الوحيد الذي جاء بالحق المصلح لأحوال البشرية، كل البشرية. وأمر بالعدل والقسط مع الرعية، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] واستنقذ الإنسان من طغيان الملأ من الزعماء والسلاطين، وهو دين الحكمة والرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) رُدِّيَ: تردَّى وسقط.
(٢) رواه أبو داود في سننه: (٥١١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٥٧٥).
(٣) راجع مجموع الفتاوى: (١٠/ ٣٦٤).

### ثالثاً: الاستقواء بالأجنبي:

لم يسلم السودان منذ عصر الاستقلال سنة (١٩٥٦م) من التدخلات الإقليمية والدولية التي تحاول اختراق النسيج السوداني استغلالاً للمتناقضات السياسية والفكرية والعرقية والقبلية، ولا زالت بعض الحكومات الغربية: كأمريكا وبريطانيا وفرنسا خصوصاً، بالإضافة إلى بعض المنظمات الكنسية تمسك بزمام الصراع، وتتحكم ببعض مفاتيح الحرب والسلام.

والاستقواء بالأجنبي سياسة عرفتها الحركة الشعبية لتحرير السودان، وغيرها من حركات التمرد في الجنوب والغرب، كما عرفتها بعض الأحزاب العَلْمانية في الشمال، وفي كل أزمة تتطاول الأيدي الملوثة؛ لتعبث بأمن السودان ومستقبله من أجل ثمن بخس دراهم معدودة. وليس آخر ذلك ما نشرته صحيفة واشنطن تايمز على لسان ممثل الحركة الشعبية في أمريكا من أن الحركة تتلقى دعماً سنوياً يقدَّر بمليار دولار لدعم انفصال الجنوب.

وقد توغلت اليد الصهيونية في الجنوب - خصوصاً - ودعمت حركة التمرد انطلاقاً من سياسة (شدِّ الأطراف وبَتْرِها)، التي أشار إليها الكاتب الصهيوني العميد ميشي فوجي في كتابه الشهير: (إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان: نقطة البداية ومرحلة الانطلاق)، وطبقت هذه الإستراتيجية أيضاً في دعم بعض الفصائل الانفصالية في دارفور.

وقد كان (سلفاكير) صريحاً جداً عندما قال في آخر أكتوبر ٢٠٠٩م في كلمة ألقاها في قدَّاس كاتدرائية القديسة تيريزا في مدينة جوبا: (إن مهمتي تقضي بقيادتكم إلى استفتاء (٢٠١١م)، إن هذا اليوم قريب جداً، وإني على ثقة بأننا سنشارك فيه. ولديكم الفرصة للاختيار بين أن تكونوا أحراراً في وطنكم، أو تكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في بلد موحد).

بل إن (إدوارد لينو) القيادي بالحركة الشعبية، طالب سكان النوبة وجنوب النيل الأزرق بالثورة على حكومة السودان وإسقاطها.

فكثير من قادة الجنوبيين يسيرون نحو الانفصال، حتى إن بعض التقارير الدولية أشارت إلى أن معهد (ماكس بلانك) الألماني أنجز مسوَّدة دستور دولة الجنوب.

وها هنا يأتي السؤال المُلِحُّ: هل الانفصال سيؤدي إلى الاستقرار؟!

والذي يراه كثير من المراقبين أن انفصال الجنوب سيمثل خطراً إستراتيجياً على أمن المنطقة كلها، خصوصاً على مصر والسودان، وسيبقى التوتر السياسي والاستنفار الأمني والعسكري قائماً ومستنزِفاً لاقتصاديات الحكومة ومقدراتها التنموية، وربما تُستَدرج إلى حرب على الحدود أو منابع النفط أو موارد الماء أو غيرها. ولن تُطوى هذه المرحلة من التاريخ إلا بعد أن يروَّض السودان وتُنتَهب خيراته ويكتوي بنيران الفوضى الخلاَّقة كما عبَّرت عنها الإدارة الأمريكية السابقة؛ فالحل السياسي إذاً ليس في التخلُّص من الجنوب، بل في استخلاصه من أيدي شرذمة قليلة مستقوية بدول بعيدة لها أهداف تتجاوز حدود الجنوب القريبة المتنازع عليها أصلاً!

ومن المهم التأكيد هنا على أنَّ الحكم الشرعي الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسُّنة يقضي بأن لا يكون التخلي عن أرض تابعة لدولة إسلامية لها فيها رَعيَّة سهلاً طوعياً، بل دون ذلك مُهَجٌ وأرواح. ولا عذر لها إلاَّ تَحقُّق العجز.

### رابعاً: تمزيق العالم الإسلامي:

سياسة تمزيق الدول الإسلامية جزء من مشروع غربي متعدد الأبعاد، ظهرت بعض معالمه في العراق وباكستان وإندونيسيا... وغيرها، وما كان سراً في وقت مضى من الأوقات أصبح الآن علانية، تُسرَّب أخباره جِهاراً في بعض وسائل الإعلام: تارة للحث والحض وأخرى للتهديد والتخويف. ولعل من أهم ما نُشِر: مقال (برنارد لويس) في مجلة البنتاغون الصادرة عن وزارة الدفاع الأمريكية؛ حيث دعا إلى تقسيم السودان إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى زنجية.

والجديد في السودان أن السيناريو والإخراج بدأ باسم الديمقراطية وحق تقرير المصير...!

وإذا تحقق هذا، فإنه سيشعل نيران الفتنة القبلية، وسيثير النزعات الانفصالية في غرب السودان وشرقه، بل حتى في الجنوب نفسه، وسيكون أنموذجاً يستنسخه الغرب بالقوة في الدول الأخرى من أجل مزيد من تمزيق العالم الإسلامي وإضعافه، حتى يظل (وهو الغني بخاماته وثرواته) عالة مفتقراً إلى الغرب، ولهم في إضعافه مآرب أخرى.

### خامساً: مسارات دعوية:

ربما نجح الاستعمار في وقت مضى من الأوقات في عزل شمال السودان عن جنوبه، وأهملت كثير من الحكومات المتعاقبة الأبعاد الدينية والثقافية والاجتماعية، وهو ما رسَّخ العزلة والقطيعة، وها هنا يأتي دور التجمعات الإسلامية والعلماء والدعاة، ونحسب أننا أمام مرحلة مختلفة، تتطلب رؤية مستقبلية واعية، وحَراكاً دعوياً جاداً، من خلال ثلاثة مسارات:

**المسار الأول:** توثيق الصلة بمسلمي الجنوب، والعناية بسلاطين وشيوخ القبائل، وتنشيط الدعوة في مناطقهم، واصطفاء مجموعة من نوابغ الطلاب وأئمة المساجد؛ لتعليمهم

وتدريبهم وبنائهم بناءً علمياً ودعوياً؛ ليكونوا - بإذن الله - قادرين على تحمُّل المسؤولية، ومخاطبة قبائلهم باللغة التي يفهمونها.

وقد رأينا جهوداً مشكورة في هذا المسار لبعض الدعاة والمؤسسات الخيرية، لكن الحاجة المستقبلية تتطلب جهداً مضاعفاً، ولا يخفى على كلِّ ذي بصيرة أن هؤلاء المسلمين هم العمق الإستراتيجي للمسلمين في جميع الأحوال، سواء حصل الانفصال أم لم يحصل.

**المسار الثاني:** يمثل الوثنيون النسبة الأكبر من سكان الجنوب، ونجزم أن هؤلاء أقرب إلى الإسلام منهم إلى النصرانية، وقد رأينا كثيراً منهم يدخلون في دين الإسلام عندما ينشط الدعاة في أوساطهم، ويحدِّثونهم بالطريقة المناسبة.

صحيح أن هؤلاء ربما يؤثِّر فيهم الانتماء القبلي أكثر من أي عامل آخر، لكن تبليغ الدعوة في صفوفهم سوف يكون له أثر كبير في بناء الوعي؛ فشتان ما بين الديانة الإسلامية والأخريات المنافسة. وتبقى عوامل مؤثرة: كالقدرة على التحمل والصبر وكذلك طريقة العرض.

**المسار الثالث:** الدين النصراني عند نصارى الجنوب تحوَّل إلى عصبية أكثر من كونه ديناً وعقيدة، وهذا يعني أن إمكانية التأثير ممكنة جداً، خاصة أن نسبة من النصارى استوطنوا العاصمة الخرطوم وما حولها فراراً من الحرب، وهذه أرض دعوية بِكْر، يمكن استصلاحها واستثمارها على المدى القريب والبعيد.

ولا يخفى أن الأحزاب الجنوبية من حيث الجملة كيانات سياسية هَشَّة، أنهكتها الانشقاقات والصراعات الشخصية فأصبح كثير من الجنوبيين (النصارى وغيرهم) لا يثقون بقياداتهم السياسية عموماً؛ إذ أثبتت لهم العقود الماضية أن كثيراً منهم لاهثون خلف مصالح شخصية، وقد أثرى بعضهم ثراء فاحشاً على حساب حقوق الجنوبيين.

كما أن القيادة السياسية في الجنوب تتركز في بعض القبائل كالدينكا، وتستبعد قبائل جنوبية أخرى: كالنوير والشُّلُك وغيرها، والتي لها حضور وانتشار، وهو ما يسبب التوتر والصراع

وإذا استطاع الدعاة أن ينفذوا بهدوء ووعي داخل النسيج القبلي والاجتماعي الجنوبي، فإن ذلك سيكون - بعون الله تعالى - مقوِّماً رئيساً من مقومات الاستقرار ونَشْر الدعوة.

نعم! كان المفترض أن تتحرك هذه المسارات الدعوية منذ عقود، خاصة بعد التوقيع على اتفاقية (نيفاشا)، ولكن لا زال في الوقت متسع كبير، والعبرة بقوة النهاية، وليس بنقص البداية. أما عقلية الإحباط واليأس التي قد يثيرها بعض الناس، فإنها لن تغيِّر شيئاً من الواقع، وستعزِّز من روح السلبية والاستسلام!

## سادساً: المسؤولية الكبرى:

يتحمل حزب المؤتمر الوطني الحاكم المسؤولية الكبرى في الحفاظ على وحدة السودان وهويته وحقوقه الجغرافية والسياسية والاقتصادية. وقد أثبتت الأيام أنَّ بيد الحزب الحاكم أوراق القوة الحقيقية في الواقع الفعلي، إذا امتلك الإرادة الحازمة والجادة، خاصة مع انحسار الضغوط الأمريكية بنسبة كبيرة. والرئيس (عمر البشير) يحظى بشعبية كبيرة داخل السودان وخارجه؛ ولهذا نقول بكل وضوح: لا يجوز بحال أن يفرط الحزب الوطني بمفاصل القوة عنده، أو يُستدرَج لتقديم تنازلات أخرى متسرعة أو غير محسوبة تضر بحاضره ومستقبله، من أجل حفنة من المرتزقة وأهل الأهواء الذين لا يجيدون إلا المناكفات السياسية وفنون الصراخ والعبث!

إن حقوق السودان ليست ميداناً للمساومة أو المبايعة، وبهذه المناسبة نخاطب العقلاء والمخلصين في حزب المؤتمر الوطني، ونقول لهم: إنها أمانة وتبعة ثقيلة، وسيُحدِّث التاريخ بأجياله المتعاقبة عن الشرفاء الذين ثبتوا على الحق وصبروا على الأذى فيه، ولم يضرهم تخذيل المخذلين من داخل الصف، أو مخالفة المخالفين من خارجه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

نسأل الله - تعالى - أن يجعل لكم لسان صدق في العالمين.

## أخيراً نقول:

إن الشعب السوداني أَعْرَف منَّا بخياراته الانتخابية، لكننا نقرأ من بُعد أن جميع الخيارات السياسية المطروحة في الشمال والجنوب، والتي بإمكانها إدارة الدولة، وتريد استبدال النظام الرسمي القائم، تتجه كلها نحو عَلمَنة السودان، وإضعافه، وتجريده من هويته الإسلامية، وانتزاعه من جذوره العقدية والحضارية واللغوية، وترميه به بعيداً عن الإسلام.

وهذه نازلة خطيرة بالغة الأهمية، ولا يجوز أن يبقى العلماء والمصلحون مجرَّد مراقبين ومتابعين للأحداث، بل ينبغي أن يكون دورهم في بناء الوعي وصناعة الرأي العام وتوجيهه هو الدور الرئيس. والرائد لا يكذب أهله.

**وجديرٌ إذا الليوثُ توارَتْ**
**أن يلي ساحتها جموعُ الثعالبِ**

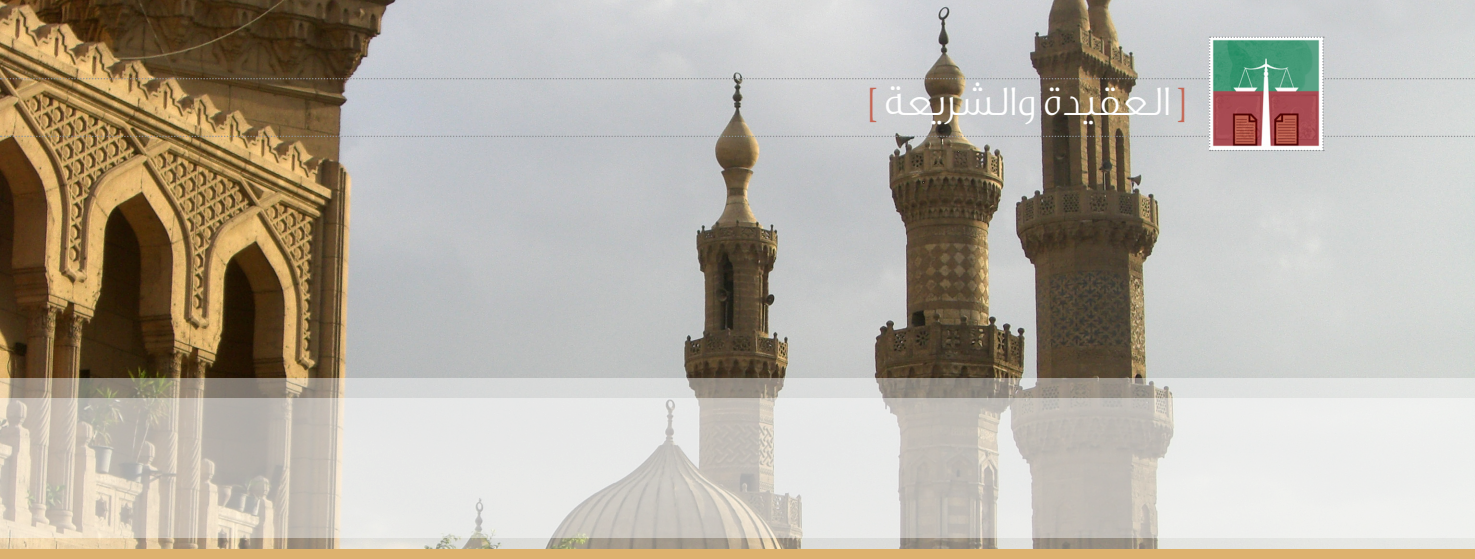

# رسالة إلى علماء مصر ودعاتها

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

قبل أكثر من ثمانين عاماً - تقريباً - كتب أديب العربية الأستاذ الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي - رحمه الله تعالى - مقالة بعنوان: (دمعة على الإسلام)[1]، تأسَّف فيها كثيراً على خبرٍ وَصَله من أحد علماء الهند عن تعظيم بعض المنتسبين إلى الإسلام من الهنود التاميل لقبر عبد القادر الجيلاني وغيره من الأولياء، ثم قال متألِّماً متوجِّعاً من تلك الأفعال: (يعلم الله أنني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء، وأظلمت الدنيا في عيني، فما أُبصر ممَّا حولي شيئاً حزناً وأسفاً على ما آلت إليه حال الإسلام بين أقوام نكروه بعدما عرفوه، ووضعوه بعدما رفعوه، وذهبوا به مذاهب لا يعرفها، ولا شأن له بها. أيُّ عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤثر المحزن؛ منظر أولئك المسلمين وهم ركَّعٌ سجَّدٌ على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته، فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته).

تذكَّرْت هذه المقالة في زيارتي الأخيرة إلى مصر - حرسها الله من كل سوء - واستشعرت ألَم المنفلوطي وأنا أدخل في قلب القاهرة إلى مسجد الحسين؛ لقد أفزعني ما رأيت، وهالني تزاحم الناس عند القبر، وتوجُّههم إليه بالدعاء والاستغاثة!

كنت أظن - بادئ الأمر - أن ما يفعلونه دروشة مجردة ورغبة في إجلال ومحبة الحسين - رضي الله عنه وأرضاه - وقد يكون الأمر كذلك عند بعضهم، ولكنني صُعقت - والله - من الشرك الصريح الذي يمارسه بعض الجهلة دون نكير!

والله الذي لا إله إلا هو! إنني أُصبت برعشة وقشعريرة تسري في جسدي وأنا أرى أحدهم يجثو على ركبتيه، ويقول بكل تخشُّع وانكسار: مدد يا سيدنا الحسين... مدد...!

سلَّمت على أحدهم في المسجد وسألته: ماذا يفعل الناس عند القبر؟ لماذا هم مجتمعون هكذا؟

فنظر إليَّ باستغراب ونكير وقال: هذا قبر سيدنا الحسين؟ فقلت له: وماذا يفعلون عنده؟

قال: يا بني! إذا كنت محتاجاً، أو مريضاً، أو مهموماً، فالتمس العون من سيدنا الحسين.

قلت له: ولِمَ لا نتوجَّه إلى ربِّ الحسين - سبحانه وتعالى - وهو يقول لنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]؟

قال: لهؤلاء الأولياء مكانة عظيمة لا نستطيع نحن الضعفاء الوصول إليها؛ فنحن نتوسل بهم إلى الله[2]!

ثم اجتمع حولنا بعض العامة، وقال أحدهم: هؤلاء الأولياء: سيدنا الحسين، والسيدة زينب، والسيدة نفيسة... أئمة الهدى، وتحت أعتابهم تُستجلَب الرحمات، وبدعائهم يستغيث ذوو الحاجات.

قلت له: أَوَتَظن أن الله - تعالى - هو الذي يفرِّج كَرْبك أم الحسين والسيدة زينب؟

(١) النظرات: (٢/ ٦٠ - ٦٤).

(٢) هكذا قال مشركو العرب في جاهليتهم عن أصنامهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

قال بكل استغراب: الله - جل جلاله - هو الذي يفرِّج الكربات، لكنه يضع سِره عند بعض أوليائه، فإذا رضي عنك الولي، كان ذلك سبباً لرضا الله! ثم قال لي آخر (بشيء من الغلظة والنكير): أسيادنا يقولون للشيء: كن، فيكون...!

وبينما أنا خارجٌ من المسجد وقد دارت بي الدنيا وأظلم الطريق في وجهي، إذا بامرأة عجوز تخرج من باب النساء باكية، وترفع صوتها قائلة: ابني تعب من المرض يا سيدنا الحسين... ابني تعب من المرض يا سيدنا الحسين!

يا سبحان الله!

أيحدث هذا في بلد الإسلام وقلعته الحصينة؟

أيحدث هذا في بلد الأزهر معقِل العلم والعلماء...؟

أنّ يحدث مثل هذا الشرك في بعض مجاهل الهند وأدغال إفريقيا النائية أمر ليس بمستغرب، بسبب اندراس العلم وقلّة العلماء، لكن الغريب كل الغرابة أن يحدث مثل هذا في مأرز الإسلام وقلبه النابض!

حقيق بكل مسلم غيور على الملّة أن يبكي بدل الدموع دماً وهو ينظر أو يسمع عن تلك الشركيات المحادَّة لدين الله تعالى!

حقيق بكل داعية مخلص أن يتفطر قلبه ألماً وحزناً، وهو ينظر إلى هؤلاء الناس وأولئك وهم يتيهون في بيداء الشرك و يتخبطون في ظلمة الخرافة.

حقيق بكل عالم وَرِع يريد السلامة وبراءة الذمة، أن لا يهنأ بطعام ولا شراب، ولا يتلذذ بمنام أو متاع، حتى يؤدي زكاة علْمه، ويمحض النصيحة لأمته، ويجدد ما أفسده العوام وأهل الأهواء من عقيدة الإسلام. وليتذكروا قول الله - تعالى -: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وما زاد من ألمي كثيراً أنني قرأت عند مدخل جامع الحسين فتوى فقهية معلَّقة على لوحة كبيرة تؤكد جواز الصلاة في المساجد التي فيها قبور، وترد على القائلين بالتحريم.

## يا قرَّاء الإسلام!

أنتم حفظة القرآن الكريم وقرَّاء الإسلام، تُقرئوننا قول الله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله - تعالى -: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٢١ - ٢٢] ولا يخفى عليكم أنه لا يوجد في كتاب الله - جل وعلا - أوضح ولا أبين ولا أصرح من الدعوة إلى التوحيد، والبراءة من الشرك، وسدِّ ذرائعه، وقطع أسبابه.

## يا علماء مصر!

أنتم تعلمون أن أخص خصائص دين الإسلام: (التوحيد الخالص)، كما قال - تعالى -: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وكما قال - سبحانه -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]. به بعث جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كما قال المولى - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال - تعالى - أيضاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ثم رفع رايته سيد وَلَد آدم ﷺ؛ فقد تواترت النصوص النبوية الشريفة التي تأمر بذلك وتدل عليه، ومنها قول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خَلَقك»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني حليلة جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] (١).

بل من شدة إشفاق النبي ﷺ على أمته أنه حتى مع شدة مرضه الذي مات فيه كان يحذِّر أصحابه - رضي الله عنهم - من الزيغ والانحراف عنه؛ ففي الصحيحين عن عائشة وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قالا: لَمَّا نزل برسول الله ﷺ (يعني: الموت) طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذِّر ما صنعوا (٢).

ومن حرص النبي ﷺ على البلاغ المبين أنه لم يكتفِ بسماع بعض أصحابه له، بل حرص أن يكون العلم بذلك عامّاً راسخاً؛ فقد روى أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «أدخلوا عليَّ أصحابي»، فدخلوا عليه وهو متقنِّع ببردة معافري، فكشف القناع، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

(١) أخرجه: البخاري، رقم (٦٨٦١)، ومسلم، رقم (١٤٢).
(٢) أخرجه: البخاري، رقم (٤٣٥)، ومسلم، رقم (٥٣١).

قبور أنبيائهم مساجد»[1].

وإني مذكِّركم - أيها الإخوة علماء مصر ودعاتها - بحديث شريف أنتم أعلم به مني، وهو حديث أبي الهياج الأسدي؛ حيث قال: قال لي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[2].

إن التوحيد وإفراد الله - تعالى - بالعبادة بمنزلة الرأس من الجسد؛ فما قيمة الجسد إذا فقد رأسه؟ ولن يجد الإنسان الأُنس والأمن ولذة الحياة إلا في ظل العبودية الخالصة لله - عز وجل - كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقد فسَّر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بالشرك[3].

وكلما ازداد افتقار العبد لمولاه - سبحانه وتعالى - وانكساره بين يديه، والتجاؤه إليه وحده لا شريك له، كانت ثَمَّ طمأنينته وسعادته. يقول - سبحانه -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

## أيها العلماء الأجلاء والدعاة النبلاء!

إنَّ سكوت بعض العلماء وتكاسل بعض الدعاة، وتتابع الناس على ذلك جيلاً إثر جيل، أدَّى إلى رواج سوق الأضرحة وارتفاع أعلامها وتطاوُل مناراتها في كل الأقاليم والمحافظات والمدن والقرى الكبيرة والصغيرة، حتى إن بعض الباحثين في مصر ذكر أن عددها تجاوز ستة آلاف ضريح[4]، يقام في معظمها موالد حاشدة يجتمع حولها الناس، وتُشدُّ إليها الرحال، وتُذبح لها الذبائح، وتُدفع لها النذور[5]. ويحدث فيها من ألوان الخرافة والدجل والعبث ما لا يخطر على بال، وأقل ما يقال في كثير من تلك الممارسات إنها مَسْخ للدين وإزراء بأهل الإسلام وتغييب لعقولهم.

إنها ليست مجرد مظاهر عارضة عابرة، بل هي ممارسات متجذرة في قلوب كثير من الناس، وبقاء هذه الأضرحة والمشاهد حتى اليوم يدل على أن الأمر مستفحل استفحالاً شديداً، وأن كثيراً من البسطاء والعوام لا زالوا يجهلون الحق الذي دلت عليه محكمات الشريعة وقواطع الأدلة.

والمؤلم حقاً أن بعض الطرقية في الآونة الأخيرة راح يحيي بعض معالم القبورية من جديد، ويشيِّد أركانها، ويجدد الدعوة إليها، بل يروِّج لها في كثير من وسائل الإعلام.

أعلم أنه قد تتابع تحذير علماء مصر من هذا الشرك، وسرني جداً قول مفتي مصر الشيخ عبد اللطيف عبد الغني حمزة - رحمه الله - بعد أن ذكر بعض الأحاديث النبوية: (من هذه الأحاديث وغيرها يتبين النهي عن البناء على القبور، سواء كان هذا البناء متعلقاً بالميت: كالقبة، أو بالحي: كحُجرة، أو مدرسة، أو خباء، أو مسجد، أو بيوت للاستراحة فيها عند الزيارة وغيرها، أو ما كان على القبر نفسه ليرتفع من أن يوطأ، كما يفعله كثير من الناس، وقد حمله الأئمة على الكراهة إذا لم يُقصَد به الزينة والتفاخر، وإلا كان حراماً)[6].

وسرني أيضاً قول فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، ومفتي الديار المصرية: (أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرِّب الإنسان من مزالق الشرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهلية؛ فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ قالوا له: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فهي الحجة نفسها التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه، ومن مظاهر هذه الزيارة أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة؛ فالطواف في الإسلام لم يُشْرع إلا حول الكعبة الشريفة، وكل طواف حول أي مكان آخر حرام شرعاً، والتقبيل في الإسلام لم يُسَن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر - رضي الله عنه - وهو يقبِّله: والله! لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما فعلت؛ فتقبيل الأعتاب، أو نحاس الضريح، أو أي مكان به حرام قطعاً)[7].

ونظائر هذه الفتاوى كثيرة جداً، وجهود الدعاة والمصلحين في القديم والحديث مذكورة مشكورة، لكنَّ الخطب عظيم ويحتاج الأمر إلى مزيد تأكيد ومضاعفة تذكير؛ فالدعوة إلى التوحيد هي أجلُّ شأن اشتغل به العلماء والمصلحون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

نعم! ربما كان لبعض الجهلة والمتنفذين من أهل الأهواء مصالح شخصية ومطامع دنيوية تدفعهم إلى خداع العوام،

---

(١) أخرجه: أحمد: (٣٦/١٠٨-١٠٩)، رقم (٢١٧٧٤و ٢١٧٧٥)، والطيالسي: (ص ٨٦)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) أخرجه: مسلم: رقم (٩٦٩).

(٣) أخرجه: البخاري، رقم (٦٩٣٧).

(٤) موالد مصر المحروسة: (ص ٧).

(٥) ذكرت صحيفة (المصري اليوم) بتاريخ: ٢٨/١٢/٢٠٠٦م أنه في محافظة البحر الأحمر يُنحر في مولد أبي الحسن الشاذلي ذبائح تصل إلى ١٢٠ ألف رأس من الخراف والماعز والإبل!

(٦) فتوى رقم (٢٥٢٦) في: ٢٣/١١/١٩٨٢م.

(٧) الفتوى نشرتها مجلة الإذاعة بتاريخ: ٧/٩/١٩٥٧م، نقلاً عن فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور: (ص٥٧ - ٦٠)، جَمْع الدكتور محمد يسري.

ومن مثل هؤلاء سخر شاعر النيل حافظ إبراهيم بقوله:

أحياؤنا لا يُرزقُون بدرهَم
وبألفِ ألفٍ يُرزقُ الأمواتُ
مَن لِي بحظِّ النائمين بحفرةٍ
قامَت على أحجارِها الصلواتُ
يسعى الأنامُ لها ويجري حولَها
بحرُ النذورِ وتُقرأ الآياتُ
ويقالُ: هذا القطبُ بابُ المصطفَى
ووسيلةٌ تُقضى بها الحاجاتُ [1]

لكن الأمر جِدُّ خطير، والأمانة في أعناق العلماء والدعاة كبيرة جداً، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وسيأتي اليوم الذي يقف فيه العلماء والدعاة بين يدي ربهم ويسألهم - سبحانه - عن هذه الأمانة: هل بلَّغوها للناس حق البلاغ، أم أنهم فرَّطوا وتكاسلوا؟

صحيح أن اقتلاع البدعة من جذورها أمر شاق وعسير، بسبب غربة الدين، وإلف الناس لها، وتتابع الأجيال عليها، وكثرة المنافحين عنها، لكنَّ استحضار قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم من أعظم ما يثير الحمية والغيرة على دين الإسلام. والشرف كل الشرف أن يسير العالِم والداعية في ركاب الأنبياء، ويقتدي بآثارهم، ويعض على منهجهم بالنواجذ. قال الله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

ولهذا؛ فإن الواجب أن يكون العلماء الربانيون والدعاة الصادقون في طليعة المنافحين عن الدين، المجددين لشريعة سيد المرسلين عليه أفضل السلام وأتم التسليم. ولا يضرنَّهم تطاوُل المفسدين، وتعصُّب العوام. قال الله - تعالى -: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]

وما أجمل قول أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: (إن الناس لو كان إذا كبُر عليهم أمر تركوه، ما قام لهم دين ولا دنيا!) [2]. وقديماً وصف إمام العربية مصطفى صادق الرافعي علماء الكنانة بأنهم: «أَسْهُمٌ نافذة من أسهم الله، يرمي بها من أراد دينه بالسوء»، ثم بيَّن - رحمه الله - رسالة الأزهر في: (أن يجدد عمل النبوة في الشعب، وأن ينقي عمل التاريخ في الكتب، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات، وأن يعطي الأمة دينها الواضح السمح الميسر، وقانونها العملي الذي فيه سعادتها وقوتها) [3].

إنَّ الشعب المصري من أرقِّ الناس أفئدة، وأكثرهم عاطفة؛ فهو محبٌّ بطبعه للإسلام وعلمائه؛ فلنستثمر هذه العاطفة الجياشة في نشر العلم وحماية جناب التوحيد، ولْنرعها بتعظيم السّنة ومحبة الهَدْي النبوي.

### أيها العلماء والدعاة!

استمعوا إلى المنفلوطي وهو يخاطب أهل عصره قائلاً: (هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصِّصون قبراً، أو يتوسلون بضريح؟

وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي ﷺ أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته يسأله قضاء حاجة أو تفريج همٍّ؟

وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين؟

وهل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل، نهى عنها عبثاً ولعباً، أم مخافة أن تُعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى؟

وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور ما دام كل منها يجرُّ إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد؟).

### أيها العلماء.. أيها الدعاة!

إنني - والله - أحفظ لكم أقداركم، وأُكبر فيكم قوَّتكم وجَرأتكم في الحق، وما هذه الرسالة إلا عرفان بفضلكم، وتذكير بواجبكم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وأداء لبعض حقكم علينا من النصيحة، وقد جمع النبي ﷺ الدين كله في النصيحة، فقال - بأبي هو وأمي -: «الدين النصيحة» [4].

وليس الهدف من هذه الرسالة هو التحرير العلمي لأطراف الموضوع ومسائله؛ فلذلك مقامه، وإنما هي إشارات مختصرات، ودعوة من القلب لاستنقاذ هؤلاء العوام من أوحال الخرافة التي يتقحمون فيها بلا علم ولا هدىً.

إنها دعوة لأشياخنا وأساتذتنا لاستنهاض الهمم ونصرة الدين.

إنها زفرة ألم أبثها إلى أهل الغيرة وعلماء الملَّة وورثة الأنبياء والدعاة النابهين اللهم هل بلغت!... اللهم فاشهد!

---

(١) في حوار لوزير الأوقاف المصري مع جريدة الأخبار ذكر أن حصيلة النذور في الفترة من: ١/٧/٢٠٠٥م إلى: ٣٠/٦/٢٠٠٦م بلغت ٥٢ مليوناً و٦٧ ألفاً و ٥٧٩ جنيهاً.

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ٣٢٩).

(٣) وحي القلم: (٢/ ١٥٥).

(٤) أخرجه: مسلم، رقم (١٩٤).

# نظرة في بعض عوامل ظهور الإرجاء والتكفير المعاصِرَين

د. هاني بن عبد الله بن محمد الجبير(*)

لا شك (أن معرفة أصول الأشياء ومبادئها) واستطلاع العوامل المؤدية إلى نشأتها وظهورها (وأصل ما تولَّد فيها من أعظم العلوم نفعاً؛ إذ المرء ما لم يحط علماً بحقائق الأشياء يبقى في قلبه حسكة)[1].

وذلك أن استطلاع هذه العوامل أساس علاجها؛ ولذا كان (النظر في سبب المرض ينبغي أن يقع أولاً، ثم في المرض ثانياً، ثم في الدواء ثالثاً)[2].

كما أن معرفتها طريق قَطْع مادتها لمنع تكرُّرها، وقد قال النبي ﷺ: «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين»[3].

وإن الناظر في هذين الفكرين المتضادين: (فكر الإرجاء وفكر التكفير المعاصِرَين) والباحث في عوامل نشأتها وظهورها لا بد أن يعيدها جميعاً إلى سببين أصليين ذكرهما الشاطبي، فقال: (الاختلاف الحاصل بين الأمة له سببان: أحدهما: لا كسب للعباد فيه، وهو الراجع إلى سابق القدر، والآخر: هو الكسبيُّ، وهو المقصود بالكلام)[4].

فأما القدر؛ فإن الله - تعالى - أراد لحكمة عظيمة أن لا يكون الناس كلهم أمة واحدة، بل منهم الشقي والسعيد؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]؛ فأتباع الرسول الأمين: هم المرحومون وهم الفرقة الناجية، ومَنْ سواهم فهو من أهل الوعيد على اختلاف درجاتهم[5].

(*) قاض شرعي في المحكمة الشرعية بجدة

(١) ما بين القوسين تضمين من مجموع الفتاوى: (١٠/٣٦٨). الحسكة: الشوكة.

(٢) تضمين من زاد المعاد: (٤/٨).

(٣) صحيح البخاري: (٦١٣٣)، وصحيح مسلم: (٢٩٩٨)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) الاعتصام: (٢/١٦٤).

(٥) انظر: تفصيل هذا المعنى في تفسير ابن كثير: (٢/٤٦٦)، ومجموع الفتاوى: (٤/٢٣٦). والاعتصام: (٢/١٧٠).

كما أن التكفير موجود، فالإرجاء أمره أظهر وأبيَن؛ فإنه انتشر في الأمة في العصور المتأخرة انتشاراً قوياً، وحسبك أن تعلم أن الأشاعرة والماتريدية يتبنون هذا الفكر؛ لتعلم بعد ذلك كم من المعاهد الإسلامية الكبرى قد تبنَّت هذا الاتجاه.

**أما الأسباب الكسبيَّة، فهي التي ستكون موضع تناولنا في هذه الأكتوبة الموجزة بعد إيضاح مقدمتين:**

### المقدمة الأولى: الأفكار لا تموت.

إن أية فكرة تطرأ على المجتمع، فإنها تبقى مهما شاخت وأصابها الهرم. وهذا مما لا يُنكَر؛ فإن الناظر في التاريخ الإسلامي ومذاهبه يجد أن التيارات الفكرية، تقوى حيناً وتستفحل، وتخبو حيناً آخر وتضعف، ولكن لا تموت، بل تبقى ضعيفة حتى تجد من يثيرها، وهكذا؛ فإن أي مذهب وُجِد في تاريخ الأمة، فإنه لا يُستغرَب أن يظهر إذا وُجِد من يتبناه؛ سواء كان ظهوراً تاماً أو ناقصاً، وسواء ظهر بصورته الأولى أو بصورةٍ مختلفة.

إن اتجاه التكفير والإخراج من الإيمان بفعل الكبائر، اتجاه له وجود في التاريخ الإسلامي في مذهبَي الخوارج والمعتزلة، وهو اتجاه بقي وإن كان على ضعف إلى هذا العَصْر[1].

كما أن مذهب الشيعة يعتمد على التكفير الغالي مُمَثلاً في تكفير الصحابة، رضي الله عنهم[2]. وهذا الفكر موجود في الأمة بقوة في أماكن مختلفة تمثله طوائف متعددة.

وكما أن التكفير موجود، فالإرجاء أمره أَظْهر وأَبْيَن؛ فإنه انتشر في الأمة في العصور المتأخرة انتشاراً قوياً، وحسبك أن تعلم أن الأشاعرة والماتريدية يتبنَّون هذا الفكر[3]؛ لتعلم بعد ذلك كم من المعاهد الإسلامية الكبرى قد تبنَّت هذا الاتجاه.

### المقدمة الثانية: تغيير الظاهر لا يغيِّر الباطن.

من المعوَّل عليه أن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها وليس بصورها ومبانيها؛ ولذا كان مما أخبر به رسول الله ﷺ أنه سيشرب ناسٌ من أمته الخمر يسمونها بغير اسمها[4].

وهذا العصر شهد ظهوراً للتكفير والإرجاء وقد أُلبس ثياب منهج السلف؛ فنسب إليه واستدل بأقوالهم على إثباته وادَّعى أنه هو اعتقاد الفرقة الناجية؛ وربما ترك من الاتجاه أفكاراً معينة لتبرأ ساحة معتقده؛ إذ لا يوافقهم في هاتيك الأفكار.

مع أنه لا يلزم عند نسبة طائفة إلى اتجاه عقدي أن تتلاقى جميع الأفكار بينهما، بل العبرة في الاتفاق في أساس الاتجاه؛ ولذا لَمَّا عدَّد العلماء الفرق المبتدعة ردُّوها إلى فرقٍ أُمَّات لها مع التفاوت بينها في الآراء.

ولَمَّا ذكر أبو الحسن الأشعري المرجئة ذكر اختلافهم في الإيمان على اثنتي عشرة فرقة[5]. وكذلك لَمَّا شرع في مقالات الخوارج ذكر جِمَاع رأيهم ثم اختلافهم بعد ذلك

---

(١) انظر بحثاً مستفيضاً عن حركة الإباضية وأماكن انتشارها في العالم الإسلامي وشيئاً من أبرز آرائها في كتاب: (دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين)، د. أحمد محمد جلي: (ص ٩٠) وما بعدها.

(٢) نقل إحسان إلهي ظهير في كتابه: (السُّنة والشيعة) ص ٤٩ عن الكشي في كتابه: (رجال الشيعة): ص ١٢، ١٣ أن كل الصحابة ارتدُّوا بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد ابن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

(٣) عند جمهور الأشاعرة أن الإيمان هو التصديق فقط، وقيل: معه إقرار اللسان، وعليه الماتريدية، ولهم تفصيل. انظر: شرح الطحاوية لعبد الغني الميداني: (ص ٩٨)، و (نظم الفرائد في المسائل الخلافية بين الماتريدية والأشاعرة) لشيخ زاده: (ص ٢٢٥).

(٤) سنن ابن ماجة: (٣٣٨٥)، ومسند أحمد: (٥/ ٣١٨) عن عبادة بن الصامت، وسنن ابن ماجة: (٣٣٨٤) عن أبي أمامة، صحيح ابن حبان: (١٥/ ١٦٠)، وسنن أبي داود: (٣٦٨٨)، ومسند أحمد: (٥/ ٤٣٢) عن أبي مالك الأشعري، وله طرق.

(٥) مقالات الإسلاميين: (١/ ٢١٣).

وتكفير بعضهم لبعض[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (... لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف، بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقَّوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع؛ فيبقى الظاهر قول السلف والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان)[2].

ولذا نجد السلف الصالح يستدلُّون على كون الرجل من الخوارج بما يقوم به من عمل ولو أظهر مذهب السلف. جاء صبيغ بن عسل إلى المدينة زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو يُظهر طَلَب العلم، وصار يسأل عن المتشابه، فعاقبه عمر، رضي الله عنه. قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة: (قال عمر بن الخطاب لصبيغ بن عسل وقد سأله عن مسائل، فأمر بكشف رأسه، وقال: لو رأيتك محلوقاً لأخذت الذي فيه عيناك حتى أن تكون من الخوارج )[3]. وذكر ابن حجر في الإصابة أنه كان يسأل عن متشابه القرآن، فضربه عمر حتى دمي رأسه، فقال: حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي[4].

وكذلك عكرمة مولى ابن عباس، رضي الله عنهما، مع مكانته ونَشْره للحديث، اتهم ببدعة الخوارج، ولكن وثَّقه أئمة الحديث. قال ابن حجر: (ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا ثبتت عنه بدعة)[5].

## عوامل النشأة والظهور:

### أولاً: عدم التلقي عن أهل العلم الأثبات:

بسبب انتشار التعليم وفُشُوِّ الكتابة في هذا الزمن كثر التلقي والأخذ من كتب العلم مباشرة دون مشافهة العلماء وترتب على ذلك خطأ كثير: كعدم فهم المصطلحات الشرعية على الوجه المطلوب، وعدم تحرير مسائل النزاع، وعدم التنبه لما في بعض الآراء من غلط.

وهذه المفاسد وغيرها جعلت السلف يمنعون من تلقِّي العلم ممن كانت وسيلته التي استفاد بها العلم هي التلقي من الكتب، كما قال أبو زرعة: (لا يفتي الناسَ صَحَفي)[6] ولعلِّي أشير إلى مسألتين أجعلهما مثالاً لِمَا يترتب على الأخذ عن الكتب وحدها من سوء الفهم:

المسألة الأولى: عدم فَهْم الفَرْق بين الحكم الظاهر والباطن: قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: **(هَذَا أَصْلٌ يَنْبَغِي مَعْرِفَتُهُ؛ فَإِنَّهُ مُهِمٌّ فِي هَذَا الْبَابِ. فَإِنَّ كَثِيراً مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي «مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ»؛ لِتَكْفِيرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ. لَمْ يَلْحَظُوا هَذَا الْبَابَ وَلَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْحُكْمِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مَعَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا ثَابِتٌ بِالنُّصُوصِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْإِجْمَاعِ الْمَعْلُومِ، بَلْ هُوَ مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ. وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا عَلِمَ أَنَّ كَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ: قَدْ يَكُونُ مُؤْمِناً مُخْطِئاً جَاهِلاً ضَالاً عَنْ بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَقَدْ يَكُونُ مُنَافِقاً زِنْدِيقاً يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ)**[7].

فلمَّا غفل من قرأ كلام أهل العلم عن التفريق بين ما يكون كفراً و ما لا يكون كذلك وقع الغلط في هذا الباب.

المسألة الثانية: عدم معرفة المراد بأهل السُّنة والجماعة: فإن هذا المصطلح يطلَق بإزاء اعتقاد سلف هذه الأمة، كما يطلقه الأشاعرة والماتريدية على عقيدتهم، كما أنهم يطلقون على مذهبهم مذهب السلف؛ فمثلاً في شرح القاري على منظومة بدء الأمالي (وهي في اعتقاد الأشاعرة) قال: (ليست العبادات المفروضة محسوبة من الإيمان ولا داخلة في أجزائه... وهذا ما عليه أكابر العلماء: كأبي حنيفة وأصحابه وجمهور الأشاعرة ومذهب مالك والشافعي والأوزاعي، وهو المنقول عن السلف وكثير من المتكلمين ونقله في شرح المقاصد عن جميع المحدِّثين. ولا ينتفي الإيمان بانتفائها)[8].

قال ابن حجر في تعريفه للإيمان: (فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وأرادوا بذلك أن الأعمال شرطٌ في كماله، والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد. والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته والسلف جعلوها شرطاً في كماله)[9].

وفي كل ما سبق عدم تحرير لمسائل الاعتقاد على نهج السلف، بل هو على طريقة المرجئة في تأخير العمل عن الإيمان، ومع ذلك فقد نُسِب للسلف.

(١) المصدر السابق: (١/ ١٦٧).
(٢) مجموع الفتاوى: (٧/ ١٤٣).
(٣) أحكام أهل الذمة: (٢ / ٧٥٠).
(٤) الإصابة: (٢ / ١٩٨– ١٩٩).
(٥) انظر تهذيب التهذيب: (٧ / ٢٦٣ – ٢٧٣).
(٦) الفقيه والمتفقه: ٢/ ٩٧. والصحفي: هو الذي أخذ علمه عن الصُّحُف (وهي الكتب).
(٧) مجموع الفتاوى: (٢/ ١٤٧).
(٨) ص: (٥٤). دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٤٥هـ.
(٩) فتح الباري: (١/ ٦١).

وهو: إما عدم فَهْم لمرادهم، أو استعمال لهذا المصطلح في معنى آخر. وهو على كُلٍّ مثال لِمَا في الأخذ من الكتب من إشكالية سببت الخلط في باب الإيمان.

قال الشاطبي: (وإذا ثبت أنه لا بد من أَخْذ العلم عن أهله؛ فلذلك طريقان:

أحدهما: المشافهة، وهي أنفع الطريقين وأسلمهما؛ للخاصية التي جعلها الله - تعالى - بين المعلم والمتعلم، يشهدها كلُّ مَن زاول العلم، والعلماءَ؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويردها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلِّم فهمها بغتة.

الطريق الثاني: مطالعة كتب المصنِّفين وهو أيضاً نافع بشرطين:

الأول: أن يحصل له من فَهْم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله، ما يتم له به النظر في الكتب. وذلك يحصل بالطريق الأول ومن مشافهة العلماء، أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول من قال: كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب ومفاتحه بأيدي الرجال. والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد.

والشرط الآخر: أن يتحرى كُتُب المتقدمين من أهل العلم؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين)[1].

## ثانياً: المواقف المضادة:

فإن لردود الأفعال دوراً واضحاً في ظهور الفكر الغالي والتكفير والإرجاء في هذا العصر:

فأما فكر التكفير، فإنه (يكاد معظم الذين حللوا ظاهرة الغلو لدى هذه الجماعات، يتفقون على أن من أهم الأسباب التي دفعت بهؤلاء إلى اتخاذ هذا الموقف المتطرف، هي الحرب التي تعرَّض لها أتباع هذه الجماعات وما نتج عنها من ردود فِعْل تجاه المجتمع حكَّاماً ومحكومين؛ فإن من شباب الجماعات الإسلامية، الذين كانوا يمثلون خيرة الشباب في المجتمع المصري بدلاً من أن يجدوا العون لتحقيق آمالهم في حياة إسلامية كريمة لُفِّقت ضدهم التهم زوراً وبهتاناً. ووجدوا أنفسهم في غياهب المعتقلات وأصبحوا نهباً لسياط الجلادين وآلات التعذيب، في الوقت الذي أُطلِقت فيه أيادي أعداء الإسلام يعملون بكل حرية لهدم قيم الإسلام وتعاليمه)[2].

بل ربما أُخذَت النساء رهائن ووضعن في السجون وعُذِّبْن حتى يعود الرجال الهاربون[3].

ونتيجة لما سبق؛ فقد شعر هؤلاء بأن من قام بهذا العمل البشع، زيادة على تقصيره في تطبيق الشريعة، وغيرها من أنواع المخالفات؛ لا يمكن أن يكون مسلماً وبذلك برز فكر التكفير قوياً لدى بعض الفئات.

ولَمَّا وُجِد هذا الفكر تصدى له أهل العلم بالبيان؛ إلا أن المواقف الانفعالية والمناقشات العقلية والمعارك الكلامية ولدت ردَّة فعل مقابلة نتج عنها التوسع في استخدام شرط الاستحلال للتكفير؛ حتى اشترطوا في أعمال الكفر الصريحة: كإهانة المصحف وسب الرسول وإلغاء شريعة الله؛ فقالوا: لا يكفر فاعلها؛ إلا إذا كان مستحِلاً بقلبه، وكل هذا بغرض التثبُّت في إطلاق الكفر[4].

وحصروا الكفر بناءً على ذلك في الجحود والاستحلال[5].

وقد صرَّح من يعتقد ذلك بأنه فعله: (رداً على الوالغين في تكفير المسلمين، من الذين جعلوا مسألة تكفير الحكام من أصول مسائلهم الكبرى وفتنتهم العظمى)، و (أن الحركيين الإسلاميين بالغوا في تكفير العصاة والمخالفين وبخاصة حكام المسلمين)[6].

وهكذا كان لردود الأفعال دور في ظهور الغلو في كلا الجانبين المتقابلين.

## ثالثاً: عدم القدرة على التعامل مع الوضع الراهن:

إن في هذا العصر من المشكلات ما لم يمرَّ على الأمة مثله: من هَجْر التحاكم لكتاب الله، والإيغال في إيذاء الناصحين، وتكالب الأمم، والتصريح بعداوة الدين من بعض من ينتمي إليه، وبأنه غير صالح للتطبيق، كل ذلك على نحو غالب؛ ولهذا يفارق ما مضى على الأمة؛ فإنها وإن وُجِد فيها النقص والخطأ؛ إلا أنها لم تشهده بشكل غالب إلا في العصر المتأخر.

---

(١) الموافقات: (١/ ١٤٥).

(٢) تضمين من كتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: ص (١٠٨)، بتصرف.

(٣) انظر: التكفير جذوره أسبابه مبرراته، د. نعمان السامرائي: ص (٤٤).

(٤) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص (٣٩١).

(٥) صيحة نذير: ص (٣٩).

(٦) الملحق (ب) لكتاب حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها: ص ١٦١. وهو المتضمن لنص توبة أحد المقصودين بفتوى اللجنة الدائمة للإفتاء رقم: ٢٠٢١٢ في: ١٤١٩/٢/٧هـ.

**بسبب انتشار التعليم وفُشُوِّ الكتابة في هذا الزمن كثر التلقي والأخذ من كتب العلم مباشرة دون مشافهة العلماء وترتَّب على ذلك خطأ كثير: كعدم فَهْم المصطلحات الشرعية على الوجه المطلوب، وعدم تحرير مسائل النزاع، وعدم التنبه لما في بعض الآراء من غلط**

وقد ترتب على ذلك احتياج الأمة إلى فقيه النفس القادر على التعامل مع هذه المشكلات وإبداء الحل الشرعي لها، والذي لا يحاول تسويغ الواقع على حساب الدين، ولا يغيِّب نفسه عن تأمُّل ودراسة واقع الأمة والمجتمع.

وبدلاً من أن يخرج الفقيه المتمكِّن من الاجتهاد في نوازل العصر، فقد شهد القرنان الماضيان وما قبلهما سداً لباب الاجتهاد، ومنعاً منه؛ بل صار القول بالاجتهاد من الكبائر، بل ربما وصل حدَّ الكفر. ولقد كان من التهم الموجهة من خصوم الدعوة السلفية إلى علمائها، هي دعوى الاجتهاد [1].

وفي محاولة التعامل مع الواقع في ظل غياب الفقهاء المتمكِّنين، برز اتجاهان:

- اتجاه لم يستطع التعامل مع الأخطاء فدعا إلى عزلة الناس ومفاصلة المجتمع الجاهلي بمؤسساته ونُظُمه، وحَكَم على المجتمعات بالكفر لرضاهم بالكفر وعدم قيامهم (بالحد الأدنى من الإسلام) [2].

- واتجاه آخر سوَّغ الواقع بكل أشكاله وقرَّر أن من تكلَّم بالشهادتين فهو من أهل الإسلام، ولو فعل ما فعل من ضروب الكفر والشرك حتى نعلم أنه في قلبه جاحد أو مستحل.

والحقيقة أن من أيقن بالإسلام وصدَّق به عالمٌ لا محالة أنه بقواعده العامة وكُلِّياته حالٌّ لكل وَضْع، شافٍ لكل عَيِي، ومن أتقن أصوله وفَهِم مقاصده لن يعجزه أن يجد لكل نازلة من النوازل في الشرع حُكْماً وحلاً؛ إذا صدق النية ورُزق التوفيق.

(١) انظر مزيداً من البحث في هذه المسألة في كتاب: (الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر)، لعلي بن بخيت الزهراني: (٢/ ٨٩ وما بعدها).

(٢) البينة، جمال سلطان: ص (٥٠). و (الحد الأدنى) مبدأ لدى (جماعة المسلمين) المعروفة بالتكفير والهجرة بيَّن المراد به في المرجع السابق. وانظر: ضوابط التكفير، د. عبد الله القرني: ص (١٠٥ وما بعدها).

## رابعاً: المقاصد السقيمة لأدعياء العلم:

ومن أبرز هذه المقاصد التي دفعت إلى ظهور هذين الاتجاهين: التعصب للمشايخ ومحاولة تسويغ الواقع، وعدم الرجوع للحق بعد تبيُّنه. والجامع لكل ذلك أنه اتِّباعٌ للهوى.

واتباع الهوى اعتقادٌ يتبعه استدلال ويتلوه تحريف لكل دليل مخالف، بعكس أهل الحق الذين يتَّبعون الأدلة ثم ينقادون لها فيعتقدون بعدما يستدلون.

قال ابن تيمية: (إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف، صار أهل التفريق والاختلاف شيعاً. وصار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن واحتجوا به، وما خالفها تأوَّلوه؛ والمقصود أن كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الإيمان الذي جاء به الرسول، بخلاف السلف؛ فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً وخطؤهم أخفُّ وصوابهم أكثر كما قَدَّمناه) [3].

وقد يزيد من قوة تأثير هذا السبب أن يُعرض العلماء (الربانيون) عن إيضاح الحق وبيان الموقف الصحيح لأي عذر.

## خامساً: عدم رد المتشابه للمحكم:

فقد أخبر الله - تعالى - أن آياته منها المتشابه ومنها المحكم. وبيَّن سبيل مرضى القلوب من اتِّباع المتشابه وعدم ردِّه للمحكم، وفي المقابل يكون سبيل الراسخين في العلم ردَّ المتشابه إلى المحكم.

والمتشابه هو غير واضح الدلالة مما له تصريف وتأويل فيمكن حَمْله على المعنى الفاسد من حيث لفظُه وتركيبُه [4]. قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

والواقع في من يتبنى مناهج مخالفة لهدي السلف أنَّه يعمد إلى نص فيجعله عمدته؛ وكأنه لا معارض له؛ كيف وقد عَارَضَهُ ما هو أرجح منه؟ أو يجعل ما ورد في مسألة مخصوصة هو القاعدة العامَّة دون العكس.

وبعد: فما سبق إنما هي وقفات يسيرة في هذا الموضوع الذي يستحق أن يُتوَسع فيه أكثر، والله الموفق لا إله إلا هو.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٣/ ٥٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٧، ٩) دار عالم الكتب.

مكتبة الرشد ناشرون

# أحدث الإصدارات

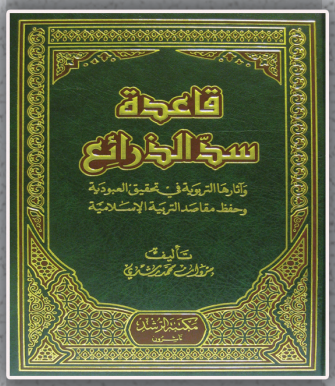


قاعدة سد الذرائع
تأليف
مروان محمد رشدي

شرح إعتقاد أئمة الحديث
تأليف
حمد بن إبراهيم بن محمد العثمان

الربانيون
تأليف
الدكتور محمد أديب الصالح

القواعد الأصولية عند ابن تيمية
تأليف
د.محمد بن عبدالله بن الحاج التمبكتي الهاشمي

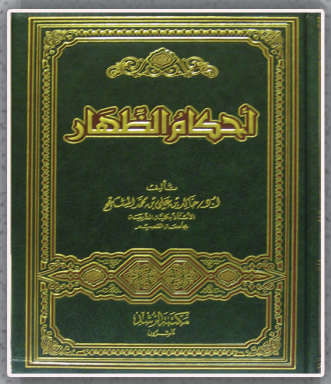


أحكام الظهار
تأليف
أ.د / خالد بن علي بن محمد المشيقح

بحوث محكمة في العقيدة الاسلامية
تأليف
الدكتور عواد بن عبدالله المعتق

www.rushd.com.sa
info@rushd.com.sa

المركز الرئيسي . الرياض طريق الدائري الغربي ( ٤٣٢٩٣٣٢ ) فرع طريق عثمان بن عفان ( ٢٠٥١٥٠٠ )
فرع الدائري الشرقي ( ٤٩٧١١٩٩ ) مكة المكرمة (٥٥٨٥٤٠١) جدة ( ٦٧٧٦٣٣١ ) المدينة المنورة ( ٨٣٤٠٦٠٠ )
القصيم (٣٢٤٢٢١٤) أبها (٢٣١٧٣٠٧) الدمام (٨١٥٠٥٦٦) حائل (٥٣٢٢٢٤٦) الاحساء(٥٨١٣٠١٥) تبوك (٤٢٤١٦٤٠)

# النقد إصلاح لا انتقام

صلاح بن فتحي هَلَل

**النقد (أَمْـرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن منكر) غرضه الإصلاح والارتقاء بالمجموع، وما كان غرضه الإصلاح قد يؤلم، لكنه لا يهدم، ولهذا جاءتْ به الشرائع وشدَّدتْ على ضرورته، وضبطتْه بضوابط شرعية، تحفظ له حيويته، وتمدُّه بالاستمراريَّة، من جهة، ومن جهة أخرى تحفظ له نصاعته؛ فلا تشوبه شائبة حقْد، ولا يُكدِّره دخان هوًى.**

فالنَّقْد على هذا رسالة من «رسائل الإصلاح»، وليس ساحةً للانتقام، أو ميداناً لإخراج ما قد يكون بين الناقد وبين الآخرين من أحقاد.

يقولُ الْإِمَامُ أبو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ – رحمه الله –: «كلُّ مَنْ لم يَتَكَلَّم في هذا الشَّأن عَلَى الدِّيانة؛ فإنَّما يعطبُ[1] نفسَهُ، كلُّ مَنْ كَانَ بينه وبين إنسان حقدٌ أَوْ بلاءٌ يجوز أن يذكره. كَانَ الثَّوْرِيُّ، ومَالك يَتَكَلَّمُون في الشيوخ عَلَى الدِّين؛ فنفذ قولهم، ومَن لم يَتَكَلَّم فيهم عَلَى الدِّيَانَة[2] يرجع الأمر عَلَيْه»[3].

وقَالَ الْإِمَامُ الْخَلِيلِيُّ – رحمه الله –: «ويحتاجُ في هذا الأمر إِلَى الدِّيَانَة»[4].

وقَالَ الْإِمَامُ الْآجُرِيُّ: في ذِكْر صِفَة الْعَالِم في طَلَب الْعِلْم: «فَطَلَبَ الْعِلْمَ؛ لينفي عن نَفْسه الْجَهْل، وَلْيَعْبِد الله كما أَمَرَهُ، لَيْس كما تهوى نَفْسُهُ، فَكَانَ هذا مُرَادُهُ في السَّعْي في طَلَب الْعِلْم، مُعْتَقِداً الْإِخْلَاص في سَعْيِه»[5].

وقَالَ الْإِمَامُ حَمَّادُ بن زَيْد – رَحِمَهُ اللهُ –: «كَلَّمْنَا شُعْبَةَ أَنَا وعَبَّادُ بنُ عَبَّاد وجَرِيرُ بن حَازِم في رَجُل، قُلْنَا: لو كَفَفْتَ عَنْهُ؟ قال: فَكَأَنَّهُ لَانَ وأَجَابَنَا. قال: فَذَهَبْتُ يَوْماً أُرِيدُ الْجُمُعَةَ فَإِذَا شُعْبَة يُنَادِيني من خَلْفِي، فقال: ذاك الَّذِي قُلْتُم لي فيه لا أراه يَسَعُنِي»[6].

وَقَدْ سُمِّيَ الرَّجُل المذكور في رواية أُخْرَى، عن حَمَّاد بن زَيْد قال: «أَتَيْتُ

---

(١) يعطب: يهلك.

(٢) كانت في نشرة «الضُّعَفَاء»: «عَلَى غير الدِّيَانَة» كذا، والمثبت هُوَ الظاهر بحذف «غير»، ولَعَلَّها: «ومن يَتَكَلَّم فيهم عَلَى غير الدِّيَانَة» بإسقاط «لم»، والله أَعْلَم.

(٣) «الضُّعَفَاء لأبي زُرْعَةَ وأجوبته عَلَى أسئلة البرذعي»، أبو زُرْعَةَ وجهوده للهاشمي: ٢/٣٢٩.

(٤) «الْإِرْشَاد» لِلْخَلِيلِيِّ: ١/٤٠٨.

(٥) «أَخلاق الْعُلَمَاء» للآجُرِّيّ: ص/٤٧، ت: إِسْمَاعِيل الْأَنْصَارِيُّ، ط: مكتبة التوعية الإسلامية القاهرة بدون تاريخ ورقم الطبعة.

(٦) «الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» لابن أَبِي حَاتِم: ١/١٧١، ٢/٢١.

أَنَا وعَبَّاد بن عَبَّاد إِلَى شُــعْبَة بن الْحَجَّاج فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ أَبَان بن أبي عَيَّاش[1]، ويســكت عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ من الْغَد خَرَجْنَا إِلَى مســجد الْجَامِع، فَبَصُر بنا، فنادانا، فقال: يا أبا مُعَاوِيَة![2] نظرتُ فيما كَلَّمْتُمُونِي فوجدتُ لا يَسَعُنِي السكوت. قال حَمَّاد: وَكَانَ شُعْبَة يَتَكَلَّم في هذا حِسْبَةً»[3].

ويؤكد هذا قول شُــعْبَة في بعض روايــات القصة عِنْدَ العقيلي في «الضُّعَفَاء»: «لا يحل الكف عَنْهُ؛ لأَنَّ الأمرَ دِين»، وفــي رواية لابن حبان في «المجروحين»: قال شُــعْبَة: «إِنَّك سَأَلْتَنِي أَنْ أَكُفَّ عن أَبَان، وإِنَّه لا يحل الكف عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَكْذِب عَلَى رَسُول الله ﷺ».

فظهرَ من ذَلِكَ أن شُعْبَة: إِنَّمَا كَانَ يَتَكَلَّم في رواة الْأَحَادِيث حِسْبَةً لله - عز وجل - حَتَّى لا يُنْسَب الْوَهْم والْكَذِب والْخَلَل إِلَى شــريعة الله، أَوْ ينتشرَ الْكَذِب عَلَى رَسُوله ﷺ، وأَنَّ بيانَ ذَلِكَ مِنْ ضَرُورَات الدِّين التي لا بد مِنْها، صيانةً للسُّنة.

قَالَ ابنُ رَجَب الْحَنْبَلِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «ولهذا كَانَ شُعْبَة يقول: تعالَوا حَتَّى نَغْتَاب في الله سَاعَة؛ (يَعْنِي: نذكر الْجَرْح والتَّعْدِيل). وذكرَ ابنُ الْمُبَارَك رجلاً، فقال: يَكْذِب. فقال له رجلٌ: يا أبا عَبْد الرَّحْمَن! تغتاب؟ قال: اســكت! إِذَا لم نُبَيِّن؛ كَيْفَ يُعْرَف الْحَقُّ مِن الْبَاطِل؟ وكذا رُوِيَ عن ابن عُلَيَّة[4]؛ أنه قال في الْجَرْح: إِنَّ هذا أمانة، لَيْس بغِيبَة»[5].

قالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَقَدْ أخبر النَّبِيُّ ﷺ بأن في أمته ممن يجيء بعده كذابين، فحذَّر مِنْهُم، ونهى عن قبول رواياتهم، وأَعْلَمَنَا أَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْه لَيْس كالْكَذِب عَلَى غيره، فوجبَ بذلك النَّظَر في أحوال المحدِّثين، والتفتيش عن أُمُور الناقلين، احتياطاً للدين، وحفاظاً للشــريعة من تلبيس الملحدين»[6].

وأطالَ الْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ - رحمه الله - الاستدلال لهذا المبحث بالْأَحَادِيث والآثــار، وأَبَانَ - رحمه الله - الفرقَ بين الغِيبة المحرَّمة شــرعاً، وبين الْجَرْح والتَّعْدِيل اللازم لحفظ الدِّيَانَة، وبيان الثِّقَة من الضعيف، والصادق من الْكَاذِب، وأن الغيبة: «ذِكْــر الرَّجُل عيوب أخيه؛ يقصد بهــا الْوَضْع مِنْهُ، والتَّنَقُّص لــه، والإِزْرَاء به، فيما لا يعود إِلَى حُكْم النَّصِيحَة، وإِيجاب الدِّيَانَة؛ مِن التَّحْذِير عَن ائْتِمَان الْخَائِن، وقبولِ خبرِ الْفَاسِق، واسْتِمَاع شهادة الْكَاذِب»[7].

(١) متروك الْحَدِيث.

(٢) وهي كُنْيَة عَبَّاد، وهو: عَبَّادُ بنُ عَبَّاد بن حَبِيْب البصري، أبو مُعَاوِيَة، تُوفِّي سنة ١٨١هـ وقيل: ١٨٠هـ، وَكَانَ - رحمه الله - رجلاً فاضلاً عاقلاً أَدِيباً مَعْرُوفاً بطَلَب الْعِلْم حَسَنَ الْهَيْئَة، ترجمتُه في «تهذيب الكمال» للمِزِّيِّ، ومِنْها استفدتُ ما ذكرتُه بشأنه هنا.

(٣) «تَقْدِمَة الْمَعْرِفَة لِكِتَاب الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» لابن أَبِي حَاتم، ص:١٧١. والقصة مشهورة من غير وجه في: «الْعِلَل ومَعْرِفَة الرِّجَال» لأحمد: ٢/٥٣٦، رقم: ٣٥٤١، و«الضُّعَفَاء» للعقيلي: ٢٢، و«المجروحين» لابن حبان: ١/٨٩ - ٩٠، ت: السَّلَفي، ٩٦/١، ت: زايد، و«الكامل» لابن عدي: ٢/٥٨، و«الكفاية» للخطيب: ٨٩ - ٩٠، و«تهذيب الكمال» لِلْمِزِّيِّ: ٢/٢١.

(٤) وهو الإِمَام إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم، وعُلَيَّة أُمُّه - رَحِمَهُ اللهُ - ولكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْه النِّسْبَة إليها.

(٥) «شرح الْعِلَل» لابن رَجَب: ١/٣٤٨ - ٣٤٩، ت: د. همام سَعِيد، ويُنْظَر لذلك: «الضُّعَفَاء للعقيلي»: ١/١١، ١٥، و«الكفاية» للخطيب: ٧٨ - ٩٢، باب وجوب البحث والسُّؤَال للكشف عن الأُمُور والأحوال، والباب التالي له.

(٦) «الكفاية» للخطيب، ص: ٧٨

(٧) المصدر السَّابق، ص: ٨٥. وَقَدْ أطال ابن حبان في مقدمة «المجروحين»، وغيره، في بيان هذا الأصل، فراجِعه عندهم.

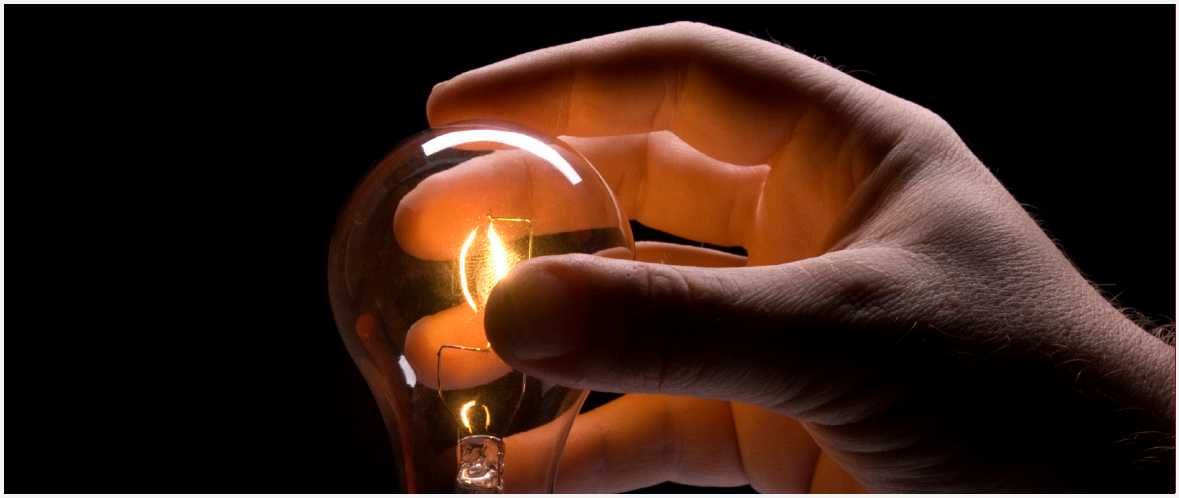

فظهر من هذا؛ أَنَّ الْكَلامَ في الرُّوَاة جرحاً وتعديلاً مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّة لحفظ الشَّريعَة، ومن الأمر بالْمَعْرُوف والنَّهْي عن الْمُنْكَر، حِسْبَةً لله - تعالى - ودفاعاً عن دينه.

ويؤكِّدُ هذا: قَوْلُ الإمَام عَبْد الرَّحْمَن بن مَهْدِيّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «كَانَ شُعْبَة يَتَكَلَّم في هذا حِسْبَةً»(١).

وقَالَ أَحْمَدُ بن سنان الواسطي: «قُلْتُ لعبد الرَّحْمَن بن مَهْدِيّ: لِمَ تَرَكت حَديث حَكيم بن جُبَير؟ فقال: حَدَّثَني يَحْيَى الْقَطَّان، فقال: سَأَلْتُ شُعْبَة عن حَديث من حَديث حَكيم بن جبير، فقال: أخاف النَّار». فَعَلَّقَ الإمَام ابنُ أَبي حَاتم - رحمهما الله - عَلَى ذَلكَ بَعْدَ إيراد القصة، فقال: «فَقَد دَلَّ أَنَّ كلامَ شُعْبَة في الرِّجَال حِسْبَةً يَتَدَيَّن به، وَأَنَّ صورةَ حَكيم بن جُبَيْر عنده صورةَ مَنْ لا يَسَع قبول خَبَره ولا حَمْل الْعِلْم عَنْهُ؛ فَيُلْحَقُ برَسُول الله ﷺ ما لم يَقُلْه»(٢).

ولهذا كَانَ الشَّافعيُّ - رحمه الله - يقول: «لولا شُعْبَة ما عُرِفَ الْحَديث بالعراق، كَانَ يجيء إلَى الرَّجُل، فيقول: لا تُحَدِّث! وإلَّا اسْتَعْدَيْتُ عَلَيْكَ السُّلْطَان».

وقال وَكيع: «إنِّي لأَرْجو أنْ يرفعَ اللهُ لشُعْبَة دَرَجَات في الْجَنَّة بذَبِّه عَنْ رَسُول الله ﷺ»(٣).

وقَالَ الإمَامُ يَزيد بن هَارُون (ت ٦٠٢) - رَحِمَهُ اللهُ -: «لولا أَنَّ شُعْبَةَ أَرادَ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - ما ارْتَفَعَ هكذا». قال: ابنُ أبي حاتم: «يَعْني: بكلامه في رُوَاة الْعِلْم»(٤).

فالنقد للرجال أو لغيرهم دِينٌ، يتقيَّد فيه الناقد بقيود الدين، ويتعلَّق بأهداب النصوص، وليس من حقِّه ولا يسعه أن يتجاوز الشريعة؛ فيضبط لنفسه ضوابط خاصة، أو يسلك سُبُلًا مخترَعة من لدُنه، يتوصَّل بها إلى إلحاق الأذى بالآخرين تحت مُسمَّى النقد، أو يتقيَّأ حِقْدَه على آخر ويسميه غَيْرةً على الشريعة؛ إذ الشريعة في غِنًى عن الغَيْرَة عليها بإخراج الضغائن والأحقاد، أو الدفاع عنها بذِكْر المثالب والعيوب الخارجة عن ميدان النَّقْد ومطلوبه.

والنقد ليس عملًا منفصلًا عن الشريعة، وإنما هو عملٌ يسير وَفْقَ رؤيتها وضوابطها التي حدَّدَتها له، لا يخرج عنها، ولا يسعه الخروج عن حُكْم الشريعة، وإلا صار عملًا مُجَرَّماً شرعاً، تسري عليه نصوص التجريم الشرعية حسْب درجة الجُرْم المتوفِّر فيه؛ فينال عقابه حسْب إثمه وما اقترفه، ويخرج بهذا عن صراط الإصلاح إلى ساحة التجريم، وشتَّان بين الأمرين.

وبناءً عليه يلزم الناقدَ أن يضبط نفسه وما يصدر عنه بضابط الشرع لا غير، فلا مجال للهوى أو الضغائن والأحقاد تحت مُسمَّى النقد.

وقد ركب بعضُهم قطار الحقْد والهوى، في رسوم الناقد العدل، فما لبث أنْ انكشف عواره، وظهرتْ دَخيلَةُ نفسه، فارْتَدَّ عليه نَقْدُه، وتعثَّرت قدماه، وصار المشكوُّ في حقِّه سالماً، لم تثبتْ عليه تهمةٌ أو جناية، وهكذا عهدنا الحقد يهدم صاحبه، ويجعله أول المكتوين بناره.

وفي «لسان العرب» لابن منظور: قال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفيُّ:

وما بَرِحَتْ نَفْسٌ لَجُوجٌ حُشِيتَها
تُذِيبُكَ حتى قِيلَ: هل أَنتَ مُكْتَوي؟

فالسعيد مَن كان من أهل هذه الآية الكريمة التي قال الله - عز وجل - فيها: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ

(١) «الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» لابن أبي حاتم: ٢/ ٢١.
(٢) «الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» لابن أَبي حَاتم: ١/ ١٧١ - ١٧٢، ٢/ ٢٢.
(٣) «المجروحون» لابن حبان: ١/ ٣٤، ت: السَّلَفي، ١/ ٣١، ت: زايد.
(٤) «الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» لابن أَبي حَاتم: ١/ ١٧١، ٢/ ٢١.

آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

كذلك لا مجال للتساهل في نقْل الشائعات وتداوُلها، أو الاحتجاج بشُيوعها؛ فإنَّ شَيْعُوعَة الفعل ليست دليلًا على صحَّته، وصاحبُ الكذبة وناقلُها العالمُ بإفكها قد تعاونا على إثْم الكذبة وعدوانها؛ فتُلصق بهما تهمة الافتراء والبُهتان، ومَن احْتَرَف النَّقْل بغير تَثَبُّت لدغَتْه عقارب الأكاذيب، و«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[1]، وعلى السَّامع أن يفحصَ مسموعاته. قال - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] فإذا سَمِعَ عن إخوانه شَرّاً أَحْسَنَ بهم ظَنَّه، ولم يُبادر بالتصديق والاتهام حتى تَثْبُت التهمة بيقين، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

كذلك يجب على الناقد أن يُفَتِّش مسألته ويُتأَهَّب لها قبل الخوض فيها، بكثير من التدبُّر والتفكير والاستشارة والتحرير لمقصودها وأركانها وأحوالها، حتى تتضح له معالمها، فَيَصلَ إلى مطلوبه من النَّقد؛ لأن الحكم على الشيء فَرْعٌ على تصوُّره، فإذا حصل قصورٌ في التصور حصل مثله في النتيجة حتماً، وأضرَّت النتيجة بأبرياء وآذتهم من حيثُ لا يشعر الناقد؛ فلا هو حصَّل مطلوبَه من نقْده، ولا سَلِم منه الأبرياء.

وقد رأينا بعض الذين تصدَّوا لنقْد الآخرين قد فقدوا تصوُّر مطلوبهم، فجاءت نتائجهم على غير محلِّها، منافية لحقائق الواقع وطبائع الأمور، فوقع أذاهم على الأبرياء.

ومن تصوُّر الأمور على حقيقتها أيضاً: التفريق بين الانتماء الاسمي والانتماء العقدي، فقد ينتمي الإنسان - اسماً - إلى حزْب أو جهة ما، لكنه لا يتفق مع هؤلاء في العقيدة ضرورةً؛ ففي أتباع المذاهب الأربعة من ينتسب إلى أهل السُّنة، ومنهم مَن انتسب لهذه المذاهب من حيثُ الفقه، وخالفها في اعتقاده، كابن الجوزي الحنبلي، والسبكي الشافعي، وغيرهم من المنتسبين للمذاهب الفقهية، مع مخالفتهم لأئمتها في العقيدة، مَع أننا لا نُبَرِّئ أحداً انتمى لغير الحق (اسماً أو صفةً)؛ ففي الانضواء تحت مُسمَّى الباطل تكثيرٌ وإعانةٌ له، وفيه تغريرٌ ظاهرٌ بالعامة، لكن لا يحول إثمه في انتمائه الاسمي عن الاعتراف له بما فيه من بقيَّة خير، وسلامة اعتقاد في جوانب عديدة، كما أنَّ انتماء الإنسان لاسم الحق لا يكفل له العصمة الدائمة، والواجب: العدل والإنصاف مع الجميع، وتحرير الأمور على حقائقها حيثُ هي لا حيث نتمنى لها أن تكون.

وأخيراً؛ فمن تصوُّر الأمور على حقيقتها، والتنزُّه عن الأحقاد والأضغان في النقد، عدم تشتيت الهدف المقصود من النقد، والخروج به عن مطلوبه المُعْلَن في عنوانه، إلى مطلوبات تشي برغبة عارمة في هدم المشكوِّ في حقِّه، وقد وقفتُ في هذا الباب على أعاجيب وغرائب، أعلن أصحابها عن نقدهم لجوانب ثم أسهبوا في أخرى، وغالباً ما تُخْرِج الضغينة الناقدَ عن مساره العلمي ليُسْهب في مسار شخصيٍّ بعيداً عن الدين والعلم؛ كأنْ يتحدَّث عن شأن عالم أو مُحَقِّق أو رجل في مسألة غير التي يتعرَّض لها الناقد؛ فيبدأ كلامه بنقد بحث أو كتاب، لا يلبث أن يتركه، وربما نسيه إلى أنْ ينتهي بثلب مؤلِّف البحث أو الكتاب في شخصه وعِلْمه؛ فلا يدعه حتى يُجَرِّدَه من كل فضيلة (شخصية أو مَزِيَّة علميَّة).

فالواجب على الناقد أن يتحلَّى بالإنصاف والتجرُّد والعدل، وأن يُحَرِّرَ مقصوده ومطلوبه من نقده، ويُعَيِّن قضيته التي يريد الوصول إليها، ويعلم أنَّ المواهب أرزاق؛ فمَنْ رزَقَهُ الله - عز وجل - جودة التأليف في علوم الحديث فقد يَحرِمه درك الصواب في الفقهيات؛ فليس من العدْل والإنصاف أنْ يُجَرِّده الناقد من علمه بالحديث إذا ما أخطأ في مسألة فقهيَّة معينة؛ إذ الجهة مُنفكة، ولا تلازم بين الخطأ في مسألة والإصابة في أخرى، وعلى الناقد أن يُحْسِن تخليص هذه من تلك، فيميز بينهما، حتى لا تطغى واحدةٌ على أخرى؛ فيعترف بالصواب في ما أصاب فيه مَنْ وقع عليه النقد واللوم في مسألة قد أخطأ فيها بيقين؛ إذْ ليس شرطاً أن يحيط به الخطأ على الدوام؛ فالكذوب قد يصدق والضعيف قد يُرَجَّح على الأقوى منه ثقة وعدالة، وكما قال النبي ﷺ عن الشيطان لما صَدَقَ أبا هُريرة - رضي الله عنه -: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»[2].

وَفَّقَ الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارك على عبدك ونبيك محمد! وارضَ اللهمَّ! عن آله وأصحابه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح ابن حبان.

(٢) رواه البخاري ٢٣١١.

# «بكة» ولو كره الكافرون

فيصل بـن علـي الكاملي

«بكة» التي بَكَّت أعناق الجبابرة من قَبْلُ لا تزال تبكُّ أعناق الذين يلبِسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون

**في تعليق له على «سِفْر المزامير»[1] ينقل اللاهوتي القس «جورج بوش»[2] عن المفسِّر «روزِنْمولر»[3] قوله: «إن الجزء الأول من المزمور (الرابع والثمانين) لا يمكن إيضاحه بمثالٍ (ولا يُسأ فهم مقصدنا) خيرٍ من أولئك الذين يحجون إلى مكة»[4]. وهو هنا يعرِّض بالمسلمين كما سترى؛ فما هي الحقيقة التي يخشى أن ينصرف إليها كلامه؟**

(١) سِفر المزامير: أحد أسفار العهد القديم التي يشترك في قبولها اليهود والنصارى وينسبونه إلى داود، عليه السلام.

(٢) جورج بوش: لاهوتي ومفسر أمريكي يلتقي نسبه بالرئيس الأمريكي الأسبق «جورج ووكر بوش». له كتاب: «حياة محمد (ﷺ)» وتفاسير على ما يسمى بالكتاب المقدس. هلك عام ١٨٥٩ م.

(٣) إرنست فريدريك روزنمولر: لاهوتي ومفسِّر ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية بجامعة «لايبسيج» الألمانية، وله مؤلفات وتفاسير لِمَا يسمى بالكتاب المقدس. هلك عام ١٨٣٥ م.

(4) Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott Co., 1865), p. 396.

**يقول المزمور الرابع والثمانون وَفْقاً لترجمة «فاندايك» العربية الشهيرة:**

«طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبِّحونك (سلاه)، طوبى لأناس عِزُّهم بك، طُرُق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء يصيِّرونه ينبوعاً، أيضاً ببركاتٍ يُغطُّون مورة، يذهبون من قوة الى قوة يُرَون قدَّام الله في صهيون». (مزامير ٨٤)

إن غموض المعنى في هذا المزمور يوحي بأن تحريفاً قد حصل من قِبَل المترجمين، وهو ما يجعل الرجوع إلى الأصل العبراني[5] أمراً لا مندوحة عنه. يقول النص العبراني:

**«آشري يوشفي فيتخا عود يهلِّلوخا؛ آشري آدام عوزلو باخ، مسيلوت بِلفافام، عوفري بِعمق**

(٥) يعد «الأصل العبراني» المتداول أصلاً للنسخ المحرفة التي بين أيدينا، لكنه ليس هو التوراة الأصلية ولا قريباً منها، فهو زاخر بالتحريف والتبديل.

**هبكا معيان يشيتوهو، جم براخوت يَعطه موره، يلخو محايل إل حايل، يرائيه إل إلوهيم بصيون».**

يتحدث النص هنا عن بَركةٍ تنال صنفين من الناس:

أحدهما: «**يوشفي فيتخا**»؛ أي: «ساكنو بيتك» (أي: بيت الرب) ويصفهم النص بأنهم يسبِّحون الرب أبداً فهم في عبادة دائبة.

والصنف الآخر: «**عوفري بعمق هبكا**»؛ أي: «عابرو وادي البُكاء»، وهم الذين يأتون من كل فج عميق وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى بيت الله: «طُرُق بيتك في قلوبهم».

وهذان الصنفان اللذان أشير إليهما في سفر المزامير ورد ذِكْرهما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول - تعالى - في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

يعلِّق الشيخ السعدي قائلاً: «يخبر - تعالى - عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومَنْع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس مُلْكا لهم ولا لآبائهم، **بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه**»[1].

فـ «العاكف» (أي: المقيم) في الآية الكريمة يقابله «ساكنو بيتك» في نص المزامير، و«البادِ» (أي: الطارئ على البيت) يقابله: «عابرو وادي البكاء». لكنَّ وادياً باسم «البكاء» لم يُعهَد بمكة حتى يقال بأن النص إشارة إلى وفود الحجيج. فأين يقع «وادي البكاء» إذن؟

لقد تخرَّص شارحو العهد القديم أيما تخرُّص عند تفسيرهم لوادي البكاء؛ فقال البعض بأنه سمي كذلك لكثرة بكاء الحجيج[2] أثناء عبورهم إلى القدس، مع أن القدس «أورشليم» غير مذكورة في نص المزمور. وقال آخرون هو اسم لشجرة «البكاء» التي ربما كانت تملأ الوادي؛ إلا أن عالم الآثار «الإسكندر ماكاليستر» يؤكد عدم وجود مثل هذه الشجرة في أرض فلسطين[3]؛ لذا أقر البعض بأن الكلمة العبرية **(ب ـ ك ـ ا)** أكثر الكلمات صعوبة في سفر المزامير.

وبالرجوع إلى النص العبراني نجد أن «وادي البكاء» ترجمة لـ «**عِمق هـ ـ بكا**». فأما «عمق» فتعني: «وادي»، وأما الهاء فهي أداة التعريف في العبرانية. لكن الذي لا يسلَّم لشُرَّاح العهد القديم، هو أن: «بكا» في هذا الموضع هو البكاء؛ فالكلمة هنا علَم على موضع يدعى: «بكا» لا يعرفه الشرَّاح، أو لا يريدون معرفته. يقول تفسير The New Interpreter's Bible لِمَا يسمى بالكتاب المقدس: «بكا» يؤخذ عادة على أنه اسم علم مكانه مجهول، لكن يظهر أنه بقعة جرداء، إليها يجلب الحجاج غوثاً»[4]. ولهذا اكتفت جُلُّ النُّسخ الإنجليزية بكتابة الاسم كما هو Baca. انظر كيف تبيَّن لهم الحق ثم انظر أنَّى يؤفكون!

إن الترجمة الصحيحة لـ «**عِمق هـ ـ بكا**»، هي: «وادي بكة» الذي فيه بيت الله الحرام. قال - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧]. ولولا خشية الإطالة لأوردت أقوال المخالفين من اليهود والنصارى وردَدْت عليها، لكن المقام هنا يتطلب الإيجاز.

ثم يضيف النص العبري قائلاً: «**معيان يشيتوهو**»، وقد ترجمته النسخ العربية بـ: «يجعلونه ينابيع ماء» ونحوه. أما النسَخ الإنجليزية فتباينت في ذلك كثيراً؛ فمنها ما وافق النُّسخ العربية ومنها ما ترجمه بـ: «يعُدُّونه عيناً» كنسخة «الجمعية اليهودية للنشر»، ومنها ما ترجمه بـ: «يجدون ماء عين يشربون منه» كـ «النسخة الأمريكية الحديثة». وعلى الرغم من اختلاف هذه النسَخ؛ إلا أنها تتفق في وجود عين أو بئر حول هذا البيت الحرام. وهذا لا يَصْدُق إلا على بئر زمزم التي نبعت من تحت قدمَيْ إسماعيل، عليه السلام.

يستمر النص العبراني قائلاً: «**جَم براخوت يَعطه موره**» وترجمتها وَفْقاً لنسخة «فانديك» العربية: «أيضاً ببركاتٍ يُغطُّون مورة»، وقد أبعد المترجمون النجعة، فجاءت ترجمتهم باهتة لا تناسب السياق. والصحيح أن «براخوت يَعطه موره» تعني: «الشارع (أو المُشرِّع) يمنح البركات» وإليه ذهبت الترجمة السبعونية اليونانية. أما البركات هنا فهي التي أشير إليها في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

---

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تفسير سورة الحج.
(٢) وهو مما قيل في تفسير اسم «بكة».
(3) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), «Balm».
(4) The New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994), Vol. 4 ,pp.101314.

ثم يصف النص بعض أعمال الحجيج بقوله: «**يلخو محايل إل حايل**»، وتفسيرها: «يذهبون من قوة إلى قوة»؛ كما تزعم نسخة «فانديك» وغيرها. وكان هذا الجزء من النص هو الذي دفعني إلى دراسته بلغته الأصلية؛ فالنص في ترجمته العربية وأغلب الترجمات الإنجليزية شديد الركاكة كما ترى؛ لا يُدرى المراد منه؛ فلما رجعت إلى النسخة العبرانية وجدت أن الكلمة «حايل» (**ح-ي-ل**) قد تُرجمت مجازاً لا على الحقيقة، وأن الكلمة تقابل في العربية كلمة «حائل»؛ وهو الحاجز بين شيئين، فهو السور والجبل والتل والمرتفع من الأرض. وبَقِيتُ مدة أبحث في المعاجم العبرانية وترجمات العهد القديم إلى أن وجدت بغيتي أخيراً في الترجمة العربية اليسوعية التي ترجمت الفقرة بقولها: «من ذُروة إلى ذُروة يسيرون». ثم زادني يقيناً ما وجدته في الترجمة العربية المشتركة: «ينطلقون من جبل إلى جبل» فأدركت أني لم أكن واهماً وأن الفقرة تشير إلى السعي بين الصفا والمروة.

ثم يختم النص هذه الصورة بقوله: «**يرائيه إل إلوهيم بصيون**» وتفسيرها حسب ترجمة «فانديك» «يُرَون قدَّام الله في صهيون». هنا قد يورد البعض إيراداً وجيهاً؛ وهو: ما مناسبة ذكر «صهيون» في هذا النص إن كان يتحدث عن حجاج بيت الله الحرام بمكة المكرمة؟ والجواب على هذا الإيراد من وجهين:

الوجه الأول: أن متن العهد القديم الذي يسميه أصحابه: «توراة» نالته يد التحريف والتبديل بنص القرآن، بل باعتراف علمائهم، فلا يُستغرب أن تكون كلمة «صهيون» هنا من تبديل النُّسَّاخ.

أما الوجه الآخر: فلو سلَّمنا جدلاً بسلامة النص العبراني، فالفرق بين (**ص-ي-و-ن**) أي: (صهيون) و (**ص-ي-و-ن**) أي: (الأرض القاحلة) هو حركة الحرف الأول، علماً بأن هذه الحركات أُلحقت بالنص العبراني بعد كتابته بأكثر من ألف عام، وكان ذلك بناءً على ما رآه أحبار اليهود المعروفون بالـ «مَسوريِّين»، وفيها من الأغلاط المقصودة وغير المقصودة ما يعترف به أشهر علمائهم من أمثال: «جيمس بار» وغيره. وبناءً عليه لا يُسلَّم لأولئك البُهت بأن الكلمة محرَّكة بالكسر لا الفتح. وبهذا المعنى تُرجم (إشعياء ٢٥: ٥): «كحَرٍّ في يَبَسٍ (صَيون) تَخفض ضجيج الأعاجم». وكذا (إشعياء ٣٢: ٢): «كسواقي ماءٍ في مكان يابِس (صَيون)». وبه ينبغي أن يترجم نص المزامير السابق هكذا: «يُرون قدَام الله **بأرض غير ذات زرع**».

وليس المراد هنا مجرد النظر إليهم؛ فالله لا تخفى عليه أعمال عباده في حج أو غيره؛ فهو السميع البصير، وإنما المراد به ما بيَّنه المصطفى ﷺ بقوله: «إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء فيقول: **انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شُعثاً غبراً**»[1].

**وسأورد هنا النص العربي كما في ترجمة «فانديك» ثم نص الترجمة التي اعتمدتُ فيها «الأصل» العبراني مع الحرص على منطقية السياق وجلاء المعاني؛ ليرى القارئ كيف أسهم المترجمون في طمس إشاراتٍ جلية إلى الرسالة الخاتمة.**

**ترجمة «فانديك»:** «طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبِّحونك؛ طوبى لأناس عِزُّهم بك، طُرُق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء يصيِّرونه ينبوعاً، أيضاً ببركاتٍ يُغطُّون مورة، يذهبون من قوة الى قوة، يُرَون قُدَّام الله في صهيون».

**ترجمة الباحث:**

«طوبى للعاكفين في بيتك، دأَباً يهلِّلونك[2]

طوبى لأناس عِزُّهم بك، فِجاج بيتك في قلوبهم، البادين بوادي «بَكَّة»

من عينٍ يشربون، ومن بركات المشرِّع ينعمون، من جبلٍ إلى جبلٍ يسعَون

ينظر الله إليهم بأرض غير ذات زرع».

ختاماً أقول لمن أرادوا صرف البشارة عن مكة فما أفلحوا: إن المسلمين الذين تخافون أن «يسيئوا مقصدكم» يعلمون أن «بكة» التي بَكَّت أعناق الجبابرة من قَبْل لا تزال تبكُّ أعناق الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

[البقرة: ١٤٥ – ١٤٧]

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: (٢٥٨٢)، والحاكم في مستدركه: (١٧٠٨).

(٢) «يهلِّلوخا» في النص العبراني. والتهليل في الحج أظهر من التسبيح.

للنشر والتوزيع

# دار التدمرية

الجديد

والمخفض

دائماً

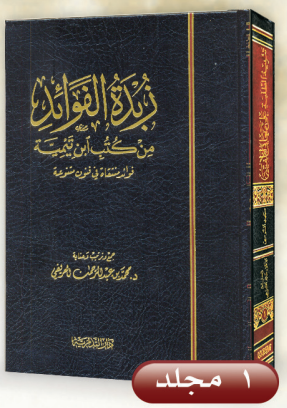


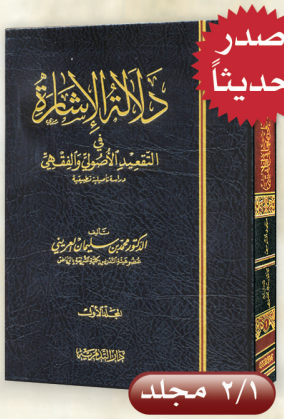


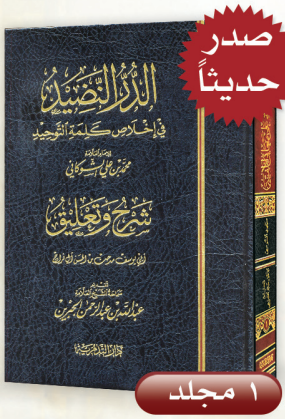


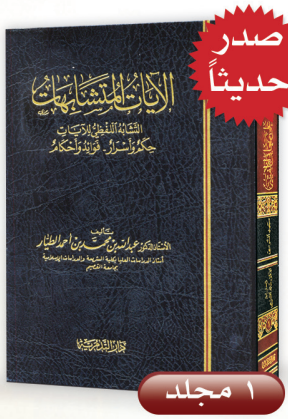


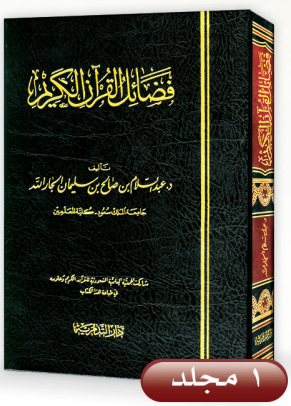


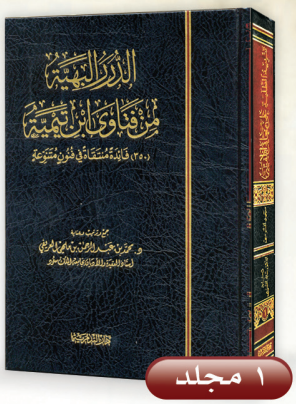


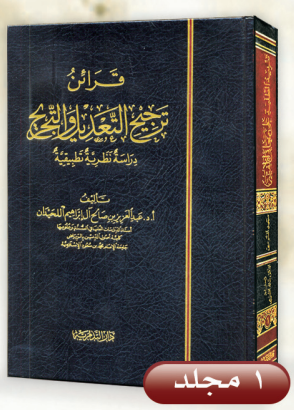


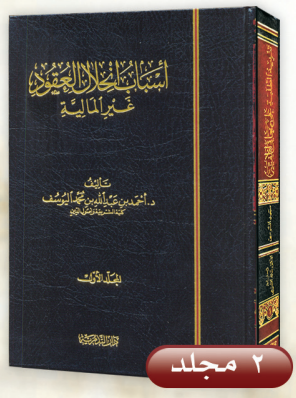


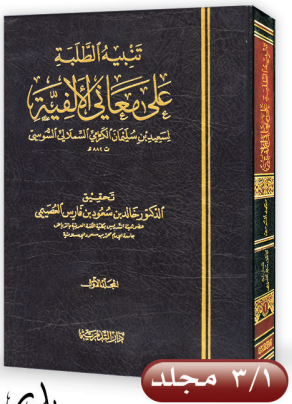


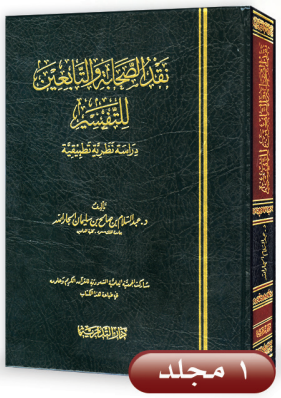


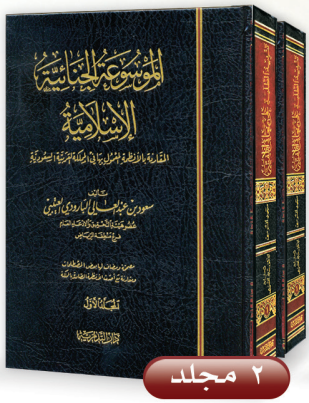


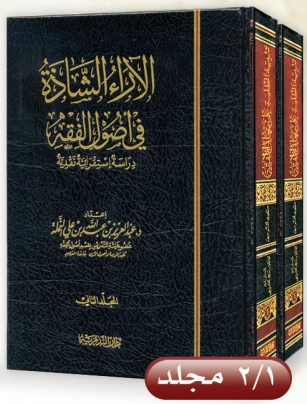


tadmoria@hotmail.com

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي

الجديد هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦/٤٩٢٥١٩٢ فاكس : ٤٩٣٧١٣٠ بريدة ـ طريق

الشاحنات ـ حي الصفرا ـ هاتف ٣٢٦٢٢٦٢

# العمل التطوعي وأثره في الصحة النفسية

سالم أحمد محسن البطاطي(*)

لا يختلف اثنان في أن الصحة النفسية والسعادة القلبية، وما يتبعها من طمأنينة، وسكينة، واستقرار نفسي، هي أهداف منشودة لكل إنسان على هذه المعمورة، مهما كان منصبه أو درجته المهنية، أو حالته المادية، أو طبيعته الاجتماعية؛ فالغني في قمة غناه ينشد الصحة النفسية والطمأنينة القلبية والراحة والاستقرار، والفقير في أدنى درجات فقره، هو كذلك. وينشُد تلك المعاني الرجلُ والمرأة الكبير والصغير، حتى المريض في مرضه، على ما فيه من اعتلال ومرض، ينشد هذا الاستقرار النفسي، ويسعى للتكيُّف والتوافق مع ما ابتلاه الله به.

ومن المتفق عليه أنَّ أنجع سبل الصحة النفسية والطمأنينة القلبية عبودية الخالق، سبحانه وتعالى؛ فكلما تقرَّب الإنسان لربه، وتزلَّف إليه بمحبوباته وطاعاته، نال حظه من سعادة القلب، وطرَب الروح، وصحة النفس. يقول الحق – سبحانه –: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعلى قَدْر بُعْدِ الإنسان عن خالقه تكون العقوبة؛ فلا تسأل عنه بَعْدُ وقد غُمِر بالهموم والغموم، والأمراض، والمشكلات النفسية. وصدق الحق في علاه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

## يحمل الإنسان في نفسه طاقة حيوية محايدة تصلُح للخير، وتصلُح للشر

(*) اختصاصي نفسي.

### آثار العمل التطوعي في الصحة النفسية:

#### ١ - إشباع بعض الحاجات النفسية:

إن ممـــا لا يخفى أهميةَ الاهتمام بالحاجات النفســـية، والسعيَ في إشباعها بما يناسبها؛ وذلك لصدِّها عن التوجه لِـمَا لا يناســـبها وهذا له تأثير عكسي في التوازن النفسي، ومن أهم تلك الحاجات:

أ - إشباع الجانب الديني والروحي:

عندما يمـــارس المتطوع الأعمـــال التطوعية بمجالاتها المختلفة من منطلق تعبُّدي؛ فإنه بذلك يُشـــبِع هذا الجانب الديني والروحي في نفسه؛ فهو يمارس عبادةً لا تَقِل أهمية عن العبادات الأخرى، بل هي عبادة متعدية؛ وأجرها وفَضْلها خير من العبادة القاصرة.

ب - إشباع الحاجة إلى الإنجاز والنجاح:

الحاجـــة إلى الإنجـــاز مفهوم فرضيٌّ، يـــدل على حالة نفسية داخلية، تدفع الشخص إلى النشاط والعمل والإنجاز، وهي تنمو بالإشباع، وتضعف بالحرمان.

ج - إشباع الحاجة إلى الاحترام والتقدير الذاتي:

توجد لدى الكثيرين الحاجة أو الرغبة في تقدير أنفسهم تقديراً عالياً مع احترام الذات، كما توجد لديهم الرغبة في أن يقدِّرهم الآخرون. وتعطيل هذه الحاجة يؤدي بالفرد إلى الإحساس: بالنقص والضعف والعجز، كما يؤدي إلى تثبيط العزيمة، أو إلى أي اتجاهات تعويضية، أو الشعور بالإخفاق الذي قد يؤدي إلى الصراع النفسي[١].

د - إشباع الحاجة إلى الانتماء والحب:

حينما يُشبِع الفرد حاجاتِه الفيزيولوجية وحاجاته الأمنية بصفة أساسية وطبيعية، تظهر له الحاجات الاجتماعية كدافع رئيس يوجِّه سلوكه. وهذه الحاجات الاجتماعية تتعلق برغبة الفرد في أن يشـــعر بالانتماء للآخرين، وبقبول الآخرين له، وبالصداقة والمودَّة. وفي الوقت نفسه يرغب أيضاً بأن يعطي هو نفسه الصداقة والمودَّة للآخرين»[٢].

و - إشباع الحاجة إلى المسؤولية:

من الحاجات الملحَّة للإنســـان الحاجة للمسؤولية؛ حيث تُشْعِرُه بأنه بلغَ مصافَّ الرجال الكبار ومنزلتهم، إضافة إلى أنها تصرِفُه عـــن كثير من مظاهر العبث واللهو، وتُشـــعِرُه أنـــه فوق ذلك كلِّه. وقد كان ﷺ يـــدرِّب أصحابه على حَمْل المسؤولية في شـــتى المناســـبات؛ ليضطلعوا بأعباء القيادة من بعده؛ فكان يستشـــيرهم في كل مناسبة، وكثيراً ما يعدل عن رأيه إلى رأيهم[٣]، وهذا ما تبنيه المؤسســـات التطوعية الخيرية في نفوس أبنائها؛ فهي تزيد الثقة بالنفس والقدرة على تحمُّل المسؤولية.

#### ٢ - توجيه الانفعالات وضبطها:

عرَّف علماء النفس الانفعالات بتعريفات عدة، منها: أنها تغيُّر مفاجئ يشمل الفرد كلَّه (نفساً وجسماً). والممارس للعمل التطوعي، هو مِن أقدر الناس على توجيه انفعالاته وضَبْطها؛ وذلك لأنه تمرَّس من خلال المواقف التي يشـــارك فيها عبر مجالات التطوع على كيفية التعامل مع تلك الانفعالات.

#### ٣ - تفريغ الطاقة:

يحمل الإنســـان طاقة هائلة في نفســـه، وهذه الطاقة طاقـــة حيوية محايدة تصلح للخير، وتصلح للشـــر، وتصلح للبنـــاء، وتصلح للهدم، والمهم أن لا يختزنها أكثر مما ينبغي؛ فالاختزان الطويل بلا غاية عملية مَضرة بكيان الإنسان.

والعمـــل التطوعي يُمـــارِس دوره في تفريـــغ الطاقات، عبر مجالاته المختلفة والمتنوعـــة؛ فكل مجال له حاجته من المجهود والطاقة البدنية، فينخرط المتطوع في تلك الأعمال التطوعية، وقد أفرغ طاقته فيها؛ عبر مجهود بدنِيٍّ مناسب. ومِنْ ثَمَّ نجد أن العمل التطوعي قد ســـاهم بمصرف طبيعي لتفريغ الطاقة؛ وهو ما يجعل المتطوع يعيش ســـكينة النفس، وطمأنينة القلب، ويتنعم بالصحة النفسية؛ فليس ثَمَّةَ طاقة مختزَنة تعكِّر سعادته[٤].

#### ٤ - شَغْل أوقات الفراغ:

كثيراً ما يعيش الشباب اهتمامات غير جادة، ويتعلق باللَّهو العابـــث (وربما المُحرَّم)؛ لذلك فالأَوْلـــى غرْسُ الاهتمامات والقضايا الجادة لديهم؛ فينصرفون تلقائياً عن التعلق باللَّهـــو والعبـــث الفـــارغ إلى الأمور الجـــادَّة. ومن ذلك - مثلاً -: أن يمارس الشـــباب بعض الأعمال التطوعية؛ إذ فيها متَّسع ومساحة واســـعة لملء الفراغ الذي يعانيه كثير منهم؛ وذلك باستقطاع أيام وســـاعات من برنامجه اليومي؛ ليشارك في هذه الأعمال التطوعية حَسْب تخصصه وميوله.

---

(١) انظر: علم النفس الصناعي والمهني، أكرم طاشكندي: ص٤٨.

(٢) مدخل إلى علم النفس، د. رشاد دمنهوري: ص٢٤٨.

(٣) تربية الشباب (الأهداف والوسائل)، د. محمد الدويش: ص١٧٩، وانظر: اللقاء السنوي السادس (١٤٢٦هـ).

(٤) انظر: تربية الشباب للدويش: ص٢١٣.

### ٥ - الرضا والطمأنينة النفسية:

يجد المتطوع أثناء قيامه بعمله التطوعي وبَعْده مشاعرَ من الرضا عن النفس، والراحة النفسية بما قدَّمه من مساعدة للآخرين، وهذه السعادة والطمأنينة هي مطلب جميع البشر؛ فهم يبحثون عن كل ما يزيل عنهم الغم والهم، (ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: الإحسان إلى الخلق، في القول والفعل بأنواع المعروف)[١].

### ٦ - توجيه العواطف وضَبْطها:

إن العاطفة مهمة للإنسان في حياته؛ لأنها تدفعه إلى فِعْل الأشياء التي يتعاطف معها، وتدفعه إلى ترك الأشياء التي يكرهها بدافع داخلي. بشرط: أن تكون العاطفة وراء العقل، وأن يكون العقل قائدها؛ فالنفس لا بد أن تتجه بعواطفها: إما للخير أو للشر، وهذا ما يساهم فيه العمل التطوعي الخيري؛ حيث يساهم في توجيه العواطف الوجهة الصحيحة.

### ٧ - تعالج الأمراض النفسية والجسدية:

إن في الأعمال التطوعية تربية ذاتية نفسية للمتطوع؛ حيث يؤدي ذلك إلى الصحة النفسية؛ ففي العمل التطوعي علاج لقسوة القلب. قال رسول الله ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك، وتُدرِك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطْعِمْه من طعامك يَلِنْ قلبُك، وتُدرِك حاجتك»[٢]. وفي رواية: «إذا أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم»[٣].

### ٨ - يساهم في تهذيب الأخلاق:

للأخلاق منزلة عظيمة في التصور الإسلامي، والمتأمل في النصوص الكثيرة الواردة في فضل الأخلاق ومكانتها تدلُّه على ذلك. يقول ﷺ: «إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[٤]، ويقول ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حُسْن الخُلُق»[٥].

والعمل التطوُّعي يساهم في تهذيب أخلاق المتطوع وتحسينها؛ وذلك من خلال مخالطة الناس، ومعايشتهم إبان عمله التطوعي. يقول ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[٦]؛ ففي قوله: (ويصبر على أذاهم) نوعٌ من تحسين المتطوع لذاته، وتهذيبه لخُلُقه وسلوكه[٧].

---

(١) الوسائل المفيدة، للسعدي: ص٩.

(٢) صحيح الجامع: (٨٠).
(٣) مسند الإمام أحمد: (٢/ ٢٦٣).
(٤) البخاري: (٣٣٦٦)، (٣/ ١٣٠٦).
(٥) صحيح سنن أبي داود، (٣/ ٩١١) للألباني.
(٦) صحيح الجامع: (٦٦٥١).
(٧) انظر: المعايشة التربوية، سالم البطاطي: ص١٤.

# الجَمعية الخَيرية لِتحفيظ القُرآن الكَريم

## بمحافظة بلقرن رقم الترخيص ٣/٦

# وَقف القُرآن

لك ولوالديك ولمن تحب

## هذا الوقف : يتكون من عدة أسهم على النحو التالي

| | |
|---|---|
| عدد الأسهم | ٤٠,٠٠٠ سهم |
| قيمة السهم | ١٠٠ ريال |
| تكلفة بناء الوقف | ٤,٠٠٠,٠٠٠ ريال |

## هذا الوقف : يتكون من أربعة طوابق

هذا الوقف سيكون بإذن الله عز وجل مصدر ثابت للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن فى محافظة بلقرن والتي تشمل على ما يزيد من ٢٧٠قرية فيها ٧٢٠جامع ومسجد وبلغ عدد سكانها ١٨٠٠٠٠نسمة .

| عدد حلق البنين | عدد المدارس والدور النسائية | عدد الطلاب والطالبات |
|---|---|---|
| ٩٨ | ٢٨ | ٢٠٣٥ |

## هذا الوقف : يدعوكم للمساهمة فى بنائه ولكم الأجر

فى الحياة وبعد الممات .( صدقة جارية )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له )

١ - الإيداع في حساب الوقف ٥٠/٣ لدى مصرف الراجحي فرع/ ٢٥٧

٢ - التحويل من الصراف الآلي على الحساب رقم / ٢٥٧٦٠٨٠١٠٠٠٠٥٠٣

٣ - إيصال التبرعات إلى مقر الجمعية - أمام المعهد العلمي / ٠٧/٦٣٠١٣٩٩

٤- الإستقطاع الشهري على حساب رقم ٥٠/٣ مصرف الراجحي فرع ٢٥٧

## للتواصل

**٠٥٥٧٧٤٧٧٤١**

العمل مستمر

هاتف ( ٠٧/٦٣٠١٣٩٩ - ٠٧/٦٣٠٢٢٨١ ) ناسوخ (٠٧/٦٣٠٢٠٨٠)

سبت العلاية الشارع العام ص ب: ٢٠٦ الرمز البريدي: ٥٨٩١٦

# لا تجعل قلبك كالإسفنجة

د. عبد الرحمن بن صالح المحمود(*)

ليس هذا عنواناً صحفياً يرنو إلى لَفْت النظر إلى المقالة وجَلْب القارئ إليها، ولو كان ذلك - أحياناً - على حساب المضمون، كما هي عادة بعض الكتّاب. وإنما هو عنوان منهج عقدي وفكري يحتاج إليه كل قارئ، وتعظم الحاجة إليه في عصرنا الحاضر؛ حيث العولمة بنفوذها الفكري ونفاذها التقني من خلال الإعلام وشبكات المعلومات.

العنوان نصيحة قدَّمها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - لأشهر تلاميذه، وهو ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - فنعم الناصح ونعم المنصوح.

يقول ابن القيم عن هذه النصيحة: «ما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك»(١). مع أنه قد تلقَّى عن شيخه عشرات بل مئات الوصايا، كما هو واضح لمن تتبع ذلك في كُتُبه، لكنَّ هذه الوصية كان لها شأن آخر في حياة ابن قيم ومنهجه، وقد مَرَّ بتجارب متنوعة (سطر خلاصتها في نونيته)، فأنقذه الله من شبهات أهل الأهواء الذين وقع في شِباكهم بتتلمذه على شيخ الإسلام وملازمته له.

يقول ابن القيم في عرضه لهذه الوصية: «قال لي شيخ الإسلام - رضي الله عنه - وقد جَعلتُ أُورد عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته؛ والا فإذا أَشربْتَ قلبك كل شبهة تمر عليها صار مَقرّاً للشبهات، أو كما قال»(٢).

خلاصة الوصية عند ورود الشبهات والمقالات التي لا تعرف مصدرها، هي:

١ - لا تجعل قلبك مثل السفنجة؛ أي: يتشربها ولا ينضح إلا بها.

٢ - واجعله كالزجاجة المصمتة؛ أي: يراها بصفائه ويدفعها بصلابته.

وسنقف مع هذه الوصية بقِسْمَيها، بعد أن نقدِّم لذلك بمقدمة مهمة، فنقول:

---

(*) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً.

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٤٣، ت علي الحلبي، ط دار ابن عفان.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٤٤٣.

## العلوم قسمان:

**أحدهما:** علم الشـــريعة المنزل، مثل: كتاب الله الكريم وسُـــنة النبي ﷺ الصحيحة، وما هو تابع لهما، نابع عنهما، مثل: الآثـــار الصحيحة، والعلوم المؤصَّلة، التـــي بيَّنها أئمة الســـلف الصالح في العقيدة، والأحكام، والآداب، والسلوك، وعلـــوم القرآن، وعلوم الحديث، وأصول الشـــريعة، والفقه، وأصول العقيدة الصحيحة، وآلات ذلك: مما سَلِم من شوائب الفلســـفة وعلم الكلام ومقالات أهل الأهواء؛ فهذه علوم بها حياة القلوب وطريق العبودية وتوحيد رب العالمين. ولا صلاح للعباد والبلاد في الدنيا والآخرة إلا بها.

فهذه ينبغي أن يتشـــربها قلب العبد المؤمن؛ لأنها طريق السعادة في الدارين، وسُلَّم العبودية لرب العالمين.

**الثاني:** ما سوى ذلك من العلوم. وهذه أيضاً قسمان:

**١ - علـوم دنيويـة بحتة** يؤخذ منهـــا ما يُحتاج إليه لحياة الإنســـان على هذه الأرض والسعي في معاشه. وهذه إن قُصِـــد بها المعونة على طاعة الله أثيب عليها، وإن صدت عن طاعة الله أو قُدِّمت عليها عوقب عليها.

**٢ - العقائد والعلوم الفلسفية والفكرية المنحرفة،** ومقالات أهل الأهواء والبـــدع (قديماً وحديثاً)، ويدخل في ذلك المذاهب الفكرية المعاصرة بمختلف تياراتها ومنطلقاتها (شرقية أو غربية أو وطنية جاهلية).

وهذه الأخيـــرة هي الداء العضال الذي إن تســـلل إلى القلوب أفســـدها، وغشَّاها بالشبهات والشكوك، وحوَّلها من يقين الإيمان وبرد التسليم والطاعة وسلامة القلب وصحته وقوَّته إلى الحيرة والتردد وتسلُّط الوساوس، وضعف العبادة وقلة الطاعة، وتحوُّل القلب من الأنس إلى الوحشة.

والشبهات من أشدِّ الأشـــياء على القلوب وأثقلها، حتى تكاد الشبهة أن تكون جبلاً، وأنى للقلب الرقيق تحمُّله.

والمؤمن المســـتبصر يدرك مدى خطـــورة الأمر، خاصة إذا علـــم أنه لا أحد بمأمن من ذلك مهما عـــلا شـــأنه في العلم أو العبادة والطاعة، أو في المجاهدة والدعوة، أو فيها جميعاً.

والمتتبع لواقع المســـلمين المعاصر، وخاصـــة طلاب العلم ورجال الدعوة وشـــباب الصحوة منهم، يرى كيف تسللت شُبَه كثيرة إلى القلوب، وانتقلت إلـــى العمل والواقع الدعـــوي من خـــلال الوسائل المعـــاصـــرة (وهي معروفـــة)، وتحـــولت إلـــى ما يمكن أن يســـمى بـ: شـــللية فكرية تتبنى عدداً من مسائل العقيدة والشريعة والثقافة بمنهج عقلاني عصراني منحرف.

وأساس المشـــكلة تســـلُّل شـــبهات الملاحدة والزنادقة والعلمانيين والمستشـــرقين والمنصِّرين وأهل البدع والأهواء وبقايا الشـــيوعيين والقوميين والحداثيين وأضرابهم؛ حيث صـــار هؤلاء يعرضونهـــا؛ وهناك جزء من رجـــال الصحوة وشبابها يتشربون هذه الشبهات، وبعد قليل ينوبون عن أولئك الزنادقة وأهل البدع في نَشْرها والحماس في الدفاع عنها. والملفت للنظر أن كافة هذه الشـــبهات ليست جديدة، بل هي مما ســـبق أن عُرِض ودُوِّن في كتبهم وردَّها العلماء والدعاة وكشفوا زيفها؛ فما الجديد؟

الذي اســـتجد إنما هي حرب مركَّزة على الإسلام وعلى منهاج الســـلف خاصة، ودعمت هذه الحـــرب قوىً مختلفة معروفـــة. وقابل ذلك ضَعْف الإيمان وخلل في الثقة بالمنهج،

وهو ما جعل هذه الشبهات تلج القلوب، فتُغَيِّر الكثير منها.

فصارت هذه القلوب كالإسفنجة تمتص هذه الشبهات كما تمتص الماء العَفِن.

إن سؤال المسلم الهداية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧]، يكرره في اليوم والليلة أكثر من سبع عشرة مرة. ورسول الله ﷺ أخبر – كما في الحديث الصحيح المشهور – بأن سبيل الله واحد وما عداه سُبُل الشيطان. وأصل الهداية هداية القلوب؛ لأن القلب سيد البدن، كما أن أساس الضلالة – عياذاً بالله – غواية القلوب وضلالها وانحرافها. فجاءت هذه الوصية الغالية من شيخ الإسلام، والتي تقول خلاصتها: لا تجعل قلبك للشبهات مثل الإسفنجة، فيتشربها ولا ينضح إلا بها.

## فما وجه تشبيه هذا النوع من القلوب بالإسفنجة؟

١ – يُلاحَظ الشبه بينهما من ناحية التكوين؛ فكلٌّ منهما رقيق ليِّن، ليس في داخله صلابة من عظام ونحوها.

٢ – أن الإسفنجة معروفة بطبعها؛ فهي تمتص كل سائل؛ فإن أدخلتها طيِّباً: من ماء عذب أو لبن أو شراب، فإنها تمتصه، كما أنك إن أدخلتها في ماء عفن، أو بول أو نجس: كخمر ونحوه، فإنها تمتصه أيضاً.

٣ – أن الإسفنجة إذا امتصت السائل، فلا بد أن تنضح بما فيها؛ حيث يخرج منها القطرات، بل أكثر من ذلك إذا ضُغط عليها ولو بقليل من القوة. وقلَّما تحتفظ بما فيها حتى ينشف، ولو نشفت فما أقبح ما فيها؛ إن كان ما امتصته من المجاري وأشباهها!

٤ – أن الإسفنجة متى ما اعتادت امتصاص العفن، تحولت هي إلى عفن؛ فلا ينفع معها تنظيف ولا غسل.

وكذلك القلوب، فهي:

أولاً: رقيقة؛ لأنها موطن الإرادة والحب والبغض والمحبة والكره، وهي موطن أعمال القلوب: من خوف، ورجاء، ومحبة، وإنابة، وإخلاص، وصدق، وتوبة، وتوحيد، وتوكُّل وغيرها؛ ولذا فهي تابعة لمن خضعت له:

أ – فإن انقادت لمولاها وسيدها ومالكها بتوحيده والتوكل عليه وحده لا شريك له وبمحبته ورجائه وخوفه وسائر أعمال القلوب، فقد اتصفت بصفتين عظيمتين:

إحداهما: كمال الافتقار لمولاها؛ فهي لا تستغني عنه لحظة من ليل أو نهار، مع كمال الانقياد والطاعة، فهي تقود أبدانها إلى مولاها بالاستجابة التامة، بفعل الأوامر واجتناب النواهي؛ فإن أذنب العبد، فهي لرقَّتها تُبادر إلى التوبة والاستغفار والحسنات الماحيات.

والأخرى: كمال القوة في الحق، والنفور من الباطل، (شبهات وشهوات). وسبب ذلك أن قوَّتها بالله (عبادةً واستعانةً وتوكلاً)، وهذا من عجيب أحوال قلوب المومنين الصادقين؛ حيث تجدها أعظم ما تكون رقة ورحمة وأقوى ما تكون صلابة في الحق ونفوراً من الباطل، وشجاعة في الدفاع عن الدين الحق وأهله، والموالاة لهم، وردِّ الباطل وأهله والبراءة منهم ومن أعمالهم؛ فهي في الإيمان لا تخاف لومة لائم.

ب – وإن انقادت القلوب – عياذاً بالله – إلى غير الله: من نَفْس أمَّارة أو هوىً أو شيطان، وتمثَّل ذلك في معبود غير الله، أو تعلُّق بجاه أو دنيا أو شهوة قُدِّمت على عبادة الله وطاعته، تحولت القلوب إلى محبة وخضوع لذلك المعبود من دون الله. وصارت على الضد من صفات المؤمنين:

– فهي قاسية في عبادة الله وطاعته والانقياد له، حتى تكون كالحجارة أو أشد قسوة.

– وهي ذليلة رقيقة خاضعة لمن مالت إليه؛ فيها من الضعة والاستكانة والحقارة والعبودية لذلك المعبود من دون الله ما لا يكاد يصدقه الإنسان السوي.

ثانياً: هي (أي: القلوب) بحسب ما تُحمَل وتربَّى عليه؛ فإن حُمِلت على حب الحق والاستجابة له والنفور من الباطل والنكارة له حُفِظت بعون من الله وتوفيقه من فتن الشهوات والشبهات. أما إن تُركت مرتعاً لكل عارض مما يعرض لها، تتقبله من غير تمييز، فإنها تكون عرضة للخطرات والوساوس التي يلقيها شياطين الإنس والجن؛ فتصبح مرتعاً للشبهات فتصير كالسفنجة التي حذر منها شيخ الإسلام؛ تمتص الشبهات وبها تنضح، وتصبح مريضة بذلك.

## ولتشخيص هذه الحالة في واقعنا المعاصر نلاحظ ما يلي:

١ – بروز هذه الظاهرة الإسفنجية لدى بعض طلاب العلم والشباب المستقيم ونحوهم ممن لهم اهتمامات بالعلم الشرعي، أو بالقراءة بمعناها العام الشامل لما يُشاهَد أو يُسمَع أو يُقرَأ، أو بحب سماع الحوارات التي تدور بين

الأطيـــاف المختلفة فـــي عقائدها، أو في مشـــاربها، أو في مناهجها؛ فتجد بعض هؤلاء - هدانا الله وإياهم وثبَّتنا على الحق جميعاً - يتشـــرب شـــبهات أهل الباطل، فتستقر في نفســـه. وإذا علمنا أن للشبهات بريقاً ولمعاناً محرقاً، خاصة إن عُرضت بأسلوب ماكر تصحبه سخرية وهزء بأهل الحق المتمســـكين به؛ عندها يتَبيَّن مدى أثر هذه الشـــبهات على القلوب الإســـفنجية الضعيفة؛ حيث تتحول القلوب إلى نوع من القلق، وشيء من الحيرة والشك؛ حيث يتصارع في قلبه ثقتُه بمنهجه وعقيدته الصافية، وقوةُ الشـــبهة وشدة جَذْبها وقوة حَرْقها.

**وفي هذه الحالة المَرَضية العارضة المقلقة يكون للقلب أحد مسارين:**

أ - مســـار يـــؤوب فيه القلب إلى ســـكينة الإيمان وبرد اليقين والتســـليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ؛ بحيث تكون له خبيئة من عبـــادة وطاعة يتقرب بها إلى الله، تعالى؛ فتُجدِّد له هذه العبادة ثوب الإيمان والتعلق بمقلِّب القلـــوب - تبارك وتعالـــى - فيتوجَّه إليـــه منيبـــاً مخبتاً متـــوكلاً، أو يكون له صاحب أو أصحـــاب، مثل شيخ يثق به ويباحثه أو يسائله عما عرض له من شـــبهات، فيتلقى الجواب وهو على حالته السابقة من التسليم والعبادة؛ فهذا غالباً ما يعود إليه اليقين ويَسْلم من غوائل ما عرض لقلبه من الشبهات؛ فينتبه لنفسه لاحقاً.

ب - مســـار لا يوفَّـــق فيه لتســـليم ولا لمـــزيـــد طاعـــة، ولا لمعالجـــة صحيحة لهذا العارض؛ فهذا قد تشـــتد عنده حالة الشـــك والقلق، ويبقى حبيس نفســـه وهواه وهواجسه ووساوسه، فينتج عن ذلك مرضان:

- رسوخ الشبهة أو الشبهات: لأن القلب تَشرَّبها واختلطت بها، كالإسفنجة التي امتصت الماء العفن.

- نَقْل الشبهة إلى غيره: حيث تجده ينشرها بين أصحابه، ويعرضها في كل مناســـبة، ويكرر عرضها؛ وكأنه لم يبقَ معه من القول والهمِّ في دينه ودنياه إلا ما أُشـــرِب قلبه من ذلك؛ فهو لا يكتفي بمرض قلبه، وإنمـــا ينقل عدواه إلى الآخرين الســـالمين الأصحاء. والطامة الكبرى تكون حين يخص بهذه البوائق أحبابه وأصحابه المقربين منه أو طلابه المتأثرين به؛ فما أعظمها من مصيبة وقعت على الطرفين!

وهذا معنى تشـــبيه القلب بالإسفنجة؛ لأنها إذا امتصت العفـــن صارت تنضح وتقطـــر بما فيها من ذلـــك، كما هو مشاهد، وكذا القلب الشبيه بذلك.

وقد مرَّ بي من ذلك نماذج، خاصة في السنوات الأخيرة؛ حيث يأتي إليَّ بعض الطلاب الذين أحســـنوا الظن بأخيهم الذي اعتبروه أستاذاً لهم يسألونه عن شبهات عالقة بعقولهم وقلوبهم. والسؤال منهج حَسَن ممدوح، بل هو مخرج ضروري لإزالة الشبهة وسلامة القلب منها. ولكنَّ الذي لفت انتباهي، هو: حَمْل هذه الشـــبهات، وانفعـــال بعض أصحابها، وهو مـــا قد يوحي بدرجة ما من علوقها فـــي القلب، ثم إن أكثر هذه الشبهات قد أجاب عنها العلماء قديماً، كما أجاب عنها العلماء المعاصرون في كتبهم ودروســـهم وأشرطتهم المبثوثة؛ فهي ليســـت جديدة، وهي شـــبهات مكررة لأهل البدع من: الجهمية والرافضة والمعتزلة والأشـــاعرة... وغيرهم، فلو أن هؤلاء أصَّلوا طلبهم للعلم وأخذوه عن العلماء الموثوقين قديماً وحديثاً وتعمَّقوا في مسائله لوجدوا في ثنايا كُتُبهم ودروسهم الأجوبة واضحة؛ فما أحوج هؤلاء وأحوجنا جميعاً إلى وصية شيخ الإسلام هذه!

فإن قال قائل: هل كل من ســـأل نتيجة إشكال أو شبهة عرضت له فهو إسفنجي؟

الجواب: هناك أسئلة في العلم أثناء تعلُّمه وتلقِّيه؛ حيث ترد الأســـئلة والطالب يســـيح في بحر العلم الشرعي؛ فهذا مـــن الممدوح الذي يدل علـــى ذكاء صاحبه وعمق فَهْمه، لكن لا يتعدى السؤال مسائل الباب ولا وقت الدرس؛ حيث تنغمر الشـــبهة في بحر العلم، ويكون جوابها سهلاً، وليس لها علوق في القلب يكـــدِّر صفاءه، وهذا ديدن طـــلاب العلم (قديماً وحديثـــاً) مع شـــيوخهم، وعلى رأس هؤلاء أصحاب رســـول الله ﷺ؛ فإنهم كانوا يســـألون عما يُشـــكِل عليهم من حديث رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ يجيبهم. ونماذج ذلك في السُّنة كثيرة.

أما الإســـنفجي الذي حذر منه شيخ الإسلام تلميذه ابن القيم، فهو ذلك الذي يتشرب شبهات أهل الأهواء فَتعلَق في قلبه، فيكررها وينشرها وينضح قلبه بها.

إذاً: ما المخرج من هذه الحالة الإسنفنجية؟ وكيف يَسْلم طالب العلم، بل عموم المســـلمين من الوقوع في هذه الحالة التي حذر منها شـــيخ الإسلام، وهو الخبير بأحوال القلوب، وبأحوال عصره والتقلبات التي تعرض لطلاب العلم؟

أجاب شيخ الإسلام في وصيته السابقة بقوله: «لكن اجعله (أي: قلبك)، كالزجاجة المصمتة، تَمُرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته».

وهذا موجَّه لابن القيم المعروف بسعة علمه، وبقوة تألُّهه وعبادته، وخبرته بأحوال القلوب وأمراضها وأدوائها وطرائق علاجها؛ فكيف بنا وبأحوالنا، والله المستعان؟

فخلاصة العلاج والوقاية تكون بأمور، منها:

**أولاً:** العبادة والطاعة، وهذه ضرورية لصفاء القلب وخلوصه من أكداره، وهذا أمر قد لا ينتبه له المشغولون بالقراءة والثقافة والفكر وسعة الاطلاع؛ حيث يظنون أن سَعة العلم كافية وأن كثرة القراءة وحدها محصِّنة للإنسان في حياته من الزيغ والانحراف، حتى إنهم يستعيضون بها عن العبادة وأفعال القرب؛ فقد يؤخر أحدهم الصلاة أو يتأخر عن صلاة الجماعة أو بعضها؛ لانشغاله بالقراءة، وقد يرى التسبيح والأذكار مشغلة عما هو أهم (وهو القراءة)، وقد لا يجد في صلة رحمه من الأقربين جداً واجتهاداً كالذي يقدِّمه في ساعات يقضيها على الشبكة المعلوماتية (وأنا اتكلم عن الجاد منها وليس عن سخافاتها)، وقد لا يحرص على النوافل؛ لأنها تأخذ منه وقتاً، بل قد لا يجد ما يفرِّغ به نفسه لقراءة القرآن الكريم أو حفظه أو تدبُّر معانيه عُشر معشار ما يقضيه في القراءة المبعثرة الهائمة.

إن هذه حالة يجب أن يبادر أصحابها إلى علاج قلوبهم تجاهها؛ وذلك بحمل النفس على تحمُّل العبادة بأنواعها مع تهيئة البال والنفس والقلب لكي يطيب بالعبادة ويأنس بها؛ فيكون ممن يرتاح بالعبادة وليس ممن يرتاح منها.

والنصيحة بالعبادة عند ورود الفتن؛ حيث تضطرب القلوب وتصاب البصيرة بالغبش، خير دليل على أهمية العبادة والطاعة والقربى إلى الله - تعالى - وعلى كونها تثير البصائر عند ورود الشبهات.

**ثانياً:** الابتعاد عما يقسي القلب ويضعفه، خاصة ما عظمت الفتنة فيه في السنوات، مثل:

١ - مجالس المنكر ومنتدياته التي تقوم - في غالبها - على نَشْر الإلحاد والزندقة ونَشْر البدعة والاستهزاء بالله ورسوله ﷺ وشريعته ودينه وعباده المؤمنين. وهي تقوم على فكر منحرف وثقافة مستورَدة، وتسعى إلى التشكيك ونَشْر الشُّبه بين أهل الإسلام. وكفى بذلك مرضاً للقلوب؛ فهذه فيها السم الزعاف، ولا يجوز لأحد دخولها إلا المتمكن يريد إنكار المنكر، ومع هذا؛ فهو حكيم يمر بها لغاية يريد تحقيقها، يخدم بها دينه ويردُّ صَوَلان هذه المنكرات. ثم هو يمر مسرعاً لا يقيم معها ولا يطيل بحجة معرفة المنكر، بل في قلبه من حرارة الولاء والبراء ما يصرفه عنها إلى برد الإيمان والعلم والطاعة.

٢ - مجالس ومواقع قاذورات الإعلام، وفِتَنِها وخاصة فتنة الصور وما يتبعها من مجون يُقرأ أو يُسمع أو يُشاهد.

وهذا يقسي القلب، ويُضعِف العبادة؛ فيمرض صاحبه، ويكون عرضة للشبهات التي قد يقوده إليها ما تساهل فيه من الولوغ في الشهوات.

**ثالثاً:** أن تجعل قلبك كالزجاجة الصافية المصمته، كما أوصى شيخ الإسلام؛ فيكون لقلبك بصر نافذ عند ورود الشبهات، فيعرف أنها شبهة وليست عِلماً، فيتعامل معها على هذا الوضع. وتشبيه القلب بالزجاجة فيه كثير من المعاني البلاغية والعلمية والإيمانية، منها:

١ - أن القلب في هذه الحالة يكون مقابل القلب الرخو الشبيه بالإسفنجة؛ فهو صلب في إيمانه وعلمه وبصيرته. واثق من منهجه غير متردد فيه ولا شاك.

٢ - أن هذا القلب صافٍ كصفاء الزجاجة البلورية النظيفة، يبصر الأمور والمسائل على حقيقتها؛ فيفرِّق بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والدليل الصحيح والاستدلال الفاسد، والواضح من حقائق الدين والعلم والإيمان وشبهات الباطل، والخاطر الإيماني الرباني والخواطر الشيطانية؛ فإذا أقبلت الشبهة أو الفتنة أبصرها بوضوح تام؛ فقد نُوِّر هذا القلب بأنوار الإيمان والعلم والطاعة؛ فهو يعرفها ويعرف منشأها وغايتها وأثرها الفاسد، فلا يزال يراها كذلك ويتعامل معها على هذا الوجه. وهذا لون من الفِراسة يهبه رب العالمين لمن صفت قلوبهم وخَلَصت لربها، تعالى.

٣ - أن هذا القلب صلب؛ لأن الزجاجه مع صفائها هي مصمتة مغلقة ليس فيها كسور أو شقوق؛ فهو لصلابته يدفع الشُّبه ويردُّها وينكرها؛ فهي من أجل هذه الصلابة لا تجد إليه مدخلاً.

فالشبهات حول هذا القلب تدور، وتحاول بأساليب متعددة ومحاولات متكررة أن تدخل؛ ولو بفِناء القلب أو عند بابه، ولكن هيهات هيهات والقلب صلب مُصمَت عن الباطل وشُبَهِه، فترجع الشبهات مولِّيةً هاربةً مهزومةً.

مجلة

# البيان

www.albayan-magazine.com

تفاعل معنا إلكترونياً

YouTube

bayan@albayan.co.uk

Badr: 0508948947

# القرار السويسري بمنع المآذن قرار ديمقراطي!

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

استطاع حزبان سويسريان يوصفان بكونهما متطرفَين أن يجمعا التوقيعات اللازمة لإجراء استفتاء عام يقضي بمنع المسلمين من تشييد مآذن جديدة بالإضافة إلى المآذن الأربعة القائمة - فعلاً - في البلاد. وكانت نتيجة الاستفتاء الذي أُجري في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ٢٠٠٩م، أن وافق ٥٧٪ من المواطنين على المنع.

هذا قرار ظالم ومجحف بالمسلمين، بل قد قال المعارضون له في داخل سويسرا وخارجها إنه كانت في الدعاية له روح عنصرية إلى جانب التعصب الديني، لكن القرار مع ذلك قرار ديمقراطي لا ريب في ديمقراطيته؛ وذلك أن القرار يكون ديمقراطياً إذا صدر عن الشعب في استفتاء عام، أو صدر عن أغلبية ممثليه في المجالس التشريعية، أو عن أحد من المسؤولين التنفيذيين إذا كان ضمن السلطات المخوَّلة له. والقرار الذي يأتي عن طريق الاستفتاء العام، هو أقوى القرارات ديمقراطية. وقرار منع المآذن في سويسرا جاء بهذه الطريقة؛ فهو إذن قرار ديمقراطي لا ريب في ديمقراطيته؛ فكونه ظالماً أو خاطئاً لا ينفي كونه ديمقراطياً، لكن كثيراً من الناس ولا سيما المعجبين بالديمقراطية في بلادنا يخلِطون بين هذين الأمرين؛ فيصفون كل قرار أو سياسة أو سلوك يرونه جائراً بأنه غير ديمقراطي. وطالما حاولتُ أن أطلب من هؤلاء المعجبين أن يتذكروا بأن غزو أفغانستان جاء نتيجة قرار ديمقراطي، وأن غزو العراق كذلك، بل إن قرارات الدول الأوربية باحتلال كثير من الدول ولا سيما الدول الإسلامية واستعمارها، كانت قرارات ديمقراطية.

ليس في الديمقراطية معيار يحدَّد به نوع القرار: حسناً كان أم سيئاً، وإنما الذي يقرر ذلك هو الجهة التي تتخذ القرار. والجهة تفعل ذلك بحسب ثقافتها ومعتقداتها وتصوراتها لمصالحها أو مصالح بلدها؛ ولذلك فإن قرارات ديمقراطية في مسألة واحدة في بُلدان متعددة، أو في بلد واحد في أزمان مختلفة قد تكون متناقضة.

لا تقل لي: وكذلك يكون الأمر بالنسبة للمسلمين؟ نعم! قد يكون كذلك بالنسبة للمسلمين في المسائل الاجتهادية، لكنه لا يكون كذلك بالنسبة للإسلام.

في الديمقراطية يكون القرار ظالماً وخاطئاً حتى لو توفرت فيه كل شروط الديمقراطية. أما في الإسلام فلا يكون القرار خاطئاً وجائراً إذا توفرت فيه الشروط الإسلامية، بل لا بد أن تكون فيه مخالفة لهذه الشروط. ولذلك قال صاحب الموافقات كلمته الرائعة: (الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك، ولا يصلح فيها غير ذلك)[1].

قد تقول: لكن القرار السويسري مخالف لحرية العقيدة التي تُقررها اللبرالية؛ فهو بهذا قرار غير ديمقراطي.

ونقول: أما كونه مخالفاً لحرية العقيدة، فأمر لا شك فيه. ولكن: هل من شأن هذا أن يجعله قراراً غير ديمقراطي؟

هذا يثير مشكلة قديمة في الفكر الغربي في العلاقة بين الديمقراطية واللبرالية: أيهما الأساس. يقول بعضهم: إن اللبرالية هي الأساس وأنه مستعد لأن يضحي بالديمقراطية من أَجْلها، ومن هؤلاء من يؤيد وقوف حكومته مع حكومات غير ديمقراطية، لكنها أكثر لبرالية من معارضيها المطالبين بالديمقراطية ولا سيما في قضايا المرأة؛ فهؤلاء يؤمنون بديمقراطية تكون مقيَّدة بقيود لبرالية، ويرون أن الديمقراطية المطلقة إنما هي حكم الرُّعاع mobocracy، وأنها من أسوأ أنواع الحكم الذي يصفه بعضهم بدكتاتورية الأغلبية، ومنهم من يقول: بل إن الديمقراطية هي الأساس. ومنهم من يرى أن أحسن نظام يحقق اللبرالية هو الديمقراطية.

لكن: ماذا يقول أمثال هؤلاء في قضية مثل هذه القضية السويسرية التي لا شك في منافاتها لمبدأ الحرية الدينية الذي تنادي به اللبرالية؟ هل يقال للأغلبية السويسرية: إنكم قد تعدَّيتم على حقوق دينية لبعض مواطنيكم؟ قد ينكرون أنهم فعلوا ذلك. لكن هب أنهم قالوا: نعم؛ لأننا رأينا أن هذا من مصلحة بلدنا، ورأينا في الرموز الإسلامية ومنها المآذن خطراً علينا؛ فبأي حق تطالبون أغلبيتنا بأن تلتزم بأمر لا تراه في مصلحة بلادها؟

هذه هي مشكلة اللبرالية: إنها مجموعة من المبادئ التي يقال عنها إنها حقوق للإنسان باعتباره إنساناً؛ ولذلك لا يجوز لأحد أن يتغوَّل عليها. لكن ما الأساس الذي تستند عليه هذه المبادئ؟ فاللبراليون لا يدَّعون أنها شيء أمر الله - تعالى - به، ولا يدَّعون الآن - كما كان بعضهم يقول في الماضي - أنها حقوق مستندها طبيعة الإنسان. لا يقولون ذاك ولا هذا؛ لأنهم عَلمانيون (على الأقل في فكرهم السياسي) لا يرجعون إلى تشريع خالق، ولأنهم ليس لهم دليل على ماهية الطبيعة البشرية وما تقتضيه.

ماذا بقي؟ هل يقال: إنها حقوق رأت الأغلبية في بلد ما أو في الجمعية العامة للأمم المتحدة أنها حقوق؟ إذا كان الأمر كذلك؛ فإنها لا تكون حقوقاً إنسانية كما هو الادعاء الآن، وإنما تكون حقوقاً أعطتها دولة لمواطنيها، أو رأت أغلبية الدول أنها يجب أن تُعطى للمواطنين. وإذن؛ فإنها تكون مستندة في النهاية إلى الديمقراطية ورأي الأغلبية وهو رأي يمكن أن يتغير، ويكون السويسريون محقِّين في ما قررته أغلبيتهم: من منع تشييد المساجد، بل قد تُقرِّر الأغلبية في بلدهم أو في أي بلد آخر منع بناء المساجد لا مجرد المآذن، بل قد تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في المستقبل، كما أتوقع.

وإذا لم تكن اللبرالية مستندة إلى شرع إلهي، ولا إلى حق طبيعي، ولا إلى ديمقراطية، فماذا يكون مستندها؟ لا يكون لها مستند؛ إلا كونها مبادئ رأت قلةٌ من الناس أنه يجب على البشرية كلها الالتزام بها وتضمينها في دساتير بلادها. وهذا هو الواقع.

لكننا مع ذلك لا نعترض على كل ما يقال عنه في الغرب إنه حق إنساني. وقد كتب في هذا كثير من المفكرين المسلمين، جزاهم الله خيراً؛ وبينوا كيف أن الحقوق التي هي حقوق للإنسان فعلاً، هي تلك التي بيَّنها خالق الإنسان في رسالته إلى عباده.

(١) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المسألة الثالثة من كتاب الاجتهاد.

# الشيخ العلاَّمة شعيب الأرنؤوط للبيان:

## إن طالب العلم لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لغيره من الناس

أجرى الحوار - مجلة البيان

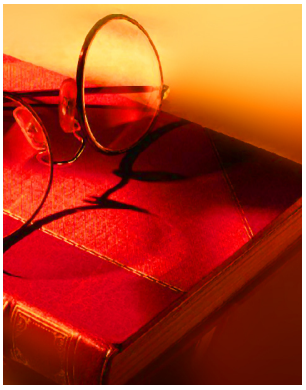

فضيلة الشيخ العلاَّمة شعيب الأرنؤوط واحد من نبلاء المسلمين وعلمائهم في هذا العصر، وله باع طويلة في خدمة السَّنة النبوية المطهَّرة على مدى خمسين عاماً؛ حيث قام بتحقيق عدد كبير من مدوناتها، وعلى رأسها مسند الإمام أحمد، والسنن الأربعة، وسير أعلام النبلاء... وغيرها. وأسس مدرسة راسخة في تحقيق التراث والعناية به وإخراجه بالصورة التي تليق به. وفي هذا الحوار يبشِّرنا فضيلته بأنه يقوم بتحقيق كتاب (فتح الباري) للحافظ ابن حجر. وحرصاً منَّا على نشر الفائدة، ولتسليط الضوء على هذا العالم الجليل كان لنا مع فضيلته هذا الحوار

**البيان: بدايةً نسأل الله أن ينفع بكم وبعلمكم وأن يمدكم بالصحة والعافية. فضيلة الشيخ! لقد حققتم عدداً كبيراً من كتب السُّنة النبوية؛ فهل لكم أن تخبرونا متى كانت بدايتكم في تحقيق التراث؟ وكيف بدأت؟**

■ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كانت بدايتي منذ خمسين عاماً عندما حقَّقت أول كتاب، وهو: (مسند أبي بكر الصديق، رضي الله عنه) لأحمد بن سعيد المَروزي، ثم بعد ذلك توالت الأعمال. ومنذ ذاك الوقت وأنا أفكر في أن أعمل مَعْلَمَة حديثية (صحيحة وحَسَنة) تكون في كل بيت، لكنني لم أجد أحداً يساعدني على نفقات هذا المشروع الذي قد تبلغ تكلفته أكثر من ١٥ مليون دولار، ثم بدأنا في مؤسسة الرسالة على قَدْر الوسع الذي أعطانا الله - سبحانه وتعالى - إياه. وأنجزت في هذه الأعوام الخمسين - ولله الحمد - معظم الشيء الذي كنت قد قرَّرته وتصورت أن يكون؛ فقد حققت إلى الآن ما يزيد على ١٨٠ مجلداً، وفيها ستكون - بعون الله وتوفيقه - نواة هذا العمل الذي كنت أخطط له منذ خمسين عاماً، وبقي عندي شيء من الكتب التي تحتاج إلى استكمال وتحقيق لكي أستكمل هذا المشروع؛ فقد حققت مسند الإمام أحمد في ٥٢ مجلداً، وحققت صحيح ابن حبان في ١٨ مجلداً، وشَرْح السُّنة للبغوي في ١٦ مجلداً، وزاد المعاد في خمسة مجلدات، وهذه كلها كتب حديث، رجعت فيها كلها إلى أصول خطيَّة وتعبت في تعقيبها، ولله الحمد، لكن الله وفَّقني تمام التوفيق؛ فحصلت على أصول لم يحصل عليها مَن كان قبلي من أهل العلم. وكذلك الآن؛ فقد حققت سنن أبي داوود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجة، وتم نشرها جميعها. ومن قَبْلُ حققت سنن النسائي الكبرى التي لم تكن مطبوعة. وهكذا وفَّقنا الله - سبحانه وتعالى - إلى هذه الأعمال التي أرجو أن تكون مقبولة عند الله، سبحانه.

**البيان: إن ما يميز تجربة فضيلتكم، هو أنكم تقومون بالإشراف على فريق علميٍّ يضم مجموعة من المتخصصين؛ وربما كان هذا أحد الأسباب التي ساعدتكم في إنجاز عدد كبير من هذه المشاريع الموسوعية الكبيرة؛ فما تقويم فضيلتكم لهذا العمل المؤسسي الجماعي الذي تشرفون عليه؟**

■ أما بالنسبة إليَّ؛ فقد بدأت بشكل فردي، لكن لَمَّا تمثَّلتُ هذا

المشـــروع وتصوَّرتـه، وجـدت أنـه من المستحســن أن أُعلِّم غيري. وهـــؤلاء الذين يعملون معي غيـــر متخصصين؛ إلا أنهم من أصحاب الدراســـة الجامعية؛ فقمت، ولله الحمد، بتدريبهـــم وتعليمهم، ومن هؤلاء مَـــنْ عمل معي فترة طويلة من الزمن اكتســـب خلالها خبرة جيدة، ولولا أنني أنشـــأت هذا الفريق الذي يعمل معي، ما كنت أســـتطيع أن أُنجز مثل هذه الكتب التي ذكرتُها لكم، لكن الله يَسَّر لي أناساً طيبين، عندهم دين وعلم أوَّلي، ولكن علم الحديث (دراسته، وتنخيل الرواة، ووَضْـــع الخطة لكل كتاب) كل ذلك كانت بدايته مني ولا يزال إلى الآن، وهم – بتوفيق الله – يقومون بالأشياء التي أطلبها منهم، وربما أصبح بإمكان بعضهم أن يتفرد بنفســـه؛ ففي هذه المدرسة قمت بتدريبهم مدة خمسين عاماً؛ فمنهم من يعمل عندي منذ ثلاثين سنة، ومنهم من يعمل منذ خمس وثلاثين ســـنة، وبعضهم أصبحوا في عِداد من يســـتطيع أن ينفرد بخدمة السُّنة النبوية الشريفة.

**البيان: ما أبرز العقبـات التي واجهتكم في هذه الأعمال والبرامج خلال خمسين عاماً في خدمة السُنة النبوية؟**

■ بالنســـبة إليَّ لم يكن هناك عقبـــات تُذكر، إنما كان الطريق معبَّداً. وإذا أراد الله شـــيئاً هيأ أسبابه؛ فقد هُيئت لي جميع الوسائل؛ فالدار التي أعمل فيها كانت تُطلِق يدي؛ فأتخيَّر الكتب والأشـــخاص الذين يعملـــون معي من هؤلاء الأبناء والأســـاتذة، لكن واجهتنا بعض الصعوبات في جَلْب المخطوطات ودراستها ومعرفة ترتيبها وتاريخها والقدرة على قـــراءة الخطوط المتنوعة التي كتبهـــا المتقدمون، مثل: خط النســـخ، والخط الفارســـي، وهذه عقبات بسيطة تُذلَّل ولله الحمد، وما أذكر أنني طلبت شيئاً إلا وفقني الله إليه. وأذكر أنني لَـمَّا حققت كتاب (مُشكِـل الآثـار) بقـي جـزء واحد لم يتيســـر لي، فقلت: لا بد أن يكون هناك جزء ثامن. وفي المتحف البريطاني في لندن كان يوجد جزء من هذا الكتاب، قيـــل: إنه من اختصار ابن رشـــد الفقيه المشـــهور، فطلبته بواســـطة أخ فاضـــل، فأهداني الكتـــاب، وإذا به هو الجزء الثامـــن المتمم للكتاب. وكم كانت فرحتي غامرة عندما رأيت هذه النســـخة الأصل؛ لقد هيأ لي رب العالمين أناساً طيبين من كل بلـد يمدوننـــي بالأصـــول الخطية إذا احتجت إليها. أما بالنســـبة إلى العلم، فهذا علم أتقناه، إن شاء الله؛ فقد شَـــكَرَنا كثير من الناس على حُسْن إخراجنا وعلى المعلومات التي ذكرناها في هذه الكتب. وإن شاء الله نكون من المقبولين عند الله ثم عند الناس.

**البيان: شـهدت السـاحة العلميـة في العقـود الثلاثـة الأخـيرة – بفضل الله – نهضة محمودة في تحقيق التراث الإسلامي؛ حيث نُشر عدد كبير من كتب التراث الإسلامي؛ إلا أن هذه النهضة شابتها بعض الشوائب وتصدَّرَ لها بعض من لم يُحسِن هذه الصناعة؛ فما تقويمكم لهذه النهضة؟**

■ أنا أرى أنه لا ينبغي أن يُقدِم على تحقيق الكتب إلا من استكمل أدوات البحث والتحقيق، وليتق الله قبل كل شيء، ثم بعد ذلك يمارس الدور الذي يعلمه، وكما يقال: رحم الله امرأً عرف قَدْره فوقف عنده، أما أن يُقدِم على هذا العمل إنسان ليس عنده تصوُّر عن هذا العمل ولا عنده أهليه لذلك، فليتق الله ربه؛ لأن هذا تراث تجب المحافظة عليه.

كثير من الناس المبتدئين يظنون بأنفســـهم أنهم يَصلُحون لهذا العمل، لكنهم ما يلبثون أن ينقطعوا، ويكون نِتاجُهم العلمي غير موفَّق. وهذا يســـتدعي أن يبدأ طالب العلم مع أســـتاذ مـــارس هذا العلم حتى يعطيه خصائصـــه وما يحتاج إليه من علم وخبرة؛ لأن المرء يحتاج إلـــى فترة طويلة من الزمن حتى يســـتطيع أن يخـوض غمـار هـذا العلـم؛ فأنا – مثـلاً – بقيت عشـــر ســـنوات أمارس هـذا العمـل ولـــم أُظْهِـر للنـاس خلالهـا ما صنعت. وعندما آنســـت من نفسي أنني أستطيع أن أقـــف على قدميَّ وأن أرفـــرف بجناحيَّ، أقدمت على هذا العمل. وكما قالت العرب: (قبل الرماء تُملأ الكنائن).

**البيان: إن المتابـع يلاحـظ أن بعـض صغار طلبـة العلم ممن لم يتمرسـوا في هذا الفن، يتجـرؤون في (التصحيح والتضعيـف) وقـد لا يتـورَّع بعضهـم عن تخطئـة أئمة العلـم المتقدمـين: كابـن معين وأحمـد بن حنبـل، فضلاً عـن المتأخرين كابـن حجر؛ فمـا رأي فضيلتكـم في هذه الظاهرة؟**

■ هؤلاء مســـؤولون عند اللـــه عـن هذا التصرف. وأنا لا أتحمَّل تبعتهم؛ ذلك أنني لا يمكن أن أضع اســـم أســـتاذ من الأســـاتذة الذين يعملون عندي إلا بعد أن أســـتوثق من عِلْمـــه وبعد أن يمضي عندي فتـــرة طويلة من الزمن، وكما قال الشاعر:

وابـنُ اللبونِ إذا ما لُـزَّ في قَـرَنٍ
لم يستطع صولةَ الأُسْد القناعيسِ

**لا يجوز للمسلم أن يخوض غمار بحث ما من البحوث إلا بعد أن يتأكد من صحة النصوص التي يستشهد بها ويكتبها؛ ذلك أن هذه فريضة ربانية ليست مني أو من فلان**

إن هذا (تحقيق). ويحتاج إلى علم بالعربية والحديث والتفسير والفقه والتاريخ؛ لأن المحقق يقف من الكتاب بعد أن يُظهرَه كما أراده مؤلِّفه؛ يقف منه موقف الناقد، ومن كان كذلك لا بد أن تكون رُتبته في العلم فوق هذا الذي ألَّف الكتاب حتى يستطيع أن ينقده في المواطن التي أخطأ فيها؛ لذلك أنا لا أجيز أبداً لطالب علم مبتدئ أن يتصدى لمثل هذا العمل، بل لا بد أن يتريث حتى يشعر بقرارة نفسه أنه يستطيع أن يخوض غمار هذا البحث.

**البيان: بتنا نلحظ في الآونة الأخيرة تطاوُل بعض المعاصرين على سُنة النبي ﷺ من الذين يردّدون أباطيل المستشرقين بأن السُّنة النبوية لم تُحفظ كما ينبغي عبر الأجيال، ونحو ذلك من الآراء المنحرفة؛ يثيرون هذه الشبهات بقصد الطعن بالسُّنة النبوية؛ فما قول فضيلتكم بأمثال هؤلاء؟**

■ هؤلاء أصحاب نِحلَة فاسدة، ولا ينظرون إلى الحديث بعين الإنصاف والعقل، ولا يسيرون السيرة التي انتهجها العلماء المتقدمون؛ لذلك ليس عندهم منهج في البحث. ونحن نقول: كما حفظ الله القرآن فقد حفظ السُّنة النبوية. وهذا الطعن في السُّنة النبوية وفي طرائق المحدثين، لم يأتِ من عند المسلمين وإنما جاء من قِبَل المستشرقين الذين يريدون أن يسيئوا إلى الإسلام، وقد رد عليهم غير واحد من أهل العلم.

إنَّ كل من قرأ كُتب السُّنة يستيقن بصحة ما فيها؛ لأن البرهنة على ذلك تقوم على الدراسة (السَّنَدية والنقدية)؛ أي: دراسة السند ونقد المتن. وهذا ما فعلناه - بفضل الله - في كل الكتب التي خرَّجناها؛ فلذلك لم يستطيعوا أن يردُّوا علينا؛ فأنا - مثلاً - حتى هذه اللحظة ما أعرف أن أحداً رد عليَّ: لا من المستشرقين ولا من المسلمين الطيبين المخلصين؛ لأنني - إن شاء الله - وفيت البحث حقه وأتيت بالحجج التي تُقنع كل واحد منصف.

إن هؤلاء الذين يطعنون في السُّنة إنما يطعنون ببعض هذه الأحاديث ولا يطعنون بالسُّنة كلياً، وأما من يطعن بالسُّنة كلياً، فهذا لا يعرف ميزة الرسول ﷺ الذي يقول الله الحق - تبارك وتعالى - فيه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فبيان الرسول ﷺ هو: تقييد المطلَق، وتخصيص العام، وتفصيل المجمل، وثمة أحاديث تؤكد المعنى الموجود في القرآن الكريم أو تُشرِّع أشياء لم تأتِ في القرآن الكريم بصورة مفصَّلة وإنما وردت بصورة عامة. وهذا شيء يعرفه الصغير والكبير ممن يدخل في غمار هذا البحث ويتصدى له.

**البيان: ما ذا تقول لبعض المشتغلين بالفقه الإسلامي: من الدعاة وغيرهم ممن ليس له عناية بتصحيح الحديث وتضعيفه؛ حيث يُفتون ويبنون أحكاماً دون أن يراجعوا درجة الحديث من حيث الصحة والضعف؟**

■ هذا الأمر لا يجوز أن يُقدِم عليه من قلَّ زاده العلمي. وإذا كان الشخص يصل مرتبة المتخصص في الفقه، فيجب أن يكون معلوماً عنده أن الحديث الضعيف لا يُبنى عليه حُكْم؛ فالعلماء كلهم قالوا: لا يجوز أن يعتمد الإنسان في الحلال والحرام على الحديث الضعيف أو الموضوع؛ ولذلك فإن من فعل ذلك يكون مقصِّراً في بحثه وسيجد كثيراً من العلماء يردُّون عليه ويبيِّنون خطأه في هذا الذي انتهى إليه.

لذلك نحن نقول: لا يجوز للمسلم أن يخوض غمار بحث ما من البحوث إلا بعد أن يتأكد من صحة النصوص التي يستشهد بها ويكتبها؛ ذلك أن هذه فريضة ربانية ليست مني أو من فلان وفلان؛ فالنبي ﷺ يقول: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»، ويقول ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم». وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن ثمة أحاديث أخرى تعضده. ومن يريد أن يُقدِم على هذا الأمر ينبغي أن يكون مخلصاً متجرداً طالباً الحقيقة، ثم عليه أن يُقدِّم على هذا البحث تخصصات في علم العربية والحديث والمصطلح والأصول وكل الأشياء التي لا بد أن يستكملها الباحث حتى يكون مؤهَّلاً للنقد.

**البيان: ما هو المشروع الذي تقومون به الآن حتى نُبشِّر به القراء؟**

■ منذ فترة ليست بعيدة خرج لي كتاب سنن أبي داوود، وكتاب سنن الترمذي، و كتاب سنن ابن ماجة، وأيضاً كتاب الاختيار (تخريج أحاديثه والرجوع إلى أصل خطي للكتاب)، والآن نعمل في كتاب (فتح الباري) لابن حجر؛ ويتضمن عملنا فيه: أننا جلبنا نسختين خطيتين منها نسخة (السِّندي) عالم المدينة المشهور. وكان عملُنا فيه: أن نُخرِّج الأحاديث التي استشهد بها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في كتابه؛ فإذا كانت صِحاحاً تركناها كما هي دون أن نبيِّنها وكأننا وافقنا المؤلف على ذلك، وإذا كان فيها ضعف نعلِّق عليها. وسوف يخرج في عشرين مجلداً - بعونه تعالى - حيث سهَّلنا للقارئ هذه المعلومات الضخمة الدسمة التي توجد في هذا الكتاب، إن شاء الله.

**البيان: متى ينتهي هذا المشروع بإذن الله؟**

■ الآن وبعد أن اقتربنا من النصف؛ فسيكون في الأسواق خلال سنة ونصف إذا وفقنا الله، سبحانه وتعالى. وأظن أن هذه الطبعة ستكون هي الأُولَى والأخيرة ولا أعتقد أن أحداً سيزيد عليها شيئاً بعدها أبداً، إن شاء الله.

**البيان: لعلنا نختم هذا الحوار الماتع مع فضيلتكم بسؤال يسير؛ وهو: بعد هذا العمر المديد في خدمة السُّنة الشريفة، ما هي وصيتكم لطلبة العلم؟**

■ وصيتي لطلبة العلم أن يبدؤوا مقلِّدين ثم يستمروا كذلك حتى يصيروا متَّبِعين، والتقليد: هو أَخْذ قول الآخر بدون دليل، وهذه فترة لا بد منها، ثم يمر بعد ذلك في فترة الاتِّباع: الذي هو أَخْذ قول الآخر بدليله؛ أي: لا بد للمتخصص أن يمارس العلم دائماً حتى آخر لحظة من حياته؛ فالعلم لا ينتهي، والإنسان كلَّ يوم يزداد علماً، ويجب عليه أن يصل إلى الحقيقة وأن يفتتها ويعلنها للناس حتى يعملوا بها. وطَلَبُ العلم - كما يقولون - مستمر من المهد إلى اللحد، هذا بالنسبة لمن يريد أن يتخصص. والذي لا يريد أن يتخصص يكفيه أن يسأل أهل الذكر. أما أن نسمح لطالب العلم بأن يقلِّد بصورة مستمرة كما نرى ذلك في كثير من الطلبة، فهذا لا يجوز.

إن طالب العلم الذي سيتخصص في الإسلام لا بد له أن يتَّبع، ولا بد له أن يجتهد، ولا بد له أن يصل إلى الصواب من هذه الأقوال التي تكون موضع خلاف، ولا يجوز لطالب علم أن يقلد بعد أن درس الفقه الإسلامي فترة من الزمن تؤهله لمعرفة الصواب من الخطأ.

**إن طالب العلم الذي سيتخصص في الإسلام لا بد له أن يتَّبع، ولا بد له أن يجتهد، ولا بد له أن يصل إلى الصواب من هذه الأقوال التي تكون موضع خلاف**

**البيان: لكن المشكلة الآن أن كثيراً من طلبة العلم لا يوجد عندهم الجَلَد ولا طول النَّفَس؛ ولهذا تجده يضعف كثيراً.**

■ إن هذا العلم فحل لا ينالـه إلا الفحول من الرجال؛ فلا تظن أن طالب العلم يعيش لنفسه، بل ربما ينسى أَكْله وشرابه؛ ذلك أنه إنما يعيش لغيره من الناس؛ ليعلِّم الناس ويفقههم، وهذا دربه طويل ولا بد له من الصبر. ولكن ماذا أصنع إذا كان الطلبة يكسلون وهم يقفون في نصف العلم أو في ربع العلم؟

لا يجوز لطالب العلم أن يقول: أنا انتهيت من العلم، ولكنه ينقل نفسه من مرحلة إلى مرحلة إذا كان يأنس بذلك. وهو يعرف ذلك إذا كان جلس مع أهل العلم وتحدَّث بالآراء التي انتهى إليها؛ عند ذلك فقط يشهد له الناس بالمعرفة وبهذا العلم، والله - عز وجل - يوفقه لمتابعة السير في هذا المضمار حتى يصل - إن شاء الله - إلى غايته؛ لأن العلم ليس له نهاية؛ إذ لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من العلم أن يقول: أصبحت أعلم كل شيء؛ فهذا سيدنا موسى ﷺ لما قال: أنا أعلم كل شيء بعث الله له سيدنا الخضر - عليه السلام - وعلَّمه أشياء ما كان يعرفها، كما جاء في سورة الكهف.

**البيان:** شكراً لكم فضيلة الشيخ، ونسأل الله - عز وجل - أن يجعلكم مباركين أينما كنتم وأن يجعلكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.

■ أسأل الله أن يجزيكم الخير أنتم أيضاً، ونأمل ممن انتفعوا بهذه الكتب أن يتحفونا بدعوات صالحة في ظهر الغيب؛ تلك التي لا ترد.

# الهروب عن النص... إليه!

فهد بن صالح العجلان

**إن أردتَ الظفر بالمعنى والحجَّة الأكثر حضوراً لدى خصوم النص الشرعي في كافة قضاياهم التي يصادمون بها النصوص والأحكام الشرعية، فهي - بجدارة - الحجة والبيان القائل: (هي مخالفة لفهم معيَّن للنص الشرعي وليست مخالفة لذات النص الشرعي). وقد تصاغ بأشكال فنية مختلفة، لكن مفعولها إنما يتحرك حين يستشعر أن ثمة تخطياً أو تعدياً لنص شرعي ما.**

١ - لو كان الأمر متعلقاً بالأحكام الشرعية الاجتهادية أو الخلافية أو حتى ما يحتمل وجهاً أو تأويلاً، لكان هذا أمراً مقبولاً ومستساغاً؛ فما زال العلماء والمجتهدون يختلفون في أحكام الشريعة ويتنازعون وجوه الدلالة وأوجه الترجيح بين الأحكام، وكُتُبُ الشريعة حافلة - من ذلك - بتراث معرفيٍّ ضخم، بل هذا المجال هو المجال الأوسع والأرحب في الشريعة الإسلامية؛ فمدارك الظنون ومساحة الاجتهاد هي أوسع دائرةً وأرحب مجالاً في الشريعة من القطعيات والأحكام الظاهرة.

غير أن الأمر قد تجاوز هذا كله، وأصبح كثير من خصوم النص ينطلق في أحكامه من واقع عصره، ودَافِع هواه وعقله، من غير أن يلتفت للنص الشرعي أو ينظر في دلالته، ثم إذا خَلَص إلى الرأي الذي شاء وشعر بأنه مصادم للنص الشرعي استلَّ تلك المحفوظة المألوفة ورفعها في وجه كل محتسب أو ناصح: (لا أخالف النص وإنما أخالف فهماً معيَّناً للنص).

٢ - إن اختلاف العلماء في المسائل الاجتهادية، بل حتى ما هو خارج عنها، كان ثمرة لنظرهم في النصوص الشرعية وتباينهم في تحديد مراد الله ومراد رسوله ﷺ منها، مع إيمانهم القاطع بأن النص هو الحاكم والقائد والدليل الذي يمضي الجميع تحت لوائه، وهو متقرِّر بالضرورة لدى كل فقهاء الإسلام، ومن ثَمَّ فخلافهم كان من النص يبدأ وإليه يعود، ولم يكن حالهم، هو البحث والقراءة من خارج النص ثم يأتي النص بعد ذلك ليكون تابعاً لما قرَّروه وسائراً في الخط الذي رسموه!

٣ – حين يأتي النظر في النص الشرعي بعد الاعتقاد وتحديد الخيارات، فليس هو في الحقيقة إلا شكل من أشكال التمرير أو التبرُّك – إن أحسنَّا الظن – إذ النص الشرعي حينها ليس إلا تابعاً منقاداً لدى أصحاب هذا الخطاب؛ فسواء وُجِد النص أو عُدِم، فلن يتغير في النتيجة شيء يُذكَر.

٤ – وهذه الحالة في التعامل مع النصوص، لا تبرز إلا مع النص الشرعي؛ فهو النص الوحيد الذي يمارَس عليه هذه الطريقة العبثية في تحميله كل ما لا يمكن أن يحتمل من التفسيرات والتأويلات؛ وإلا فلا يمكن لعاقل أن يفسر النص القانوني – مثلاً – بأنه نص يحتمل أكثر من تفسير وأن لكل أحد تفسيره الخاص به لذلك النص؛ لأن هذا تفكير عبثي تمجُّه العقول لإدراكها بفداحة ضرره الدنيوي.

٥ – إن هذه الطريقة في تأويل النصوص، تعني أن النص الشرعي ليس قائداً للمسيرة ولا هادياً للناس، بل هو عَقَبة كؤود في طريق بعض الناس؛ لذلك يسعون للتخلص منه بأي طريقة ممكنة: من التأويل والتحريف، فينتقل النص بهذا من كونه مصدر هداية وحَلٍّ إلى جَعْلِه مشكلة يُسعى للتخلص منها.

وكثيراً ما يشار في سياق هذه العبارة إلى أن النصوص حمَّالة أوجُه ومحتملة لأكثر من تفسير من غير توضيح لكيفية كون هذا النص – تحديداً – محتملاً لأكثر من معنى؟ وكيف يكون التفسير الذي يُذكَر متوافقاً مع النص؛ فحين يقرر أحدهم – مثلاً – أن العلاقة بين الجنسين تقوم على الاحترام والثقة ولا اعتبار فيها لمعنى الشهوة، يُذكَّرون دوماً بقول النبي ﷺ: «ما خلا رجل بامرأة؛ إلا كان الشيطان ثالثهما»؛ فيكتفي حينئذٍ بمقطوعة (النص المحتمِل) من دون أن يبين للناس: ما هو المعنى الذي يحتمله الحديث غير النهي عن الخلوة؟ وكيف يكون الحديث دالاً على أن الشهوة غير معتبَرة في العلاقة بين الرجل والمرأة؟

إن الخلاف في تفسير النص وحُكْمه وعِلَّته مما لا يخفى على أحد، لكنَّ هذا يجب أن لا يقود إلى إذابة النص ليكون سائباً مهملاً يحتمل كل شيء ويقبل أي تفسير؛ فهذا شأن النصوص التي لا طائل من ورائها وهي إلى التلبيس والإرباك أقرب من أن تكون نوراً وهداية وبياناً ورحمة للعالمين.


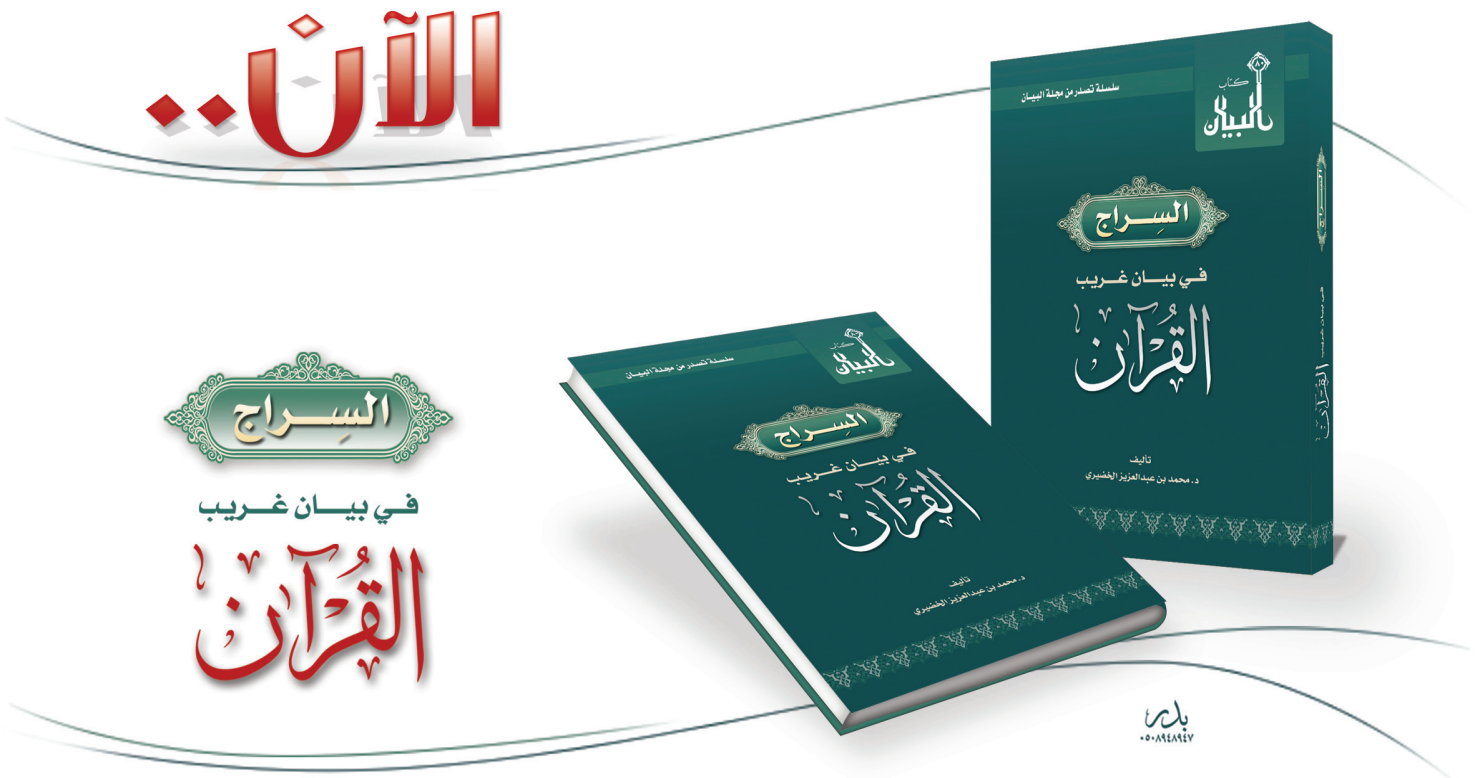


الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢–٠٥٠٢٢١٠٩٢٠–٠٥٠٣٤٠٩٨١٦–٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥–٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

# ولا عزاء للبوسنيات(*)

د. بشـرى بنت عبد الله اللهو
Nukhba121@yahoo.com

اهتزت الجدران حين رن جرس البيت، فهرعت لفتح الباب، وكدت أن أقع من شـدة عجلتي، وتبسـمت ساخرة لعودتي بذاكرتي إلى الوراء وأنا أتعجب من نفسي؛ إذ كيف أمضيت حياتي في بيت أهلي وأنا أرفض الرد من خلال السماعة على جرس البيت، أو حتى على الهاتف، وحين ترجوني أمي، أصرخ بالعاملة أن ترد، بل أزيدها تعنيفاً: ألا تسمعين؟ أليست لك يد لتفتحين؟ فقد كنت أترفَّع أن أفتح الباب لإخوتي الصغار، الذين كانوا يحترقون تحت أشعة الشمس في الخارج، وينتظرون الوقت الكثير أمام المنـزل، يرجون أن تتفضل العاملة بفتح الباب لهم، بينما أنا مستلقية فوق سريري أتصفح إحدى المجلات.

يبـدو أن إخواتي الصغار قد دعوا عليَّ في وقت اسـتجابة؛ فالآن أسـهل عمل أقوم به هـو فتح الباب، ولم أدر شيئاً عن مميزاته من قبل.

أمَّا الآن في الغربة فالمرء يفرح كثيراً حين يسمع جرس الباب يرن؛ لأنه وببساطة شديدة، ينبئني عن قدوم الشـخص الوحيد الذي يدخل البيت؛ ألا وهو شـريك حياتي؛ إنه زوجي. وقد تتسـاءلون: لماذا يدق الجرس؟ ألا يملك مفتاحاً؟

الآن سـأخبركم عـن البعد الآخر للغربـة: إنه انعدام الأمن والأمـان؛ فقبل خروج زوجي من الشـقة صباحاً، لا بـد أن أقطـع نومي لأغلق المزاليج الثلاثة بعد غَلْقِه الباب، ويتأكد مـن ذلك بأن يحاول فتح الباب من الخارج؛ فكثـيراً ما كنت أخدعه وأعـاود النوم، ولكنني في هذا اليوم كنت قد ودعت زوجي قبل قليل؛ فمن عسـاه يكون هذا الطارق؟

(*) قصة حقيقية حدثت لإحدى الأخوات المغتربات في يوليو ١٩٩٨م لوس أنجليس.

أهو البريد؟ يا الله! إن هذا سيجعل النوم يهجر عينيَ حتماً. دعني ألقي نظرة على الأقل. وعبر العين السحرية شاهدت فتاة يبدو أنها من أهل هذه البلاد، لا، لا لم يصل جمالهم لجمالها، بل فاقتهم جمالاً؛ إنها في كامل أناقتها وترتدي ملابس كملابسهم، ولكن: ما الدافع الذي دفع بها إلى الإتيان إلى هنا في مثل هذه الساعة المبكرة؟ لا بد أنها أخطأت... دعيني أرى، وفتحت الباب قليلاً فاندفعتْ بكل ثقة إلى مدخل الشقة.

- السلام عليكم.

(بشهقة عالية): ماذا؟ مسلمة؟ لا أصدق؛ فهي شديدة التبرج، لم يخطر بظني لحظة أنها مسلمة.

- وعليكِ السلام.

كان السلام كافياً لأن يصحح وضعها في قلبي ويبرمجها دماغي في موقع يستحق هذا السلام.

فقد كانت ستمحى سريعاً وفي طَرفَة، من الذاكرة فور اختفائها عن مجال البصر، ولكن الوضع اختلف الآن؛ إنها تتصدر شغاف الروح؛ فبعد أن كانت نكرة، لا تربطني بها أي صلة، أصبحت معرفة، بل أختاً لي.

واشتمَّت شكوكي، فأرادت أن تطمئنني:

- أم محمد أرسلتني.

- ماذا؟ أم محمد! مَنْ تُلقِي علينا دروساً في مسجد المدينة تعرف أناساً بهذا التبرج، بل ترسلهم إليَّ! لماذا؟

وكأنها قرأت ما في رأسي فأجابت:

- قالت: إنك بحاجة إلى من يساعدك في البيت.

لا إله إلا الله، سبحان الله! لقد وصفت لي أم محمد أمراً، ورأيت أمراً آخر.

وحزنت عندها لحال المسلمين؛ فبعض المسلمات، أو قل: الكثيرات منهن، تحضر إلى المسجد بالجلباب والحجاب، وتنزعه عند باب المسجد أثناء الخروج منه، بل بعض المساجد، ونظراً لتبرج النساء، وتسهيلاً لهنَّ وتشجيعاً على الحضور خاصة المتبرجات منهن حتى لو كانت أثناء العمل أو الدراسة، من أجل ذلك كله وضعت حجاباً وملابس صلاة نظيفةً ومكويةً؛ فتدخل المسلمة المتبرجة وترتدي الحجاب ثم تعيده مكانه عند فراغها من الصلاة، ويبدو أن أختنا من هذا النوع، ولا تدري أم محمد عن تبرجها خارج المسجد.

كانت تلك هي الفتاة البوسنية التي هاجرت مع أسرتها إلى أمريكا التي فتحت صدرها لهم؛ لقد هاجروا هرباً من ويلات الحرب الصربية ضدهم، يحلمون بالاستقرار والثراء، فأصبحوا في بلاد (العم سام) يعانون البطالة والفقر؛ فبعد أن كانوا أعزاء أصحاب وطن، لديهم دخلهم الذي يفي باحتياجاتهم وزيادة، أصبحوا يتحسَّرون عليه.

شرحت لي أم محمد ظروفها من قَبْلُ عبر الهاتف؛ فهي العائل الوحيد؛ لأن أباها وإخواتها عاطلون عن العمل. وصدق أو لا تصدق أن الإناث يجدن عملاً وبسرعة، أما الذكور فهيهات هيهات؛ لقد انتقلبت الآية!

وبدأت أركِّز نظري عليها جيداً وأتفحصها.

فقلت في نفسي: يا إلهي! جمال كهذا يجب أن تجلس صاحبته كملكة متوَّجة، ومن بين يديها المال والخدم، أو على الأقل تكون ملكة في بيت زوجها يَسْعد بخدمتها، يحمد الله ليلاً ونهاراً أن رزقه الله زوجة جميلة تُعِفُّه عن الحرام؛ فامرأة كهذه أخجل أن آمرها، بل يجب أن تجلس هي وأنا أخدمها، سبحان الله! يرزق من يشاء.

الحمد لله على نعمته وفضله: لا أملك ربع جمالها، وهي تعمل عندي، ويا ليتني كنت راضية؛ فقد أَحَلت حياة زوجي جحيماً لكثرة تذمري وشكواي ومقارنتي ببقية أهلي وصديقاتي.

ولكن مهلاً لو رآها زوجي لتزوجها مدعياً الرحمة والشفقة بها! هل أنا مجنونة لكي أوظفها عندي! وهممت أن أكلمها، ولكن تَلعثَمَت الكلمات، كأن زلزالاً خفيفاً أصاب شفَتَي؛ فقد التقت عيناي بعينيها فوجدت سحراً؛ لقد كانت مثل ما جاء بالأثر: إنها فتنة! نعم فتنة، فالدماء تتفجر في وجنتيها تفجراً، كمهبط شلالات، تصعد وتهبط في تناغم مثير مع تعابير وجهها. وكانت عيناها واسعتين، ترى نفسك خلالها وكأنك غريق في لجة بحر داج. وكانت تحرك طرف ناظرها يمنة ويسرة تفاعلاً مع الحديث، وأنا

في حيرة من أمري: هل أرقب مخرج الحديث من ثغر وردي باسم يزينـــه لؤلؤ مصفوف؟ أم ألحق ســـواد عينيها الذي يتحرك يمنة ويســـرة ككرة تنس؟ أم أرقب تصاعد الدماء في وجنتها؟ أم أتابع تلاعب الهواء في شعرها... إنها حقاً فتنة.

كانت تتلعثم في إنجليزتها وهو ما زادها جمالاً وفتنة.

فكرت قليـــلاً.. لا، لا أســـتطيع أن أهين أختاً مســـلمة بهذ الطريقة.

ســـامحك الله يا أم محمـــد لقد وضعتني فـــي هذا الموقف المحرج. فأبديت لها أسفي وقلت لها: إنني سأحاول الحصول لك على وظيفة في المدرسة الإسلامية.

- شكراً أنا لا أريد وظيفة.

ثم أتممت بفرح شديد:

- لقد حصلت على وظيفة.

- ألف مبروك، أين؟

- في مجمع روبنسون ماي، في قسم العطور الرجالية.

- مـاذا؟

ومـا إن سمعت ردَّهـا حتـى شعرت بدوار: لا، لا يمكن هذا: أختـي المسلمة الفتـاة الصغيرة، فاتنـة الجمال، سترش العطر علـى يد هـــذا، وتلمـس خدَّ هـذا: (لا حـول ولا قـوة إلا بالله). وهذا ســـيدعوها على العشـــاء والآخر سيعرض خدماته: (إنا لله وإنا إليه راجعون). لقد كنت أخشاها على زوجي، وهو الرجل الصالح الذي سيغض بصره عنها وسيحافظ عليها، وسيغار عليها كغيرته على أخته، والآن ستذهب إلى وحوش بشرية ترتدي بزات أنيقة.

وحين طال صمتي أردفت:

- أمي ستساعدك.

ودخلت الأم التي يبدو على محياها الفقر، بتبرج النصارى.

- أمي لا تتحدث الإنجليزية وحضرت معها لأترجم لها ما ترغبين في شرحه لها.

هـــل أرفض الأم؟ إنني إن رفضتها ربما تذهب هي الأخرى إلى روبنســـون ماي... لا، لا: إنهـم لا يـريدون هـذه الأنـواع ولا يعرفون من يختارون. دعني أَقْبَلها فربما إن أصبـح عنـدهم بعض المال يفكرون جيداً في وضع ابنتهم.

ودَّعتنا الابنة وقلبي يتقطع حســـرات؛ فهي شرفي الذي يكاد أن ينتهك، وعِرضي الذي يراد له أن يغتصب، وماء وجهي الذي أريق. لحقتهـا ببصـري وأنا أردد فـي نفسي: لا، لا، أرجوك لا تذهبـي، سأعطيك كل ما أملـك لكـي لا تعملي هناك، سأعطيك حتى زوجي، ولكن لا ترحلي عن دينك.

وكان أول سؤال سألته للأم، هو: لماذا لا يعمل زوجك وأبناؤك، فأجابت بعد جهد جهيد:

- زوجي وأبنائي لم يحصلوا على وظائف ولديهم مشـــكلات مع دائـــرة الهجرة والعمل، أنا وابنتي نعمل بفترات متقطعة في البيوت والمطاعم.

وبعد أن بذلت الصعوبات لأُفهمها خطورة الموقف وأبيِّن لها - تمثيلاً - ما قد يحصل لابنتها، أجابت بعد جهد جهيد:

- الحمد لله، طبعاً، طبعاً، روبنسون ماي أفضل من عملها السابق؛ فقد كانت تقدِّم الخمر للسكارى.

وكانت هذه ثاني صدمة لي هذا الصباح. كانت طفلة في البوســـنة تحلم بفارس الأحلام والعيش كأميرة في بيت دافئ يغرد فيه الأطفال ولم يَدُر بخلدها قط أنها ستخدم الرجال لتكون مصدر الرزق الوحيد لأسرتها... ولا عزاء للبوسنيات.

# [ المسلمون.. والعالم ]

الرباعية الإيرانية في المرمى الأفغاني
أحمد فهمي

بلوشستان: الهدف الأمريكي القادم!
محمد سليمان الزواوي

أين الولايات المتحدة من الحوثيين؟
أمير سعيد

الجالية الصومالية في الغرب والخوف من الغرق
حسن محمد إبراهيم

مرصد الأحداث
جلال الشايب

# الرباعية الإيرانية في المرمى الأفغاني

**رغم التعقيد الظاهري الذي تبدو عليه السياسة الإيرانية، خاصة مع تعدد الأطراف والقوى الداخلية الممسكة بزمام القرار السياسي؛ إلا أنها تتميز بوجود أنماط ثابتة يمكن ملاحظتها وقراءتها في غالبية الأزمات السياسية التي تنغمس فيها إيران أو تصنعها. هناك أربعة أنماط أساسية - تحديداً - يمكن تلخيصها في أربع كلمات: التواصل، الانتظار، التوظيف، التبديل.**

أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

## أولاً: التواصل:

تسعى إيران في خضم الأزمات إلى فتح قنوات الاتصال مع كافة الأطراف المؤثِّرة في الأزمة؛ سواء كانت تتفق مع رؤيتها السياسية أم لا، متجاوزة حتى الخلافات العقدية، ويظهر ذلك بوضوح في العراق وأفغانستان؛ فقد تمكَّنت طهران عبر أجهزتها ومؤسساتها المختلفة من التواصل مع أغلب القوى الموجودة على الساحة.

تعتمد السياسة الإيرانية في هذا الصدد على فكرتين أساسيتين لبناء علاقة مع الأطراف التي تتعارض مصالحها مع المصالح الإيرانية بصورة عامة:

الفكرة الأولى: البحث عن نقاط اتفاق أو تلاقٍ، وبعبارة أخرى: البحث عن «عدو مشترك».

الفكرة الثانية: تقديم عروض مبنية على مواءمة إستراتيجية لنقاط الضعف لدى هذه الأطراف.

في العراق تعاونت إيران مع واشنطن ضد صدام ثم ضد «المقاومة»، كما تواصلت مع قوى سُنية مشاركة في مقاومة الاحتلال الأمريكي، مثل: القاعدة، وقدَّمت لها دعماً وسهلت عمليات الانتقال والتحرك والإيواء، وهي أمور

تمثِّل للقاعدة مسألة حياة أو موت، والأمر نفسه مع القوى الشيعية المعارضة لإيران؛ فالتيار الصدري على سبيل المثال يقوم - بالأساس - على فكرة: «تعريب المرجعية» بدلاً من «تفريسها»، لكنها نجحت في احتوائه واستيعابه وتوظيفه لصالحها ضد الاحتلال والسُّنة والشيعة أنفسهم.

في أفغانستان، تحالفت إيران مع أمريكا ضد طالبان والقاعدة، ثم فتحت قنوات اتصال مع عناصر من القاعدة وقدَّمت لهم أنواعاً مختلفة من الدعم، في الوقت نفسه الذي سلَّمت فيه عناصر أخرى من التنظيم مطلوبين أمنياً لدولهم؛ لإثبات مشاركتها في الحرب ضد «الإرهاب».

ورغم أن المعلومات عن التعاون بين الطرفين: (إيران، القاعدة) تتسرب منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، وبخاصة أثناء الحقبة السودانية من تاريخ التنظيم؛ إلا أن مجالات التلاقي تزايدت في العقد الأخير، وقد نشرت صحيفة ديلي تليغراف البريطانية ما زعمت أنه رسالة بعث بها الرجل الثاني في القاعدة (د. أيمن الظواهري)، يثني فيها على الدعم الإيراني لإحدى الهجمات التي نُفِّذت في اليمن، كما أشاد بقيادة حرس الثورة الإيراني وبكرم إيران، التي بدون «مساعدتها المادية في إنشاء البنية التحتية» لم تكن لتتمكن من تنفيذ الهجمات[1].

كما تذكر بعض التقارير معلومات عن محاولة إيران تقديم دعم مقَنَّن إلى طالبان؛ إلا أن هذا الدعم يصل عن طريق أطراف غير رسمية لنفي الشبهات، وتحديداً بواسطة «مهربي السلاح»؛ حيث أعلنت لندن أن قواتها في أفغانستان اعترضت قافلة عسكرية متوجِّهة إلى مناطق طالبان يقودها مهربون، كما نقلت بعض وسائل الإعلام عن مصادر في حركة طالبان: أنهم يتعاملون مع مهربي سلاح إيرانيين.

هذه الطريقة الملتوية نجحت بالفعل في إثارة الارتباك لدى القيادة السياسية الأمريكية، وكان (ريتشارد باوتشر) مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة (كوندوليزا رايس) لشؤون جنوب ووسط آسيا قد صرح: «إننا لا نعرف على وجه الدقة من الذي يفعل هذا وما سبب ذلك، لكننا نعلم أن هذه أسلحة من أصل إيراني ظهرت في أيدي طالبان».

يزيد من حالة الارتباك رَفْض مسؤولين غربيين للاتهامات الأمريكية على اعتبار أن الأسلحة الإيرانية أصبحت متوفرة في السوق السوداء منذ التسعينيات عندما كانت طهران تشحن الأسلحة إلى الجماعات المناوئة لطالبان، وبعض التقديرات تذكر أن من بين كل ١٠ بنادق كلاشينيكوف هناك واحدة إيرانية[2].

هذا الدعم - في حال تأكده - لا يستهدف مساعدة طالبان في تحقيق نصر ساحق على الاحتلال، ولكنه يؤمِّن لإيران تحقيق التوازن بين الأطراف المتصارعة حتى لا ينتصر طَرَف على آخر ويكون على طهران التعامل لاحقاً مع المنتصر، وكما يقول الصحفي الباكستاني (المتأمرك) أحمد رشيد: إن إيران تنظر إلى طالبان «ليس بالضرورة كواجهة سياسية؛ لأنه من الواضح أن الإيرانيين لا يريدون عودة طالبان، بل كقوة يمكنها أن تعوق الولايات المتحدة إذا ما هاجمت إيران»[3].

وقد نقلت مجلة التايم قبل عامين على لسان محرِّرها بريان بينيت أن قوات حلف الناتو اعترضت شحنات من أسلحة إيرانية الصنع في أفغانستان، وتشمل: مدافع الهاون ومتفجرات بلاستيكية وخارقة للدروع. وصرَّح ويليام وود السفير الأمريكي في كابل بأنه «ليس هناك شك في أن عناصر من حركة التمرد قد تلقَّت أسلحة من إيران»، كما اكتُشفت عدة مخابئ للأسلحة الإيرانية في البلاد[4].

ويتضح أسلوب طهران في موازنة الدعم من خلال ما نشرته صحيفة الواشنطن بوست من تقويم خاص للحرب كتبه الجنرال ستانلي ماكريستال (قائد القوات الأمريكية في أفغانستان) زعم فيه أن «فيلق القدس» يدرب جماعات معيَّنة من طالبان، وقال: «سياسات وأعمال إيران الحالية لا تمثل تهديداً قصير المدى للمهمة، لكن إيران لديها القدرة على تهديد المهمة في المستقبل»[5].

تمكَّنت إيران عبر هذه الإستراتيجية (أي: التواصل مع كافة الأطراف) من تضخيم دورها في أفغانستان للدرجة القصوى؛ بحيث أصبح يُنظر إليها دولياً كلاعب رئيس لا يمكن الاستغناء عنه في حل المعضلة الأفغانية، ويتضح ذلك في رؤية مسؤولين عسكريين أمريكيين بارزين؛ إذ يقول الأدميرال مايكل مولن قائد القوات المشتركة في أفغانستان: إنه يفضل

(١) الجزيرة نت: ٢٤/١١/٢٠٠٨م.

(٢) شبكة النبأ: ٢٣/ ٤ / ٢٠٠٧م.

(٣) إسلام أونلاين: ١/٢/٢٠٠٩م.

(٤) مجلة التايم، مقال: إيران ترفع درجة الحرارة في أفغانستان: ٢٢/٢/٢٠٠٨م.

(٥) ا ف ب، يو بي أي، رويترز، د ب ا، مجلس المقاومة الإيرانية: ٢٣/٩/٢٠٠٩م.

حلاً إقليمياً لأزمة أفغانستان يتضمن إيران المجاورة رغم ما تفرضه طموحات إيران النووية من صعوبات، ويقول: «إيران دولة حدودية، وتلعب دوراً كذلك لدرجة أنه يمكننا التحاور معهم وإيجاد اهتمامات متبادلة»[1].

## ثانياً: الانتظار:

يتفوق الإيرانيون انطلاقاً من التراث الديني الشيعي في ممارسة لعبة الانتظار؛ حيث يمثل عنصر «الزمن» مكوناً رئيساً في تشكيل الإستراتيجية الإيرانية، وهذا ينتج عنه أمران متلازمان:

أولهما: أن الإيرانيين يعتمدون بصورة أساسية على التغيرات التي يمكن أن تطرأ على منافسيهم في المستقبل، كما يؤثرون تحقيق المكاسب الجزئية المتدرجة عبر الزمن وصولاً إلى الهدف الأكبر.

ثانيهما: تحظى معطيات التاريخ بحيوية خاصة في العقلية الإيرانية السياسية؛ حيث يتميز الإيرانيون بمستوى مرتفع من التواصل مع تاريخهم والتعاطي مع خبراته وتجاربه، بل انعكاساته الثقافية والنفسية؛ لذا فهم ينظرون إلى دولة مثل أفغانستان من خلال بُعْديها (التاريخي والمستقبلي) معاً، وهذه النظرة تُعزِّز من مشروعية السياسة الإيرانية في منظور قادتها؛ فهي تسعى إلى إعادة الأمور إلى وَضْعها التاريخي الصحيح بحسب ما يرونه.

ولعل عقيدة: «المهدي المنتظر» توضح بجلاء هذا التزاوج بين التاريخ والمستقبل؛ فهذه الشخصية حسب المعتقد الشيعي يتمثل بُعدها التاريخي في ظهورها قبل ١٢ قرناً تقريباً ثم اختفاؤها، كما يتمثل بُعدها المستقبلي في ترقُّب ظهورها في آخر الزمان، وهو ما تلوح بوادره حالياً حسب كثير من رجال الدين الشيعة.

ومع غموض مسألة الظهور الثاني المزعوم، انعكس ذلك بالتبعية على السياسة الإيرانية؛ فالمسؤولون الإيرانيون يجيدون ممارسة لعبة الانتظار، ولكنهم لا يتقنون إنهاءها بنفس الدرجة. وقديماً كان الفكر السياسي الإيراني ينادي بالقعود في انتظار المهدي، ثم تطوَّر الأمر بالدعوة إلى النيابة عن المهدي في بعض مهامه وهو ما نادت به نظرية ولاية الفقيه، ثم ظهرت الدعوة لتهيئة الأجواء لظهور المهدي، وهذه كلها أفكار لها تأثيرها على السياسة الإيرانية.

(١) الجزيرة نت: ٢٨/١/٢٠٠٩م.

وكان (علي سعيدي) ممثل المرشد الإيراني (علي خامنئي) في الحرس الثوري قد دعا إلى ضرورة إحداث تغييرات واسعة في البلدان المجاورة لإيران تمهيداً لظهور المهدي، وذكر (سعيدي) أسماء هذه الدول وهي: تركيا والعراق ولبنان وباكستان وأفغانستان، وقال: «على الشعوب المسلمة في البلدان المجاورة لإيران، مثل: تركيا والعراق ولبنان وأفغانستان وباكستان أن تنهض بكل قواها للتغيير؛ لأن هذه البلدان تشكِّل إلى جانب الحكومة والشعب الإيرانيين مركزاً لدعم الثورة العالمية للمهدي المنتظر».

وفي إلماحٍ إلى تأثير «فكرة الانتظار» على الأداء السياسي الإيراني، قالَ (سعيدي): «أمامنا زمان طويل لتحقيق ذلك، وفي هذه الفترة يجب أن نهتم بتربية القوات النزيهة على أساس التعرُّف على أسباب ظهور المهدي المنتظر وسبل منع العوائق ومنها الولايات المتحدة وإسرائيل»[2].

يظهر تأثير ذلك على الساحة الأفغانية في اتباع طهران سياسة النَفَس الطويل؛ فهي تعمل على ترسيخ وجودها الاقتصادي والاجتماعي في مناطق غرب أفغانستان وتقوم بضخ ملايين الدولارات؛ لبناء الطرق وشبكات الكهرباء والمدارس والمستشفيات، كما يقوم عملاء الاستخبارات برشوة زعماء القبائل بأكياس من المال لشراء النفوذ.

هذه السياسة تدركها واشنطن جيداً وتدرك أيضاً أنها لا تستطيع مجاراة إيران فيها، وكما يقول مسؤول بالخارجية الأمريكية: «إننا قد نبقى هنا لمدة عشر سنوات أو عشرين سنة، ولكننا لن نكون هنا إلى الأبد»[3].

وفي الوقت الذي ترفع فيه إيران من سقف أهدافها وتوقعاتها في أفغانستان؛ فإن الولايات المتحدة أخذت منحىً معاكساً؛ فخفضت من سقف أهدافها؛ لتتحول من: إقامة دولة مستقرة سياسياً واقتصادياً، إلى القضاء على «الإرهاب والتطرُّف» والحيلولة دون سيطرة طالبان على البلاد، ثم إلى تأمين أمريكا من خطر «الإرهاب» المنبعث من أفغانستان.

وقد اعترف وزير الدفاع الأمريكي صراحة بذلك، عندما وقف أمام لجنتَي الخدمات المسلحة لمجلسَي (النواب والشيوخ)، وقال: إنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تتعثر في هدف غير واقعي، وهو تحويل أفغانستان إلى أمة مزدهرة

(٢) موقع موسوعة الرشيد: ١٧/٨/٢٠٠٩م.

(٣) مجلة التايم، إيران ترفع درجة الحرارة في افغانستان: ٢٢/٢/٢٠٠٨م.

اقتصادياً، وقال في وضوح: لكي أكون صادقاً؛ فإن أمريكا لا يمكنها الانتظار؛ لأنه إذا وضعنا لأنفسنا (مثل هذا الهدف) فسوف نخسر؛ لأنه لا يملك أحد في العالم هذا الوقت أو الصبر أو المال».

واختزل غيتس هدف أمريكا الأساسي في: «التأكُّد من أن الإرهابيين لن يستعيدوا السيطرة على المنطقة؛ كي لا يستخدموها قاعدة لهجماتهم على أميركا أو حلفائها»[1].

ولم تغيِّر إستراتيجية أوباما الجديدة التي أعلنها قبل أسابيع من هذه الأهداف، ولكنها أضافت هدفاً تنموياً مبهَما؛ بغرض التجميل السياسي لا أكثر، ورغم تضمُّن هذه الإستراتيجية إرسال ٣٠ ألف جندي أمريكي إضافي؛ إلا أن احتمالات الحسم تظل غامضة رغم وجود ١١٠ آلاف جندي تابعين للناتو من بينهم ٦٨ ألف جندي أمريكي قبل الزيادة الأخيرة.

وبحسب خبراء ومتخصصين؛ فإن زيادة عدد القوات ستؤدي إلى اتساع نطاق التحركات والقوافل والإمدادات، وهو ما يعني مزيداً من الأهداف أمام عمليات المقاومة الأفغانية، ويفضي إلى مزيد من الانغماس في المستنقع، وهذا عين ما تريده وتخطط له طهران، وهو: أن تبقى كافة الأطراف غارقة ومفتقرة إلى الدعم الإيراني.

## ثالثاً: التوظيف:

تنشط إيران في الدول والمناطق التي تضم أقليات شيعية بين سكانها، وكلما كانت نسبة هذه الأقلية مرتفعة أتاح لها ذلك مساحة أكبر للحركة والتدخل عن طريق توظيف هذه الأقلية.

وقد تمكَّنت إيران عبر سنوات طويلة من الجهد المركَّز من دعم الشيعة الأفغان؛ ليحققوا مكاسب سياسية واقتصادية تفوق نسبتهم السكانية بكثير، وهو ما يعني امتلاك قدرة أكبر على التأثير في أفغانستان؛ فقد تم الاعتراف بالشيعة الجعفرية كمذهب ديني في الدستور الأفغاني للمرة الأولى، ويشكِّل نواب الشيعة ربع أعضاء البرلمان، كما حصلوا على نسبة كبيرة من الحقائب الوزارية وحكام الولايات وغيرها من المناصب الهامة في الدولة، ونسجت الأحزاب الشيعية علاقات خارجية قوية مع إيران ودول غربية أخرى بعيداً عن الحكومة المركزية، وقد أدى ذلك إلى تركُّز المساعدات الغربية في مناطق الشيعة.

ويسيطر الشيعة على قِطاعات مهمة من الاقتصاد الأفغاني، وعلى سبيل المثال: يمتلك المستثمرون الشيعة النسبة الأكبر في شركات المحمول الثلاث، كما يمتلكون قريباً من نصف القنوات المرئية والصحف والمجلات الصادرة في أفغانستان.

وتشهد مناطق عدة في أفغانستان ثورة في إنشاء المدارس والحوزات والحسينيات الشيعية المموَّلة بصفة أساسية من قِبَل إيران والمرجعيات الدينية في العراق[2].

وتعمل عدة مؤسسات إيرانية بصورة مباشرة في أفغانستان، وهي: إما تابعة للحرس الثوري مباشرة، مثل: مؤسسة بارسيان الخضراء، أو تابعة لمكتب المرشد، مثل: مؤسسة الإمام للإغاثة. وكلها تعمل على إنشاء مراكز وفروع لها في مختلف أنحاء البلاد لضمان سيطرة أكبر على الأوضاع.

وتقوم إستراتيجية إيران في توظيف الأقلية الشيعية الأفغانية على أمرين:

أولهما: السيطرة على مفاصل هذه الأقلية من خلال الدعم الاقتصادي والعمل السياسي، ومن المعروف أن حزب الوحدة الشيعي (وهو الحزب الشيعي الأكبر)، تأسس برعاية إيرانية على نمط المجلس الشيعي الأعلى في العراق؛ أي: هو خليط يجمع عدة أحزاب شيعية، وهو بذلك يمثل الأداة السياسية الرئيسية لإيران، وللحزب تاريخ دموي في التعامل مع الأفغان السُّنة.

ثانيهما: تضخيم حجم الأقلية، وتأثيرها، وهو ما أشرنا إليه سابقاً، وتقدِّم البيئة الأفغانية الممزقة عِرقياً وضعاً نموذجياً للمخطط الإيراني لتمرير الأقلية الشيعية وتحريكها من خلال سلسلة من التحالفات والمواجهات التي جعلت الشيعة مكوناً رئيساً في الحياة السياسية رغم تضاؤل نسبتهم إلى ما دون الـ ١٠٪.

إن علاقة إيران بالأقلية الشيعية في أفغانستان، تمثل ثابتاً بين علاقات تتسم بالتغيُّر المستمر؛ فالتوافق العَقَدي يجعل من هذه الأقلية الحليف الأقوى لإيران، ومن ثَمَّ الورقة الأساسية التي لا يمكن أن تتخلى عنها مهما تبدلت الظروف وتغيرت الأنظمة السياسية.

تتعاظم أهمية هذه الأقلية بالنسبة لطهران من خلال تأمُّل تاريخها المتمرد ضد الحكم السُّني في أفغانستان؛ فقد

(١) الجزيرة نت: ٢٨/١/٢٠٠٩م.

(٢) انظر لمعلومات إضافية مقال: تنامي القوة الشيعية المتزايدة في أفغانستان إلى أين؟ موقع المسلم: ٢٠/١١/١٤٢٧هـ أبو فضل نافع.

**إذا كان مجيء جورج بوش إلى الرئاسة عام ٢٠٠١م شكَّل تحولاً جذرياً في الدور الإيراني بالمنطقة نتيجة احتلال أفغانستان ثم العراق، فإن مرحلة أوباما أدَّت إلى انتعاش الحلم الإيراني بالتحول إلى قوة إقليمية عظمى**

واصلت أقلية الهزارة الشيعية عبر قرون متتالية ثوراتها ضد السُّنة دون أن تفلح معهم وسائل القمع أو التسامح؛ فقد اتبع معهم عبد الرحمن خان الذي حكم أفغانستان في الفترة من ١٨٨٠ - ١٩٠١م، أسلوباً حاسماً نتيجة تمرُّدهم المستمر؛ فمنع التشيع ودَعَم السُّنة؛ فهاجر كثير منهم إلى بلوشستان والهند وإيران، وعندما تولَّى بعده ابنه حبيب الله خان، عاملهم بمرونة وسمح لهم بالعودة، ولكنهم ظلوا على تمرُّدهم وثوراتهم.

### رابعاً: التبديل:

تستخدم إيران ملفات الأزمات كأوراق تفاوضية في أزمات أخرى؛ فهي - على سبيل المثال - تستغل نفوذها في أفغانستان أو العراق أو الخليج، كأوراق في إدارة المساومات على الملف النووي، كما تستغل الملف النووي كورقة تفاوضية في إدارة الملفَين (العراقي والخليجي)، ويصعب على المحلل السياسي أن يحدد بدقة: أي الملفات يمكن أن تتنازل عنها إيران في النهاية مقابل تحقيق مكاسب في الملفات الأخرى؟

لذلك تحرص طهران على الحضور بقوة في الأزمات المثارة بدول المنطقة، بل تصنع أزمات لم تكن موجودة من قبل، مثل: أزمة التمرد الحوثي في اليمن.

بالنسبة للملف الأفغاني؛ فإن إيران تدرك أن أفغانستان هي محور مهم لتلافي الضغوط الغربية على روسيا؛ لسحبها بعيداً عن دعم إيران؛ فمقابل الحوافز الاقتصادية الغربية المقدَّمة لروسيا لترفع غطاءها عن طهران، لا تجد إيران في المقابل ما يمكن أن تقدِّمه لموسكو؛ ليعادل هذه الإغراءات، وهنا يبرز دور أفغانستان باعتبارها محوراً مشتركاً بين الدول الثلاث: (روسيا، أمريكا، إيران)؛ حيث تتفق هذه الدول الثلاث على اعتبار الحركات الجهادية الإسلامية في المنطقة خطراً يتهددها جميعاً، خاصة أن البيئة الأفغانية أصبحت مركزاً لإعادة التجميع والحشد لهذه الحركات، يضاف إلى ذلك مخزون النفط في قزوين، ومشكلة المخدرات المستعصية على الحل، وهذه كلها قضايا تحتاج إلى طاولة مفاوضات ثلاثية يمكنها أن تخفف الضغط على الطاولة النووية التي تجلس عليها إيران بمفردها.

لكي تصل إيران إلى هذه الطاولة، فإنها تسعى إلى استغلال علاقاتها بكافة الأطراف؛ لتغيير معادلات التوازن، ولإيجاد بيئة غير مستقرة يصعب الخروج منها دون مساعدة خارجية، كما أنَّ عليها أن تتعامل مع ملفات الأزمات كباقة واحدة يجري التبديل بين مكوناتها بحسب الضغوط التي تُمارَس عليها، وفي خلال ذلك كله؛ فإنها تتحلى بالصبر الطويل الذي يراهن على تغيُّر الظروف والأحوال، وإذا كان مجيء جورج بوش إلى الرئاسة عام ٢٠٠١م شكَّل تحولاً جذرياً في الدور الإيراني بالمنطقة نتيجة احتلال أفغانستان ثم العراق، فإن مرحلة أوباما أدَّت إلى انتعاش الحلم الإيراني بالتحول إلى قوة إقليمية عظمى تمارس دوراً مدعوماً من العالم الغربي، وذلك في ظل غيبة كاملة للدور العربي المتواري خلف ظلال التحالف مع الولايات المتحدة.

شركات ومصانع رغدان للدهانات

RAGHADAN

No 1

رغدان

دهانات تميزت بالجودة

www.Raghadan.com

مجموعة ... RAGHADAN GROUP OF PAINT COMPANIES AND FACTORIES

# إطلالة جديدة ... لرشات يابانية ديكورية مبتكرة
# ( بشكل الجرانيت )

multi-color paint zola-coat

ALESCO

KANSAI PAINT
شركة كنساى اليابانية

# أكوا زولاكوت
# AQUA ZOLACOAT

## رشات يابانية ديكورية قوية - داخلية وخارجية

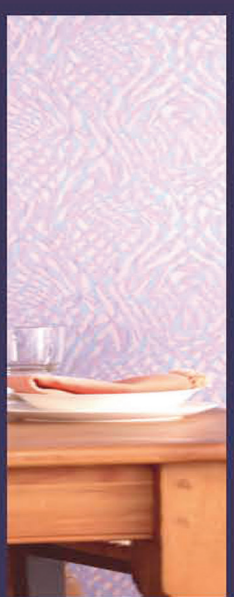

## مزايا أكوا زولاكوت

- رشات ديكور متعدة الألوان ذات لمعه
- للاستعمال الداخلي والخارجي
- قابلة للغسيل
- ضد الخدش
- ضد البكتيريا والفطريات
- مقاوم للعوامل الجوية القاسية
- مؤخر للحريق
- صديق للبيئة وعديم الرائحه
- يمكن طلاؤها على معظم الاسطح

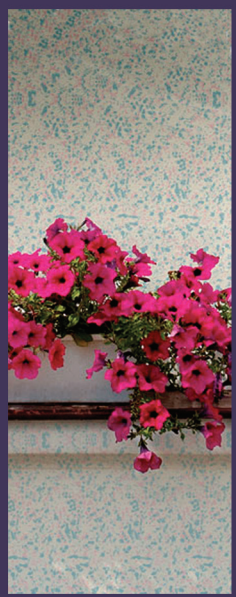


الادارة العامة (الرياض) : تلفون ٤٥٤٩٩٨٢ (١ ٠٠٩٦٦) فاكس ٤٥٤٩٩٨١ ص.ب ١٥١٨ الرياض ١١٤٤١ السعودية

Head Office : Tel. (00966 1) 4549982 Fax. 4549981 P.O. Box 1518 Riyadh 11441 Saudi Arabia

Website: www.Raghadan.com E-mail: paints@Raghadan.com

الرياض ٤٥٥٠٥٧٢ جدة ٦٠٥١٤٤٦ الدمام ٨٣٣٠٠٤٧ الاحساء ٥٣١٣١٢٣ خميس مشيط ٢٢٣١٣٦٧ المدينة ٨٤٥٤١١٣


السعودية - الامارات - الكويت - قطر - البحرين - عُمان - اليمن

الاردن - سوريا - مصر - السودان - ليبيا - بريطانيا

# أين الولايات المتحدة من الحوثيين؟

أمير سعيد
amirsaid@gawab.com

لا يغيب عن البال أن ما بين الأخطار المهدِّدة لأمتنا العربية علاقات جدلية ومساحات رمادية يصعب في ضبابيتها قراءة خرائط التحالفات والصراعات في المنطقة على نحو دقيق.

لكن ما قد كان ضبابياً في السابق انقشعت عتمته مؤخراً مع سلسلة من الأحداث والمواقف والتوافقات بين قوى تبدو لأوَّل وَهْلة متعارضة بينما تتشابك أياديها تحت طاولة المفاوضات، وتبدو الصورة أكثر جلاءً من ذي قبل؛ إذ الشواهد متزاحمة قبل إسدال ستارة النهاية.

إن الصراعات كثيراً ما تأخذنا إلى غير المكان الذي نريده، وتحليلات المشهد السياسي تقوم بالشيء ذاته؛ حيث يفضي الاعتقاد أحياناً إلى أنَّ النظر إلى بطء الفعل الأمريكي، هو نوع من استعجاله، أو هو مرادف مألوف للتعويل عليه، وبناءً على ذلك يجد المرء نفسه مدفوعاً إلى أهمية التمييز ما بين تحليل الموقف، والوقوع في الاستقطاب الذي قد يراه الانهزاميون اضطرارياً في المنطقة، ولا يجد المستقلون أنفسهم مشدودين إليه، لا. بل يرونه نوعاً من تأجيل الهزيمة أو الاختيار الطوعي للعبودية.

حقاً، لا ارتباط مطلقاً بين التحذير من خطر ما، واستدعاء آخر، لكن الجدير بالدراسة هو ما يستتبع انكشاف الصورة الآن، من ضرورة الاصطفاف العربي والإسلامي بمشروع أضحى اضطرارياً للخروج من دائرة التقسيم والتفكيك وَفْقاً لأجندتين باتتا متشابهتين في أهدافهما لحدٍّ بعيد.

لقد كان رائداً أن تتبلور رؤية التوافق الغربي الإيراني، وربما الروسي من خلف ستار على أنه علامة على جريان المياه في جدول التوافق السياسي البراغماتي المتوقَّع، وهو ما كانت تحذر منه أقلية يقظة، وهو ما ينجم عنه أيضاً اتضاح صورة بؤس المشهد العربي الذاهل، ونقيضه.

لقد جرى الحديث عن الصراع بشكله الكاريكاتوري الذي بشَّرت به جموع «المثقفين» الناقلة - قسراً - إلى الأمة مفاهيم تخديرية عن علاقة إيران بالغرب، وهو ما ساهم بدوره في تغييب العرب عن إبصار المشهد بعين سليمة.

والآن، ونحن نعالج مسألة علاقة الأمريكيين بما يجري في الشمال اليمني، لا يمكننا اقتطاع هذا الجزء من الخريطة عن سائر المنطقة العربية والإسلامية، والذي تجد فيه الولايات المتحدة جسوراً تحملها على الالتقاء مع إيران في معظم الأهداف، وأسواراً تَحُول بينهما في بعضها، أو وَفْقاً لتصوُّر آخر: ترى واشنطن أنها بحاجة لتوظيف إيران في المنطقة حتى مرحلة ما، ثم التعامل معها بشكل آخر لا يخرجها من المعادلة لكن يضيِّق حركتها، ولذلك تراها الآن أكثر من سكِّين يُستخدم في قضم الكعكة، بل شريكاً صغيراً فيها، وهو ما يوفر تدجين المنطقة أكثر بأقل فاتورة من الدماء الغربية.

إن مسألة استخدام أوراق أمريكية الآن لحمل طهران على اتخاذ سياسة معيَّنة قد أضحى لغزاً للكثيرين؛ لفقدانهم أي مؤشر لهذه الضغوط، وهو ما يتبدى في تلك الرقعة الشاسعة التي تتمدد فيها إيران اليوم، وتلك مسألة سنعرِض لها لاحقاً، بإذن الله؛ غير أن ما يسترعي الانتباه في حيِّز الإرهاب الحوثي وامتداداته هو ما يلي:

**أولاً**: زُهْد الولايات المتحدة الأمريكية في الإفادة من أي دليل تقدِّمه صنعاء يُدين طهران دولياً، على الأقل على صعيد ممارسة الضغط على الأخيرة، وهو ما يعني: أن واشنطن لا تريد حتى استخدام «الادِّعاءات» اليمنية - إن صح التعبير - في «ابتزاز» طهران، وهو ما يثير علامة استفهام كبيرة؛ فصنعاء أعلنت أكثر من مرة أنها تملك أدلَّة على تورُّط طهران في دعم هجمات الحوثيين على قواتها المسلحة في صعدة، من خلال عدة محاولات كشف عنها اليمن؛ لإرسال أسلحة من إيران للحوثيين عبر سفن تم ضبطها على السواحل اليمنية، ومنها ما أدى إلى اعتقال إيرانيين بالفعل على متن إحداها، وهو ما أكده الناطق باسم الحكومة اليمنية (حسن اللوزي) في تصريحات بثتها وكالة الأنباء اليمنية الرسمية (سبأ) في ٢٠٠٩/١٠/٢٧ حين قال: «إن الأجهزة الأمنية اعتقلت خمسة إيرانيين كانوا على متن سفينة إيرانية مشبوهة محمَّلة بالأسلحة قبالة ساحل ميدي في محافظة حجة»، وهي - بالمناسبة - محافظة مجاورة لصعدة، وهي الامتداد الطبيعي المتوقع للتوسع الحوثي للوصول إلى البحر الأحمر، وبالجملة؛ فقد قال رئيس مجلس الأمن القومي اليمني ومدير مكتب الرئيس اليمني (علي محمد الأنسي)،

على هامش حوار المنامة: «إن سفينة الأسلحة التي ضبطها اليمن ذاهبة إلى الحوثيين في أكتوبر كانت إيرانية، وهناك دلائل على أنها كانت قادمة من إريتريا».

**ثانياً**: استكمالاً لذلك التصريح؛ فإن هذه العبارة في الحقيقة لم تُثِر الأمريكيين الموجودين بكثافة في جنوب البحر الأحمر لملاحظة سلوك السفن الإيرانية، ورَصْد ما يجري في ميناء مصوع الإرتري الذي تتواجد فيه قطع بحرية إيرانية، على الرغم من اتهام إرتريا ذاتها بدعم موالين للقاعدة في الصومال من قِبَل دوائر أمنية غربية، وهو ما كان من شأنه أن يفتح أعين الأمريكيين خصوصاً والغربيين عموماً على النشاط البحري في الميناء وحركة السفن منه وإليه، وطبيعة حمولاتها.

**ثالثاً**: إن اللافت للنظر أكثر بعد تسريب معلومات استخباراتية (مصرية وعربية) نقلتها صحيفة الشرق الأوسط اللندنية في ٢٠٠٩/١٢/١٣ عن مصادر مصرية وعربية، طلبت عدم تعريفها نظراً لحساسية موقعها، وكون هذه المعلومات مستقاة من مصادر استخباراتية موثوق بها (بحسب ما ورد في الصحيفة) تفيد بأن: «اجتماعاً سرياً رفيع المستوى عُقد أخيراً داخل الأراضي اليمنية بين مسؤول الحرس الثوري الإيراني وقياديين من حزب الله والمتمردين الحوثيين في اليمن بهدف تنسيق العمليات المشتركة ووَضْع خطة لتصعيد الموقف العسكري على الحدود السعودية اليمنية»، معتبرة أن: «الاجتماع الذي تم رَصْده من قِبَل أجهزة استخباراتية عربية وغربية (في نوفمبر ٢٠٠٩) مَثَّل أخطر تحرُّك إيراني على الإطلاق على خط العمليات العسكرية التي يشنُّها الحوثيون؛ سواء داخل الأراضي اليمنية أو على الحدود السعودية اليمنية»، وهو ما يُعَد «أبرز دليل على تورُّط إيران المباشر في دعم الحوثيين مادياً وعسكرياً ولوجستياً».

بعد كل هذا؛ فإن واشنطن لم تعلِّق لا سياسياً ولا إعلامياً على تلك المعلومات، برغم أن تلك المصادر قد أعربت عن اندهاشها من الموقف الأمريكي؛ لكون «وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي آي إيه) على علم بتفاصيل هذا الاجتماع عبر علاقاتها مع عدة أجهزة أخرى معنية بالمنطقة»، وذلك بحسب الصحيفة. وهو أيضاً ما يثير الريبة؛ لا لكون واشنطن لم تتأكد من مصداقية تلك المعلومات، بل لأنها لم تستغلها، بل تسارع إلى نفيها ومثيلاتها لإحراج حلفائها وتبرئة ساحة الإيرانيين، وهي على كل حال ليست مضطرة إلى ذلك ما لم تكن لها رغبة في النأي بنفسها عن إدانة الإيرانيين، بل تجاوز الأمر ذلك إلى مَنْحهم صكّاً بالبراءة، عبَّر عنه جيفري فيلتمان مساعد وزيرة الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى من داخل الحدود العربية ذاتها، حين قال في مؤتمر أمني إقليمي في البحرين عُقِد في ديسمبر الماضي: «العديد من أصدقائنا وشركائنا تحدَّثوا إلينا بخصوص إمكانية وجود دعم أجنبي للحوثيين، وقد سمعنا النظريات الخاصة بالدعم الإيراني للحوثيين. إننا بكل صراحة، لا نملك أدلة مستقلة بشأن هذا الموضوع». وأضاف المسؤول الأمريكي «يَعِظ» الحلفاء بقوله: «إن الطابع الطائفي للنزاع لا ينبغي أن يُضخَّم»، داعياً كل الأطراف إلى احتواء النزاع داخل اليمن[1].

**رابعاً**: لا بد من قراءة ردِّ فِعْل الأمريكيين أيضاً حيال الاعتداء على أراضي دولة ذات طبيعة خاصة. لا نقول فقط: إنها عضو بالأمم المتحدة ولا نقول: إنها محورية، بل إنها أكثر دولة تمد الولايات المتحدة بالنفط (شريان حياة الأمريكيين)، وهي (المملكة العربية السعودية)، أكبر مصدر للنفط في العالم، وهي الدولة المحورية في أكثر المناطق أهمية في العالم؛ لاستحواذها (أي: تلك المنطقة) على أكثر من ثلثي نفط العالم.

إن رد الفعل الذي كان متوقعاً من الأمريكيين أكبر بكثير من ذلك التصريح الباهت والغامض للمتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية (أيان كيلي) حين أعرب «عن قلق الولايات المتحدة حيال توسُّع أعمال العنف إلى الحدود اليمنية السعودية»، و«حض الأطراف المعنية على حماية أرواح المدنيين»[2]، معززاً ذلك بمقولة: «إنه لا يمكن وجودُ حلٍّ عسكري على المدى الطويل في النزاع بين الحكومة اليمنية والمتمردين».

وإذا ضربنا الذكر صفحاً عن الصراع داخل اليمن؛ فإن الولايات المتحدة قد كانت معنية بالحديث عن عدوان صريح على دولة لها مصالح مشتركة معها؛ فما الذي أخرس الأمريكيين إذاً؟

**خامساً**: امتناع المنظمات الحقوقية الغربية المعروف

(١) بي بي سي: ٢٠٠٩/١٢/١١.
(٢) راديو سوا: ٢٠٠٩/١١/٦.

ارتباطها بالأجهزة الاستخباراتية لبلادها؛ لا سيما الولايات المتحدة عن إدانة أو حتى التحقيق في المعلومات المتهِمة للحوثيين بارتكاب جرائم حرب، وهو ما تفيض به صفحات اليوتيوب ومتابعات الصحف والمواقع اليمنية المختلفة، وهو ما يثير الاستغراب تجاه أسباب هذا الامتناع ومغزاه، كما أنها لم تحمل تصريح مصدر عسكري لصحيفة الشرق الأوسط في (٢٠٠٩/١٢/١٢) بأن: «القوات السعودية تمكَّنت من تخليص نساء يمنيات استخدمهن الحوثيون كدروع بشرية»، على محمل الجد والاهتمام، على الأقل بما يوازي ما تصرِّح به جهات غير رسمية متمردة في دارفور مثلاً. والسر كامن في الإيحاء بأن المشكلة الإنسانية التي سببها الصراع مع الحوثيين هي من مسؤولية الحكومة اليمنية، و من ثَمَّ يكون التمهيد للتدخل الأجنبي بذريعتها.

وما يمكن استخلاصه من تلك الأمور ما يلي:

١ – الولايات المتحدة لا تريد أن ترى أن ثمة أدلة على تورط إيران في دعم العدوان الحوثي ضد السعودية واليمن.

٢ – لا تنظر واشنطن إلى الحوثيين كحركة إرهابية، وَفْقاً للتصنيف اليمني، ولا تشاهدهم كما الروايات الرسمية السعودية كمتسللين، بل تراهم في النطاق اليمني «متمردين»، وفي الداخل السعودي تنظر إلى اختراقهم للحدود على أنه: «توسُّع لأعمال العنف إلى الحدود اليمنية السعودية»، ويمكن في هذا السياق ضم النفي السابق للسفيرة البريطانية في صنعاء (فرانسيس جاي) تهمة الإرهاب عن الحوثي، قبل ثلاث سنوات تحديداً، فيما أوردته الشرق الأوسط حينها مؤكدة: «أنه لا يمكن القول بأن حسين الحوثي وجماعته هم عناصر إرهابية؛ لأنهم لم يقوموا بأي أعمال عنف ضد أهداف مدنية؛ إنهم ربما يشكِّلون تهديداً للنظام وليس لأمريكا أو إسرائيل».

٣ – تنصح الإدارة الأمريكية بألا «يُضخَّم» الطابع الطائفي؛ وهي بناءً على ذلك تنقله إلى الحيز المحلي المعارض وتبرِّئ منه إيران ضمنياً.

٤ – لا تجد واشنطن نفسها مضطرة إلى الطلب من مجلس الأمن استصدار قرار لملاحقة قادة ميليشيا الحوثيين، أسوة بقادة الجنجويد – مثلاً – في دارفور؛ فضلاً عن أن تلمح إلى مسؤولية قادة طهران عن ما يحدث في قرى صعدة، ربما؛ لأنها لا تجد مشكلة تتعلق بالمدنيين أصلاً.

٥ – لا تزيد واشنطن – علناً على الأقل – عن «حض الأطراف المعنيَّة على حماية أرواح المدنيين»، وهي تلزم بذلك الحياد إزاء تلك «الأطراف»، وهو ذاته ما يُقرَأ من مشاعر «القلق» من القتال الدائر الذي ينبغي له ألا يستمر طويلاً بحسب المسؤولة الأمريكية.

٦ – لم يصدر نهائياً عن الولايات المتحدة الأمريكية ما يفيد بأنها تعرف أن الحوثيين قد اخترقوا الحدود السعودية، وهي من ثَمَّ تبدو كما لو أنها كانت لا تعلم ما إذا كان الحوثيون معتدين أم معتدى عليهم داخل الحدود اليمنية من قِبَل القوات السعودية؛ فليس لها موقف واضح يبيِّن دعمها للسعودية أو إدانتها لها، والأمر ذاته بالنسبة للحوثيين.

٧ – صمتت الولايات المتحدة عن التهديد المبطن الذي أطلقه وزير الخارجية الإيراني ضد السعودية واليمن معاً فيما يبدو؛ حين حذَّر من عواقب «قَمْع» الشعب اليمني عبر شن حملات عسكرية قائلاً: «إن من يحاول صب الزيت على نار الفتنة لن يكون بمنأىً عن لهيبها وسيدخل الدخان في عيونه، وإن الدعم المالي والتسليحي للمتطرفين والتعامل مع الشعب بأسلوب قمعي تترتب عليه تبعات خطيرة جداً»، وأبدى «استعداد إيران للتعاون من أجل حل مشاكل اليمن، «وهو ما فُسِّر يمنياً بالتدخل السافر في الشأن الداخلي له، وخليجياً بالتهديد لليمن والسعودية؛ في وقت تقمع فيه السلطات الإيرانية «الإصلاحيين» الإيرانيين والسُّنة البلوش، وتقتل منهم العشرات.

أين الولايات المتحدة الأمريكية إذن من نشاط الحوثيين العسكري وطرحهم السياسي؟ الأهم من هذا السؤال، هو: أين تجد واشنطن نفسها أقرب: إلى طهران أم إلى الرياض؟ والحقيقة أن عبارات موجزة لروبرت بير خبير الـ (سي آي إيه)، ستفي للمتطلعين للإجابة بما يُشبِع شهيتهم المعرفية؛ فالرجل قد قال صراحة: «سنعطي إيران النفوذ في أفغانستان وباكستان، وسندعمها اقتصادياً. إن أمريكا ستتحالف مع طهران، وستتحول عن تحالفاتها السابقة في الخليج وسيتحول الهلال الشيعي إلى دائرة شيعية في الشرق الأوسط. وهي بالطبع دائرة شيعية تمتد في إيران والعراق وسورية ولبنان وغزة والضفة واليمن ودول الخليج وفي كل مكان. لن يوقف أحد التقدم الإيراني لمد نفوذه؛ وهل يستطيع أحد إيقاف

المطر من السماء؟ إنه قَدَر. إن باراك أوباما اسمه الوسط (حسين)؛ إنه يتماهى مع الشيعة؛ إنه ليس ابن تيمية»[1]. وإن لم يكن تصريح الرجل رسمياً؛ إلا أنه كاشفٌ وخطيرٌ؛ كونه ينسجم مع ما تفرزه الأحداث من معطيات واستنتاجات.

**صمت الولايات المتحدة عن القمع الدموي الذي تنفّذه طهران ضد معارضيها السياسيين والدينيين والقوميين، يشي بأن واشنطن لا تريد إزعاج حليفتها الجديدة (إيران)، بعد أن برَّأتها عبر ١٤ جهازاً استخباراتياً من تهمة السعي لتحويل برنامجها النووي إلى مشروع صناعة وامتلاك قنبلة نووية.**

في الحقيقة لا جديد في كلام بير، إلا في صدوره عنه؛ فالموقف الذي تتخذه واشنطن من الحوثيين تقف بحذائه مع الميليشيات الإيرانية في العراق، وليس الأمر هكذا فحسب، بل لا يَبعُد هذا كثيراً عن «الإجراء العدمي» الذي نفذته حيال احتلال إيران لبئر (الفكة) العراقي، على مقربة من مفارز وقواعد الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وغير بعيد عن قِطَعها البحرية في الخليج، وحديث الجنرال ديفيد بتريوس القائد العام للقيادة العسكرية المركزية الأمريكية عن نجاح قوات بلاده في تقليص «تسرُّب المقاتلين الأجانب عبر الحدود السورية من حد أعلى بلغ ١١٠ مقاتلين في الشهر إلى أقل من عشرة مقاتلين الآن»، حديث مضحك للغاية؛ لتجاهله في المقابل الحدود المفتوحة بين العراق وإيران للحد الذي يسمح بعبور عشرات الآلاف من «الحجاج إلى كربلاء» وغيرهم دون حسيب أو رقيب، مثلاً. هذا إضافة إلى تقسيم النفوذ في العراق وأفغانستان، كما أن صمت الولايات المتحدة عن القمع الدموي الذي تنفِّذه طهران ضد معارضيها السياسيين والدينيين والقوميين يشي بأن واشنطن لا تريد إزعاج حليفتها الجديدة القديمة (إيران)، بعد أن برَّأتها عبر ١٤ جهازاً استخباراتياً من تهمة السعي لتحويل برنامجها النووي إلى مشروع صناعة وامتلاك قنبلة نووية.

إن واشنطن تراوح في استخدام أوراق ضَغْطِها في الملف النووي في وقت تحرق فيه طهران الوقت باتجاه تنفيذ تجربتها النووية الأولى، ما بين استخدام أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية المتنوعة في أروقة مجلس الأمن، وهي عبارة عن تصريحات بأن: «صبر واشنطن بدأ ينفد»، أو أن: «واشنطن بدأ صبرها ينفد»، أو أن: «الوقت أمام طهران آخذ في النفاد».

بالطبع كل ذلك تهديداً بعقوبات عقيمة. قالت طهران مراراً وتكراراً: إنها لا تؤثر فيها، ولا يُتوَقع أن تصنع شيئاً مناوئاً للنشاط الحوثي في اليمن ولو كان ضد السعودية ذاتها التي تحتفظ معها بعلاقات متميزة، وذلك ببساطة؛ لأن إيران هي فزاعة المرحلة القادمة، وهي الأداة التي سيجري بها تفكيك المنطقة، وعَزْل أخطارها المستقبلية عن الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد أصدر مركز الأمن الأمريكي الجديد المهتم بإصدار تقارير وأبحاث تدعم المصالح والقيم الأمريكية في العشرين من نوفمبر ٢٠٠٩ - بحسب تقرير واشنطن - مقالة تحت عنوان: «على حافة الهاوية: عدم الاستقرار اليمني وتهديد المصالح الأمريكية للباحثَين: (أندرو أكسوم وريتشارد فونتين)، خَلَصا فيها إلى أن: «الوضع المتدهور في اليمن وانعكاساته على المصالح الأمريكية هو الذي يدفع الولايات المتحدة لإعطاء مزيد من الاهتمام لِمَا يحدث في اليمن»، لكن قبل أن تذهب الظنون بنا بعيداً (وبعض الظن إثم)، تستدرك المقالة بأن: «ليس معنى ذلك أن يتخذ هذا الاهتمام شكل عمليات عسكرية واسعة النطاق مثلما حدث في أفغانستان والعراق، ولكن أن تُتبَّع استراتيجية شاملة تُزاوِج فيها بين عدة عناصر منها: دعم مكافحة الإرهاب، المساعدات التنموية، الضغوط الدبلوماسية، والمضي قُدُماً نحو مسار المصالحة»؛ أي: جُهْدٌ يخص مكافحة القاعدة، وآخر يخص تقديم مساعدات محدودة لليمن، والضغط عليها في المقابل، ثم الأخطر، وهو: مسار مصالحة بين «الدولة» و«البديل»، وربما مبعوث سلام.

إنها الحقيقة التي لا بد أن يدركها العرب قبل بكاء غرناطة.

(١) مجلة الوطن العربي: ٤/١١/٢٠٠٩.

# اجعل القرآن الكريم رفيقك في كل مكان

دار السلام للنشر والتوزيع

## ضمان لمدة عام

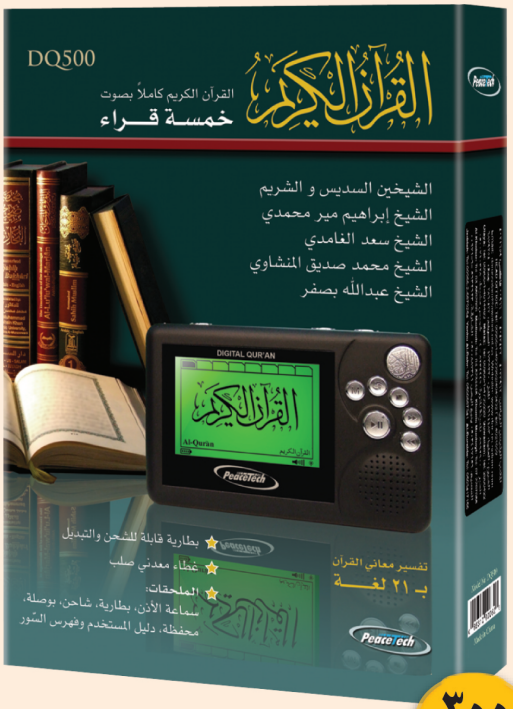


٣٠٠ ريالاً

تفسير معاني القرآن بـ ٢١ لغة - شاشه عادية

٣٩٠ ريالاً

تفسير معاني القرآن بـ ١٤ لغة - شاشه ملونة

### القرآن الكريم كاملاً بصوت خمسة قراء:

- الشيخين السديس والشريم
- إبراهيم مير محمدي
- محمد صديق المنشاوي
- سعد الغامدي
- عبدالله بصفر

### المحتويات

- رياض الصالحين - تفسير ابن كثير
- الساعة مع التقويم الهجري والميلادي
- مسجل صوت
- اتجاه القبلة
- أوقات الصلاة
- دعاء ختم القرآن

### المواصفات

- جودة عالية في الصوت والشاشة
- بطارية قابلة للشحن والتبديل + شاحن
- محفظة للجهاز
- سماعة أذن
- بوصلة
- دليل المستخدم
- فهرس السور

**- خصم خاص للمدارس ودور التحفيظ - التوصيل مجاناً داخل الرياض**


المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ -١- ٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠
السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤ الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠ المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦ - ٠٤ خميس مشيط: ٠٥٠٠٧١٠٣٢٨ القصيم: ٠٥٠٣٤١٧١٥٦
ينبع البحر: ٠٥٠٠٨٨٧٣٤١ الشارقة: ٥٦٣٢٦٢٣ -٦-٠٠٩٧١ مندوبون: ٠٥٠٥١٩٦٧٣٦ - ٠٥٠٣٤٥٩٦٩٥ - ٠٥٠٤٤٠٥٩٤٣
Email: darussalam@awalnet.net.sa Website: www.dar-us-salam.com

# بلوشستان: الهدف الأمريكي القادم!

محمد سليمان الزواوي

مع تقديم الإستراتيجية الأمريكية الجديدة لإدارة أوباما، تلك المتعلقة بكلٍّ من باكستان وأفغانستان، تبرز منطقة إستراتيجية جديدة، من المتوقع أن تكون في بؤرة الاهتمام الأمريكي في الفترة القادمة، تلك المنطقة، هي: بلوشستان. وتنبع أهمية تلك المنطقة من اعتبارات عِدَّة:

**أولاً:** أنها منطقة مشتَرَكة ما بين الحدود الباكستانية والأفغانية والإيرانية.

**ثانياً:** أن واشنطن تعتقد أن كبار زعماء القاعدة وطالبان يختبئون في تلك المنطقة الجبلية الوعرة ذات الكثافة السكانية المنخفضة.

**ثالثاً:** أن ذلك الإقليم هو هدف الولايات المتحدة للسيطرة على تلك المنطقة الإستراتيجية الهامة؛ حيث إنها تُعدُّ مخزوناً هائلاً للغاز الطبيعي، ومن المتوقع أن يسير فيها خط أنابيب غاز مقتَرَح.

**رابعاً:** أنها تمكِّن الولايات المتحدة من احتلال موطئ قَدَم لها بالقرب من إيران؛ تستطيع من خلاله تهديد الدولة الفارسية أو استخدام تلك المنطقة كورقة رابحة على طاولة المفاوضات.

**خامساً:** أنها منطقة إستراتيجية على المحيط الهندي؛ تسمح بوصول الإمدادات اللوجستية إلى القوات المقاتلة من الولايات المتحدة والناتو داخل أفغانستان.

## الموقع الإستراتيجي لإقليم بلوشستان:

تنقسم باكستان إلى أربعة أعراق كبرى، هي: البنجاب والسند والبلوش والبشتون. وإقليم بلوشستان هو الأكبر مساحة (٤٢٪ من مساحة باكستان)، ويحتوي على العديد من المصادر والمعادن، وتؤوي كويتا (عاصمة الإقليم) ما بين ٧٥٠ ألف إلى مليون نسمة، ويمثل العِرق البلوشي غالبية ضئيلة في المقاطعة، مع العرقية البشتونية التي جاء معظمها كلاجئين أو مهجَّرين من أفغانستان، ويمثل البلوش ثاني أكبر عرقية، خاصة في الشمال. ويُعدُّ نفوذ العرق البشتوني بارزاً في بلوشستان (في كويتا عاصمة الإقليم التي يقطنها غالبية

من البشتون) بالإضافة إلى مناطق أخرى من المقاطعة.

ويقع إقليم بلوشستان الباكستاني في موقع إستراتيجي: في شـمال غرب البلاد وجنوب منطقة وزيرسـتان، ويتاخم حدودَه مقاطعة (سيسـتان بلوشستان) الإيرانية ومقاطعات: نمروز وهلمنـد وقندهار وزابول وباكتيـكا الأفغانية. وتقع بلوشسـتان على خليج عُمَان (وهو ممر بحري هام ومزدحم يربـط ما بين البحـر العربي والخليج العربـي، وبالامتداد يربطهما بالمحيط الهندي الأوسع). كما يوجد في بلوشستان أيضاً ميناء (جوادار) ذو الأهمية الإستراتيجية؛ فقد كان هذا الميناء - تحديداً - هو الهدف الأساسـي للغزو السـوفييتي (سـابقاً) لأفغانستان؛ لتصل موسكو إلى الموانئ الهامة على المياه الدافئة في المحيط الهندي.

وتُعدُّ بلوشسـتان من أفقر مناطق باكستان وأقلِّها تقدُّماً؛ إلا أنها غنية بمصادرها الطبيعيـة؛ فتحتوي على مخزونات كبيرة من الغاز الطبيعي (يمثل ثلث استهلاك باكستان تقريباً) بالإضافة إلى احتياطات نفطية كبيرة، بالإضافة أيضاً إلى أنها غنية بالمعادن والفِلِزَّات، أمثال: النحاس واليورانيوم والذهب. وتقع بلوشستان على طول المسار المقترح لخط أنابيب (إيران، باكسـتان، الهند)، والذي يُطلق عليه: (خط أنابيب السلام)، والمصمَّـم لنقـل الغاز الطبيعي مـن إيران إلـى الهند عبر باكسـتان. كما تقع بلوشسـتان في طريق شبكة من خطوط الأنابيب الإقليمية البديلة التي تفضِّلها الولايات المتحدة؛ لأنها تسـتثني إيران، والتي تُعرف بخطوط أنابيب: (تركمانستان، أفغانسـتان، باكسـتان، الهند)، ولكن ما أسال لعاب الجميع على بلوشستان مؤخراً، هو اكتشاف احتياطي هائل من الغاز الطبيعي بمنطقة (سوي)؛ حيث تصل المخزونات الى أكثر من عشرة تريليونات قَدَم مكعب من الغاز.

وتُعدُّ بلوشستان مركزاً لوجستياً هاماً لأمريكا لاستمرار عملياتها العسكرية في أفغانستان وفي المنطقة بصورة أوسع؛ حيث يجري من خلالها نَقْل قوافل شاحنات الوقود والعربات العسكرية والسلاح والطعام والمواد الهامة الأخرى إلى قوات أمريكا والناتو في أفغانستان، وكل ذلك يسير عبر بلوشستان. وقد وقعت أُولَى الهجمات ضد قافلة للناتو في بلوشسـتان في يونيو ٢٠٠٩ بمدينة شامان على الحدود الأفغانية. وهجم المسلحون مرة ثانية في سبتمبر على قافلة وقود للناتو كانت تَمُر بالقرب من كويتا، وهو ما أدى إلى إشعال ثماني حاويات نفـط. ومن المتوقع أن تتعرض مسـارات الإمدادات التابعة للناتو في بلوشستان لهجمات متزايدة مع تصعيد الوضع في أفغانستان.

## طالبان والقاعدة:

ويرى المسـؤولون الأمريكيـون أو (يريـدون أن يروا) أن بلوشسـتان تُعدُّ معقلاً هاماً لنشاطات القاعدة وطالبان. ويعتقد العديد مـن المخططين الأمريكيين للإسـتراتيجية الجديدة أن كبار رموز الحركتين - بما في ذلك زعيم طالبان الأفغانية الملا محمد عمر - قـد هربوا من المناطق القبلية في أفغانستان وباكسـتان إلى ملاذات آمنة في بلوشستان. ويعتقدون أيضاً أن كويتا (عاصمة الإقليم) تعمل كمركز هام لتمويل وتنظيـم عمليات طالبان والقاعدة. وكثيراً ما وجَّهت واشـنطن اتهامات للاستخبارات الباكسـتانية بأنها تحمي أعضاء طالبان الأفغانية في بلوشستان، وبالتحديد الفصيل القوي من حركة طالبان، ذلك الذي يقوده الملا محمد عمر، والذي يُعرف باسم (مجلس شورى كويتا).

ولأن بلوشسـتان تُجاور أفغانستان، وخاصة إقليم هلمند الذي يُعدُّ مركزاً لعمليات طالبان ضد قوات الناتو، فإن إسلام آباد تخشـى مـن أن أي تصعيد للحملات بقيـادة الولايات المتحدة ضد هلمند والأجزاء الأخرى من أفغانسـتان سـوف يُجبِر المسلحين الأفغان على استخدام بلوشستان كملاذ مؤقت لتفادي أي التحام مباشـر مع القوات الأمريكية، وهو ما يمثل معضلة جديدة لباكستان، وقد عبَّر رئيس الوزراء الباكستاني (يوسف رضا جيلاني) عن قلقه من احتمال تدفُّق المقاتلين على بلوشسـتان بعد وصول التعزيزات الأمريكية إلى أفغانستان، وهو السـيناريو الكابوس لباكسـتان؛ لأنـه يحمل في طياته احتمال تصعيد واشـنطن من هجماتها العدوانية بالطائرات المسيَّرة على بلوشستان، لتحقق أهدافها في النهاية.

## حركات التمرد البلوشية:

يقول القوميون البلوش: إن إسـلام آباد تعمل بدأب على إفقارهم وإضعافهم؛ لكي يظلوا متفرقين ومن ثَمَّ يسهل على العرق البنجابي المسيطر على الحكومة المركزية جَنْيُ الثروات والمصـادر الطبيعية الكبيرة في الإقليـم. وتتهم الجماعات المسلحة البلوشية، مثل: (جيش تحرير بلوشستان) و (الجبهة

الموحدة لتحرير بلوشستان) إسلام آباد بأنها وراء الموجة الأخيرة من العنف التي راح ضحيتها ثلاثة من زعماء البلوش، كما يستهدف المسلحون البلوش أيضاً رموز الدولة الباكستانية: من قادة سياسيين وأعضاء في الخدمات الأمنية، بالإضافة إلى الأهداف المرتبطة بالمصادر الطبيعية للمنطقة، مثل: خطوط أنابيب الغاز.

وظلت باكستان تنظر إلى بلوشستان بتشكُّك بسبب مشاعرهم القومية وبسبب وجود امتداد لهم في أفغانستان وفي محافظة (سيستان بلوشستان) الإيرانية المجاورة؛ حيث يقود الثوارَ البلوش جماعةُ (جند الله) التي تصعِّد حملاتها ضد طهران؛ لذا فإن هناك تاريخاً مشترَكاً بين باكستان وإيران في التعاون الوثيق لقمع القومية البلوشية؛ وذلك لأن الانفصاليين البلوش يهدِّدون وحدة أراضي كِلا الدولتين، كما تعي باكستان محاولات خصمها الإقليمي الهند لدعم المسلحين البلوش.

## الأصابع الهندية في بلوشستان:

لقد لعبت الهند دوراً كبيراً في تأجيج المشاعر المعادية لباكستان في بلوشستان؛ ردّاً على ما تَعُدُّه رعاية باكستانية – من الاستخبارات والجيش – للمليشيات الإسلامية المسلَّحة التي تجاهد في كشمير، والتي شنَّت ضدها عمليات دامية، مثل: تفجيرات مومباي التي خلَّفت مئات الجرحى والقتلى؛ لذا فإن الدور الهندي تعاظم في الفترة الأخيرة في أفغانستان في مزار الشريف (معقل التحالف الشمالي الذي ساند الغزو الأمريكي لأفغانستان، والذي تتكون منه معظم الحكومة الأفغانية الحالية)، وفي جلال أباد، وفي قندهار، بطول الحدود الأفغانية الباكستانية. كما ترعى الهند مشروعات إستراتيجية في بلوشستان، مثل: بناء طريق لوجستي في البلاد يبلغ طوله ١٣٥ ميلاً ويربط محافظة نمروز الأفغانية بميناء شاباهار الإيراني على البحر العربي، والذي يقع في قلب إقليم بلوشستان الإيراني؛ وبذلك يربط ما بين الإقليمين البلوشستانيين في أفغانستان وإيران. ومن الواضح أنه لا توجد طريقة لتدعيم استقلالية بلوشستان أفضل من بناء طريق يربط بين شطريها.

وقد وافقت إيران على ذلك كجزء من صفقة: هندية إيرانية برعاية روسية؛ لقمع نفوذ طالبان في البلاد، وذلك الثلاثي كان الداعم الأساسي للتحالف الشمالي إبان احتلال أفغانستان، كما أنها تضخُّ أموالاً لتطوير ميناء شاباهار؛ وذلك لأنه سيصبح نقطة دخول هندية هامة إلى أفغانستان تستطيع من خلاله ضخَّ بضائعها إلى البلاد بعد أن رفضت باكستان استخدام أراضيها لذلك. كما تدير الهند أيضاً وبدعم روسي قاعدة فارخور الجوية في طاجيكستان على الحدود الأفغانية الشمالية، كما قامت ببناء مدارس في محافظة كونار، ويبدو أن الولايات المتحدة تُعِدُّ الهند التي يتعاظم دورها في أفغانستان يوماً بعد يوم؛ لتحل محلها في البلاد بعد الانسحاب.

وقد اشتكى مسؤولون باكستانيون مؤخراً[1] من أن قنصلية الهند في المدن الأفغانية تنظِّم النشاطات الإرهابية في باكستان وخاصة في بلوشستان، وأنها ترعى جيش تحرير بلوشستان، وقد صرَّحت كريستيان فير المدرِّسة المساعِدة بجامعة جورج تاون الأمريكية، والخبيرة بمؤسسة راند بأن: مسؤولين هنود صرَّحوا لها بأنهم: يضخون سراً أموالاً إلى بلوشستان[2]، وذلك في أثناء زيارتها إلى السفارة الهندية في زهدان الإيرانية. وقد اعترف الصحفي الأمريكي البارز سيمور هيرش في يوليو ٢٠٠٨ بأن إدارة بوش أعطت ملايين الدولارات إلى جماعة جند الله الإيرانية الانفصالية، والتي كانت مسؤولة عن تفجير زهدان الأخير. كما أعلنت باكستان صراحة في ٢ يوليو ٢٠٠٤ أن الهند كانت مسؤولة مسؤولية مباشرة عن مصرع ثلاثة عمال صينيين قُتلوا في تفجير سيارة مفخخة في بلوشستان، كما اتهم وزير الداخلية الباكستاني «رحمن مالك» نيودلهي بتهريب الأسلحة إلى المتطرفين والإرهابيين في محافظة بلوشستان سرّاً عبر جنوب أفغانستان.

## البلوش واستغلال الدور الأمريكي:

من المتوقع أن تؤدي الأوضاع الأمنية المتردِّية في باكستان وأفغانستان في ظل الإستراتيجية الأمريكية الجديدة إلى تعقيد الأمور بصورة كبيرة بالنسبة لإسلام آباد في بلوشستان؛ فالثوار البلوش يرون نافذة من الأمل لتصعيد حملتهم ضد إسلام آباد بينما تنشغل باكستان بمكافحة المسلحين في المناطق القبلية الغربية الشمالية، ومن المتوقع أن توسِّع واشنطن عملياتها بالطائرات المسيَّرة على إقليم بلوشستان، وهو ما سيعطي سبباً

(١) صحيفة: ذي نيوز الباكستانية، بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٩.
(٢) صحيفة: فورين أفيرز، بتاريخ ٣١ مارس ٢٠٠٩.

يحظى الثوار البلوش بتحالف مع واشنطن لنيل حريتهم من جهة، ولتقليص سلطة إسلام آباد من جهة أخرى

إضافياً للمقاتلين البلوش لضرب إسلام آباد؛ وإذا توسعت العمليات العسكرية لتشمل بلوشستان بعد تورُّط الجيش الباكستاني في قتال شعبه في منطقة القبائل (في وزيرستان ووادي سوات)؛ فإن ذلك قد يسفر عن فشل الدولة الباكستانية في السيطرة على الأوضاع ومن ثَمَّ الاقتراب من الانهيار الداخلي، وهو ما قد يمنح واشنطن فرصة للتدخل في الشأن الباكستاني؛ بغرض السيطرة على السلاح النووي الباكستاني؛ بحجة حمايته من الوقوع في الأيادي الخطأ.

وقد صعَّد البلوش من عملياتهم مؤخراً في المنطقة؛ حيث قاموا بسلسلة من التفجيرات والاختطافات، استهدفوا فيها العمالة الصينية، وهو ما دفع بكين إلى وَقْف عمليات البناء في مصفاة (جوادار) النفطية في بلوشستان بسبب المخاوف الأمنية. كما بدأ الثوار البلوش أيضاً في اختطاف الأفراد العاملين في المنظمات الدولية غير الحكومية في المقاطعة؛ حيث اختطفوا في فبراير ٢٠٠٩م مسؤولاً كبيراً بمفوضية الأمم المتحدة العليا للاَّجئين بعدما قتلوا سائقه، ويُعتقد أن المنفذين هم (الجبهة المتحدة لتحرير بلوشستان) في كويتا، هذا بالإضافة إلى انفجار زهدان في إيران الذي استهدف تجمُّعاً للقبائل السُّنية مع القادة الإيرانيين لعقد مصالحة هناك، وأسفر الانفجار عن مقتل وجرح العشرات.

كما صعَّدت الجبهة عملياتها؛ لِلَفت أنظار العالم إلى محنة المعتقلين السياسيين البلوش في سجون باكستان؛ وقررت الجبهة استهداف عمال الإغاثة التابعين للأمم المتحدة، وهو ما مثل تصعيداً كبيراً في عمليات المسلحين البلوش. وتخشى إسلام آباد من أن يستغل الثوار البلوش الوضع المضطرب؛ ليُظهروا لواشنطن أنهم يمثلون (ترساً وسيفاً) جديدين في المنطقة، يمكن أن يواجهوا انتشار حركة طالبان التي تنحدر من العرق البشتوني وبدأت باستقطاب المقاتلين البشتون من الإقليم، ومن ثَـمَّ يحظى الثوار البلوش بتحالف مع واشنطن لنيل حريتهم من جهة، ولتقليص سلطة إسلام آباد من جهة أخرى، وهو ما يمكن أن يفتح مرحلة جديدة وخطيرة أيضاً من تحركات الانفصاليين البلوش.

في نوفمبر الماضي رفض الانفصاليون البلوش عَرْضاً من الحكومة الباكستانية، يقضي بوقف العمليات العسكرية ضدهم وإطلاق سراح نشطائهم المعتقلين، ما عدا من تورطوا في (الإرهاب)، ودَفْع مبلغ ١,٤ مليار دولار للإقليم، مقابل استغلال مخزونه من الغاز على مدى ١٢ عاماً؛ حيث رفض متحدِّث باسم جماعة: (الحزب الجمهوري للبلوش) شير محمد بوجتي العرض، قائلاً إنهم لا يكافحون من أجل ذلك الفتات)، ولكن يريدون (الحرية ودولة بلوشستان مستقلة) يتولون السيطرة عليها.

إن حركة التمرد البلوشية تمثل فرصة غير مسبوقة للولايات المتحدة من أجل تحقيق عدة أهداف في وقت واحد؛ فبدعم تلك الحركة تستطيع الولايات المتحدة:

١- تقويض الدولة الباكستانية ومن ثَمَّ السيطرة على برنامجها النووي.

٢ - تهديد أمن إيران بدعمها للجماعات البلوشية التي لها امتداد في عمق إيران.

٣ - استغلال ثروات الغاز والنفط لإقليم بلوشستان.

٤ - الحفاظ على خطوط إمداداتها اللوجستية في المنطقة عن طريق موانئ بلوشستان على المحيط الهندي.

إن السيطرة على إقليم بلوشستان عن طريق دعم حركات التمرد هناك، سيمثِّل مرحلة جديدة تماماً من الصراع في تلك المنطقة الهامة من العالم الإسلامي، وسيمثِّل تهديداً مباشراً على أمن الدولة المسلمة الوحيدة التي تمتلك القنبلة النووية، والتي اتُّهمت بأنها نشرت تقنياتها إلى دول أخرى، مثل: كوريا الشمالية وإيران، وستعمل الولايات المتحدة بمساعدة الهند و (الدولة الصهيونية) على رَسْم خريطة جديدة للمنطقة، وليس من قبيل المصادفة أن الخريطة المقترَحة للشرق الأوسط الجديد، والتي نشرها موقع الجيش الأمريكي على شبكة الإنترنت، يظهر فيها بوضوح دولة جديدة في تلك المنطقة، هي دولة: (بلوشستان الحرة).

**في نوفمبر الماضي رفض الانفصاليون البلوش عَرْضاً من الحكومة الباكستانية، يقضي بوقف العمليات العسكرية ضدهم وإطلاق سراح نشطائهم المعتقلين**

# الجالية الصومالية في الغرب والخوف من الغرق

نزح معظم من استوطن الغرب من الجالية الصومالية إلى هناك بعد اندلاع الحرب الأهلية في الصومال عام ١٩٩١، كما نزحت أعداد قليلة قبل ذلك التاريخ بسبب الحرب الإثيوبية الصومالية عام ١٩٧٧، بالإضافة إلى قلة أخرى لجأت إلى الغرب بعد حرب الشمال عام ١٩٨٨.

ألقى النازحون رحالهم بعد عناء ومشقة أودت بحياة كثيرين منهم في أمريكا ودول غرب أوروبا، وتُقدَّر أعدادهم بما لا يقل عن مليون وخمسمائة ألف نسمة حَسَب الإحصاءات غير الرسمية، ويتمركز معظمهم في بريطانيا وأمريكا الشمالية بالإضافة إلى الدول الإسكندنافية. ويلاحظ أن أعدادهم في ازدياد مطرد مع وجود نسبة قليلة عادت إلى البلاد الإسلامية بعدما اكتسبت الجنسيات الغربية، لكنها أقل بكثير من الأعداد الجديدة التي لا تزال تتدفق على الغرب.

حسن محمد إبراهيم

## دوافع هذا النزوح وأسبابه:

الاغتراب صعب على النفوس، وقَطْع آلاف الأميال بما فيها من الصحاري والبحار إلى ديار الكفر أصعب منه، لا سيما بعدما تبيَّن للجميع ما يحفُّ ذلك من مخاطر؛ فما هي - يا تُرى - تلك الأسباب التي حملت النازحين على هذه المغامرة؟

تعود تلك الأسباب في نظري إلى أحد العناصر التالية:

١ - انفجار الأوضاع الداخلية في الصومال ونشوب الحرب الأهلية التي أكلت الأخضر واليابس؛ فكان ذلك بمثابة البركان الذي تفرَّق الناس بسببه أيدي سبا؛ بحيث ترك الكثيرون بيوتهم على عجل يبغون النجاة بأنفسهم، وكان غاية ما يحلمون به أن يصلوا إلى أقرب نقطة آمنة، ثم لَمَّا لم ينعموا بالأمن الذي كانوا ينشدونه داخل بلدهم، رأوا لزاماً عليهم أن يغذُّوا السير؛ فعبروا الحدود ثم صعُب عليهم التكيف مع الأوضاع الجديدة بسبب قلة ذات يدهم، ثم انتهى بهم المطاف في إحدى البلاد الأوروبية.

٢ – الاحتلال الذي سيطر على الصومال قريباً من ٧٠ عاماً غرس في النفوس أهمية أوروبا والدول الغربية عموماً، بفعل المناهج الدراسية التي وضعها لتنشأ عليها الأجيال، وفعلت هذه المناهج فِعْلها، واغتبط كثير ممن أُشرِبها أن يرى مدن وعواصم أوروبا وأمريكا يوماً بأم عينيه؛ لينعم بما فيها من تقدُّم ورفاهية لا سيما بعد انعدام الأمن في بلده وضآلة الفرص التي تُمكِّنه من العيش السوي.

٣ – الآلة الإعلامية الغربية فعلت فعلها كذلك وزينت للناس أوروبا وكرَّهت إليهم بلادهم؛ بحيث تنشر عنهم وعن بلدهم كل ما هو محزن ومحبط، في حين تنقل عن أوروبا وأمريكا صوراً وردية تُخيِّل إليهم أنهم عالم مثالي يجب البحث عن الانتماء إليه بكل وسيلة.

٤ – السياسات الأوروبية والأمريكية القائمة على استيعاب المهاجرين لسد النقص البشري الذي تعاني منه دولهم، وتوفير العمالة، غرَّت كثيراً من البسطاء الذين ظنوا ذلك إنسانية ورحمة؛ لا سيما بعد امتناع الدول العربية (الغنية) من استقبالهم، وتسوية أحوالهم القانونية بعد الهجرة غير الشرعية.

٥ – البحث عن حياة أفضل لم يكن غائباً عن مشهد النزوح؛ لأن كثيراً ممن لجؤوا إلى بلاد الغرب ما كانت أوضاعهم المعيشية مريحة، وما كانت لديهم دخول تفي بإعالة أُسَرهم، إضافة إلى أنهم كانوا في أماكن غير آمنة قبل شَدِّ رحالهم إلى الغرب!

٦ – السعي إلى اكتساب الجنسيات الغربية بغية الاستفادة منها. كان هذا أيضاً عاملاً آخر حدا بكثيرين إلى ركوب الصعب والذلول للظفر بجواز أوروبي أو أمريكي يمكِّنه من التنقل بحرية عبر العالم؛ لا سيما بعد رفض معظم الدول التعامل مع الجواز الصومالي.

لقد فوجئ النازحون الذين كانت تحدِّثهم أنفسهم في أحلام اليقظة أثناء رحلتهم المرعبة بأنهم سينسون العناء ويرتاحون من كد السفر إذا ألقوا عصى الترحال في أوروبا أو أمريكا، فوجئوا بأشياء كثيرة غير سارة، منها:

١ – محدودية دخل الفرد بالنسبة للمصاريف التي يحتاج إليها؛ سواء استفاد من الضمان الاجتماعي أو عرض نفسه على سوق العمل الذي لا يسعفه إلا بأردأ الوظائف وأقلِّها مردوداً، وهو ما أجبر كثيراً من الوالدين على إلقاء الأولاد في دور الحضانة والعمل معاً لتغطية النفقات اللازمة وتوفير بعضها لإرسالها إلى الأهل والقرابة في الصومال.

٢ – مشكلات في العبادة والتدين: حيث وجدوا أنفسهم فجأة وسط عادات وأديان تختلف بشكل كُلِّي عن موروثهم الثقافي؛ فلا يوجد مسجد بالمعنى الحقيقي الذي أَلِفوه في بلادهم، وإن وُجِدَ فالوصول إليه صعب؛ لبعده أو لظروف العمل، ولذلك اختار بعضهم العمل ليلاً ليتسنى له أداء صلاة الجمعة، بالإضافة إلى ما يلاقونه من مضايقات في شعائر دينهم، مثل الحجاب، علاوة على تعرُّضهم لمحاولات تنصير ممنهجة أثمرت ارتداد بعض التعساء، أمثال: أيان حرسي.

٣ – تذويب مبرمج: أقامت له الدول الغربية وزارات سمَّتها: وزارات الدمج والهجرة؛ فلاحقتهم الأنظمة والقوانين في كل تصرفاتهم، وانسدت كثيراً من الفراغات القانونية أمامهم كلما حاولوا استغلالها لتحسين أوضاعهم والتمسك بهويتهم، فأصبحوا كالأسير الذي يمسك به القيد إذا حاول الانطلاق أو التحرك.

٤ – برد قارس ومناخ لم يألفوه جعل كثيرين منهم عرضة لأمراض نفسية لم تكن موجودة في بلدهم الأصلي، ووُجد مرض التوحُّد في أطفال الجالية في منيسوتا بنسبة (١) من كل (٢٨) طفلاً، وهي أعلى نسبة في العالم ومثل ذلك وُجد في السويد، وعُزِي ذلك إلى نقص الفيتامين (د) الذي نتج عن نقص أشعة الشمس بالإضافة إلى لقاحات التطعيم التي يتلقونها عند وصولهم لتلك البلاد، كما ظهرت في الجالية الصومالية أمراض نفسية غريبة، كانوا في عافية منها قبل استيطان الغرب.

٥ – لم تكن لهم سفارات في تلك البلاد ولم تكن لهم كذلك منظمات ولا جمعيات تعتني بشؤونهم؛ فكان حتماً على كلٍّ منهم أن يواجه هذا الواقع الجديد عليه بكل تفاصيله بمفرده، فكان كمن قيل في شأنه:

ألقاهُ في اليم مكتوفاً وقال له:
إياكَ إياكَ أن تبتلَّ بالماء

علماً بأن الحقوق هناك لا توهب وإنما تُنتَزع انتزاعاً، وهذا يحتاج إلى أن تُنظِّم الجالية نفسها بشكل دقيق يتيح لها أن تؤثِّر في صناعة القرار والضغط لصالح قضاياها الحيوية، كما تفعله الجاليات الأخرى، بَيْد أن الجالية الصومالية لا تملك رابطة سوى القبيلة أو الفخذ، وجُلُّ منظماتها الأهلية قائمة على هذا الأساس الواهي الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع، بل يزيد الطين بِلة ويمعن في

التفريق بين المتفرق أصلاً، بدلاً من جَمْعه والتقريب بين فصائله وأطرافه.

٦ - أصبحت الأسرة التي كانت من أعز ما يملكونه أول حصن ينهار بفعل السياسات المتبعة في تلك البلاد؛ فتمردت المرأة على الرجل وتفرَّق الأطفال وأصبح الأب لا يملك شيئاً من حق القوامة على بيته، ولو كان يسيراً، بل أصبح كاليتيم على مائدة اللئام، فضاعت بذلك أُسَر كثيرة وانتهت مسيرتها بالطلاق.

٧ - فَشَل كثير من الأطفال في الدراسة، وحصول أبناء الجالية، على أدنى نسبة نجاح في كلٍّ من بريطانيا والدنمارك؛ حيث وصلت نسبة نجاحهم في بريطانيا إلى ٣٤٪، بل إن تقريراً رسمياً بريطانياً أشار إلى أن ٩٧٪ من أطفال الجالية فشلوا في التعليم، كما انتشر في كثير منهم الجريمة وتعاطي المخدرات، ووُجد منهم نزلاء كُثُر في السجون ومستشفيات الأمراض النفسية. وفئة الشباب بشكل عام أقل من يرتاد المساجد والمراكز الإسلامية التابعة للجالية.

لم تكن هذه المفاجآت كل ما واجه الجالية الصومالية في الغرب، بل هي غيض من فيض ولا تزال مفاجآت أخرى غير سارة تنتظرهم ما لم يرجعوا إلى بلاد الإسلام.

ولما استقرت الجالية في الغرب بدأت تتلمس الحلول لكثير من المشكلات التي تعرضت لها؛ فاهتدت إلى إنشاء مراكز دعوية تخدم مصالحها أسوة بمن سبقها إلى تلك الديار من الجاليات المسلمة: كالأتراك والباكستانيين ونحوهم، وتملك الجالية الآن أكثر من ١٠٠ مركز، بعضها مستأجرَ وبعضها مملوك للجالية، ويوجد في أمريكا وحدها ١٤ مركزاً تنتشر في الولايات الأمريكية التي استوطنها الصوماليون، وكلَّف مركز واحد من تلك المراكز (وهو مركز أبي بكر الصديق في منيسوتا) الجالية أكثر من مليون وسبعمئة ألف دولار. ويقوم بتشغيلها دعاة من الجالية نفسها.

لقد خففت تلك المراكز من مشاكل الجالية وأصبحت لهم ملاذاً آمناً يأوون إليها للاحتماء بها من الفتن الهوجاء، وتقوم المراكز بكثير من مصالح الجالية: كتمثيلهم لدى الجهات الرسمية وإجراء عقود النكاح والدفاع عن حقوقهم... إلخ، بالإضافة إلى أنشطة دعوية مكثَّفة: منها اليومي ومنها الأسبوعي ومنها المؤتمرات السنوية التي تقام في عطلات الصيف في كلٍّ من: بريطانيا، وأمريكا، وكندا، والدول الإسكندنافية. ويحضر هذه المؤتمرات جموع غفيرة من كل الشرائح وأصبحت موسماً ينتظره الجميع بفارغ الصبر، وصارت بذلك الجالية الصومالية موضع إعجاب من كل الجاليات المسلمة في الغرب. ولذلك ساهم بعض الدعاة بـ: «رسل العالم» واقتدى بهم كثير من المسلمين في الحجاب الذي ترتديه نساؤهم، وهدى الله بسببهم كثيراً من الكفار الأصليين من أهل تلك البلاد. وتقيم لهم هذه المراكز برامج دعوية خاصة بهم.

بيد أن العدد الذي احتمى بتلك المراكز يعد قليلاً، وأغلبه من الملتزمين من شباب الصحوة. وكثير من الشرائح الأخرى اندمجت أو أُدمجت بالأحرى في المجتمع الغربي. والشباب ثم النساء هم الحلقات الأضعف الذين تستهدفهم برامج التذويب؛ ونعني بالتذويب هنا: عملية المسخ الثقافي والقيمي الذي يتعرض له المغترب؛ ولا يعني ذلك بالضرورة أن يتقمص شخصية الغربي، بل يعني أن ينتقل من موروثه الثقافي والأخلاقي بفعل الإغواء الذي يتعرض له إلى عابد للشهوة مقدِّس للمتعة لا يحفل بدين أو قيم.

إن إنقاذ الجالية من الذوبان في المجتمع الغربي يتطلب فهماً عميقاً لواقعها وواقع المجتمعات التي استوطنت بلادها وقيمها وقوانينها، ثم تنظيمها تنظيماً محكماً تحت مظلة المراكز الإسلامية، مع تطوير هذه المراكز وتحسين أدائها وتوظيف مؤتمراتها الدعوية لمعالجة مشكلات الجالية بشكل أكثر فاعلية يواكب المستجدات وينطلق من ثوابت الإسلام وأصوله، إضافة إلى التعاون مع الجاليات الإسلامية الموجودة في تلك البلاد، وتُعَد جميع تلك الخطوات مسكِّنات آنية لا يمكن اعتمادها كعلاج ناجع يضمن حماية الجالية من أن تنماع في محيط الغرب وقيمه، والحل الأمثل وربما الأوحد، سيكون بالهجرة إلى بلاد الإسلام؛ لأن النجاة من الغرق تستدعي السباحة إلى أقرب بَرٍّ قبل أن تخور القوى. والتعلق بقشة في ذلك المحيط الهادر لا يعصم من الماء. ويحتاج أولئك المعرَّضون للفتنة في دينهم نجدة سريعة من الدول الإسلامية بأن تسمح لهم بالإقامة في بلادها ريثما يتيسر لهم العودة إلى وطنهم الأم إذا هدأت رياح التدمير وسكن أوار الحرب الأهلية في الصومال.

والله نسأل أن يعصمنا وإخواننا من الضلالة بعد الهداية، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

إن إنقاذ الجالية من الذوبان في المجتمع الغربي يتطلب فهماً عميقاً لواقعها وواقع المجتمعات التي استوطنت بلادها

تحت إشراف المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني ترخيص رقم ٢١٤/١٠٢٩

كن خطيب زمانك

# لا خوف من الإلقاء بعد اليوم..

## قالوا عن الدورة ...

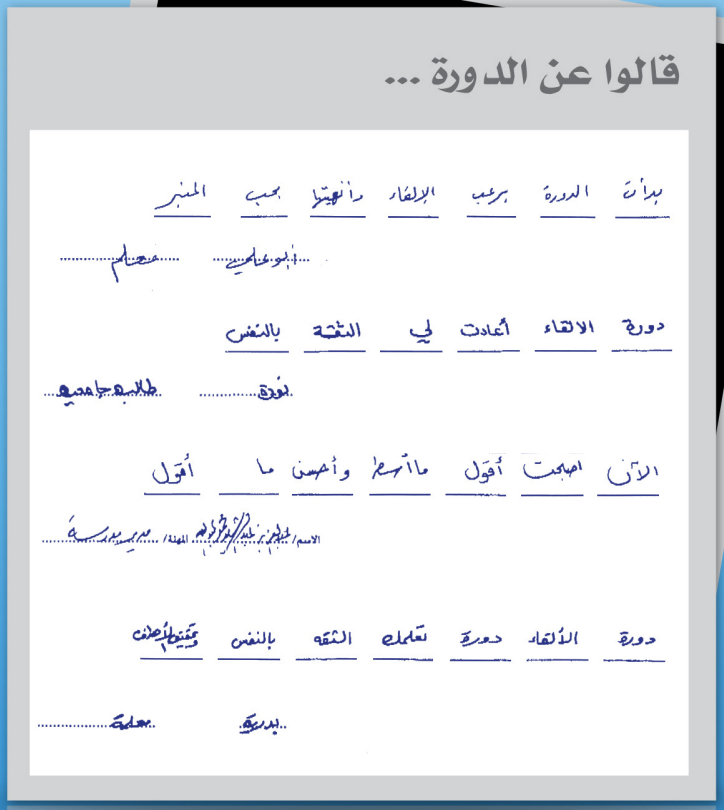


**مواعيد الدورات:**

الخبر : ١٤٣١/٢/٨هـ

الرياض : ١٤٣١/٣/٦هـ

جدة : ١٤٣١/٣/٢٠هـ

**الخطيب الصغير:**

دورة إلقاء للأبناء : آداب اجتماعية + علوم رجال + لبس المشلح

Badr: 0508948947

## دورة مهارات الإلقاء تحقق:

- تهيئة خريجي الجامعات للتطبيق والتدريس.
- كيفية إعداد الكلمات والمحاضرات المقنعة والمؤثرة.
- كسر حاجز الهيبة من التحدث أمام الآخرين.
- التعرف على أسرار التاثير.
- تنمية مهارات الإصغاء.
- التعامل مع الأسئلة المفاجئة.

الدورات معتمدة

بعد تنفيذ **٢٥٠** دورة

وتدريب **١٠,٠٠٠** متدرب ومتدربة

وتقديم **٨** دورات دولية

وتقديم **٤٥** برنامجاً لكبار الشخصيات

**من إصداراتنا :**

كتاب لماذا نخشى الإلقاء؟

البوم شريط : فن الإلقاء

إصداراتنا متوفرة لدى مكتبات: جرير و العبيكان

## مركز الإلقاء

أول مركز متخصص في الإلقاء والمواجهة

خبرة ١٢ سنة

www.alelqa.com

الرياض هاتف : ٠١/٤٧٧٩٩٩٢

جوال: ٠٥٠٤٢٥٤٧٩٤/٠٥٣٣٣٩٥٩٣٣

## مرصد الأخبار

### المخاض الصعب

أشاد الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية (عبدالرحمن العطية) بنتائج قمة الكويت الـ (٣٠) في مجال الاتحاد النقدي والعملة الخليجية الموحَّدة، وأضاف في تصريح صحافي: أن الاتفاقية جاءت تعبيراً عن إرادة سياسية للدول الأعضاء نحو تحقيق الوحدة النقدية فيما بينها.

وأكد وكيل وزارة الخارجية الكويتية (خالد الجار الله) على أن وزراء الخارجية الخليجيين اتفقوا على جدول زمني جديد للعملة الموحَّدة، وقال: «إنه تم الاتفاق على برنامج زمني للوصول للعملة الخليجية الموحَّدة»، وذلك في اجتماع وزراء الخارجية الخليجيين التحضيري للقمة.

وكان أصحاب الجلالة والسمو قادة دول المجلس قد أكدوا على أن قمة الكويت ستطلق الاتحاد النقدي الخليجي الذي يشمل أربع دول فقط من مجلس التعاون، وهي: قطر والسعودية والكويت والبحرين، بعد انسحاب سلطنة عمان والإمارات.

وعلى ما يبدو؛ فإن الالتزام بالجدول الزمني للعملة الموحدة التي أُطلق مشروعها في ٢٠٠١ سيقتصر حالياً فقط على إنشاء مجلس النقد في عام ٢٠١٠، وليس العملة بحد ذاتها.

[وكالات: ٢٠٠٩/١٢/١٨]

جلال الشايب
gelshayeb@albayan.co.uk

### تحديات العرب التنموية في العقد المقبل

ذكر تقرير صادر عن جامعة الدول العربية بالمشاركة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في بيان صحفي قائلاً: «إن الدول العربية تواجه ستة تحديات إنمائية خلال السنوات العشر المقبلة، وإنها تحتاج إلى إطار جديد للتنمية لمغالبة تلك التحديات وعلى رأسها أن يتبنى العرب سياسات نموٍّ مُناصَرة للفقراء.

وأجملَ التقرير الصادر بعنوان: «تحديات التنمية في الدول العربية... نهج التنمية البشرية» التحديات الستة في: «إصلاح المؤسسات، وتوفير فرص العمل، وتعزيز وتمويل عمليات النمو لصالح الفقراء، وإصلاح نُظُم التعليم، وتنويع مصادر النمو الاقتصادي، وزيادة الأمن الغذائي، والاكتفاء الذاتي في ظل القيود البيئية القائمة».

وشدد التقرير على أن التعامل مع هذه التحديات يحتاج إلى «نموذج شامل يعتمد نهج التنمية البشرية القائم على الحريات كأساس لتحقيق التنمية».

[جامعة الدول العربية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي: ٢٠٠٩/١٢/٢٠]

### احتج... فأقام مئذنة

في واحدة من طرق الاحتجاج العملي، قام رجل الأعمال السويسري «جويللوما موراند» البالغ من العمر ٤٦ عاماً، بتحويل مدخنة فوق سطح شركته إلى مئذنة احتجاجاً على استفتاء حظر بناء مآذن للمساجد، واصفاً إياه بأنه: «فضيحة بكل المقاييس»، معرباً عن استيائه الشديد من نتيجة الاستفتاء.

وعلى أثر ذلك قامت بعض المواقع الإلكترونية بشن حملات عدائية ضد رجل الأعمال السويسري (صاحب محلات بيع أحذية) ووجَّهت له الإهانات، وطالبت مواقع أخرى بطرده نهائياً طالما أنه يعترض على الديمقراطية.

وعلى الرغم من الانتقادات الحادة التي تعرَّض لها موراند على شبكات الإنترنت؛ إلا أن مستوى مبيعاته ما زال مُرضياً وناجحاً في السوق السويسرية.

[وكالة الأنباء الفرنسية: ٢٠٠٩/١٢/١٠]

## التعاون (الإيراني - الحوثي) على «الإثم والعدوان»

اعتبر الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي السعودية أن تعاون الإيرانيين مع الحوثيين، هو: «تعاونٌ على الإثم والعدوان»، داعياً الإيرانيين إلى المحافظة على أهل السُّنة في إيران وحمايتهم من الظلم والعدوان.

وأضاف فضيلته: «إن المملكة تدافع عن نفسها، وتصد عدواناً ظالماً، ولم تغزُ أرض أحد أو تتسلل إليه، ومن ثَمَّ؛ فإن من قُتل منهم وهو معتدٍ سيلقى ربه على جزاء فعله؛ حيث لم نبدأه بالعدوان، وإنما هو من اعتدى وبدأ بِشَر، ومن بدأ بعدوان وهدَّد وتعرَّض فلا بد من الدفاع عن النفس»، وتابع: «أما من قُتل من جنودنا على يد هؤلاء المعتدين، فأرجو لهم من الله الشهادة، وإنهم - بإذن الله - على خير».

وفي بيان صدر مؤخراً صرح فيه نحو ٤٠ من العلماء السعوديين أن إيران تزعزع استقرار الدول الإسلامية من خلال زَرْع عملائها وتمويلهم وتسليحهم بهدف نَشْر المذهب الشيعي في إشارة مباشرة للمتمردين الحوثيين.

[رويتر، ومصادر أخرى: ٢٠٠٩/١١/١٦]

## علامة تعجب

## نعم لاحترام اليهود... ولازدراء الإسلام!

ذكرت صحيفة «الإندبندنت» أن شركة النقل الجوي «إيزي جيت» البريطانية، اضطرت إلى إعدام ٣٠٠ ألف نسخة من مجلتها الشهرية؛ لأنها اُتهمت بارتكاب جُرْم لا يغتفر في نظر المتعصبين اليهود، وهو ما عرَّضها لحملة تشهير وانتقادات عنيفة من جهات وجماعات يهودية.

وذكر المنتقدون أن العدد الأخير من المجلة الشهرية للشركة خصص ثماني صفحات تضمنت صوراً أظهرت عارضات يستندنَ إلى حجارة حقل ستيلاي (الموقع التذكاري للضحايا اليهود في محرقة النازية)، وهو ما حدى برئيس تحرير صحيفة «جويش كرونيكل» اليهودية البريطانية أن يصف الفعلة بأنها: «عديمة التبصر ومتجاوزة لحدود اللياقة».

وقد تزامنت مشكلة شركة الطيران البريطانية مع ما وقع في فرنسا لفتاة مسلمة محجبة، بعد أن شاهد بعض نواب البرلمان وجودها وسط الجالسين في صفوف الزوار الذين يتابعون المناقشات، فأثار ذلك استغرابهم، وأعرب النواب عن دهشتهم إزاء «تسلُّل» مستمعة محجبة إلى قاعة البرلمان، معتبرين أن حجاب الفتاة يمثل اعتداء على القيم الجمهورية، وأصر النواب المعارضين على موقفهم الداعي إلى حظر دخولهن إلى قاعة المجلس.

[بتصرف من مقال: «تاريخهم صار مقدَّساً»، فهمي هويدي: ٢٠٠٩/١٢/٥]

## الأزهر يعلن إيمانه «الشديد» بالعقيدة المسيحية!

قرر الأزهر الشريف سحب كتاب الدكتور محمد عمارة «عضو مجمع البحوث الإسلامية» الذي جرى توزيعه كملحق مع مجلة الأزهر الشهرية، وأثار غضب المسيحيين.

ويلفت د. عمارة في هذا الكتاب إلى «تحريف» الديانة المسيحية، ردّاً على كتاب: «مستعدون للمجابهة» الذي وصفه بأنه: «منشور تنصيري يكذِّب القرآن ويزدري رسوله؛ لتأييد العقائد المخالفة للإسلام».

ونص البيان على التالي:

«قررت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سحب نُسَخ مجلة الأزهر الشريف عن شهر ذي الحجة ١٤٣٠ هـ والملحق الخاص بها بعنوان: «تقرير علمي» للدكتور محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية؛ لما فهمه بعض الأخوة المسيحيين بأن ما جاء بملحق المجلة هو إساءة إلى مشاعرهم، والأزهر الشريف يسرُّه أن يستجيب لرغبة الأخوة المسيحيين؛ وأن يعلن احترامه الكامل وإيمانه الشديد بالعقيدة المسيحية والمسيحيين داخل مصر وخارجها، ويُكِن لهم الاحترام والتقدير ولم يقصد في أي لحظة أن يسيء إلى أحد من أبناء مصر العزيزة».

[جريدة الأسبوع المصرية: ٢٠٠٩/١٢/١٨]

## جدار فولاذي بين الرفحين

صرَّح مصدر مصري رفيع المستوى بأن أعمالاً تُجرى على الحدود الشرقية لمصر لتحصين أمن منطقة الحدود، وأضاف في تصريحاتٍ خاصة: «أياً كان ما نقوم به على الحدود المصرية الشرقية مع قطاع غزة أو إسرائيل؛ فهو شأن مصري بحت يرتبط بممارسة حقوق السيادة الوطنية، وما يحدث على الجهة الأخرى فهو شأن الجهة الأخرى».

كما عقَّب المصدر على الحديث الدائر حول قيام مصر بإجراءات أمنية، تشمل بناء جدار فولاذي على الحدود المصرية بين رفح وقطاع غزة، مشيراً إلى أن: «موقف مصر من مكافحة التهريب عبر الأنفاق مُعلَن، وكذلك التزاماتها الدولية في هذا الشأن بما في ذلك مع الولايات المتحدة».

وتُشرف مجموعة من الخبراء الأمريكيين على العمل في منظومة رَصْد الأنفاق، وتقوم وفود تابعة للسفارة الأمريكية والسفارات الغربية بزيارات تفقُّدية لهم.

[مصدر آخر]

## توبة من نوع خاص

احتفل تجمُّع نسائي لمناهضة العنف برجلٍ، لا لأنه لم يمارس العنف ضد المرأة، ولكن لأنه جاء نادماً على كل ما فعله في حق زوجته من ضَرْب وأذى، وصرَّح الرجل للتجمع النسائي في حفل خُصص له كمكافأة بقوله: «جئت لأتطهر من ذنوبي، وأعترف لكم بأنني كنت أضرب زوجتي، لكنني الآن نادم، ولن أفعل ذلك ثانية».

ويؤكد الرجل النادم على أن الضرب كان وسيلته الوحيدة في الحوار مع زوجته، وحكى خلال الاحتفال: «هكذا كان يفعل أبي، وكذا علَّمنا أن الضرب هو الوسيلة الوحيدة لإصلاح شأن المرأة».

[جريدة المصري اليوم: ٢٠٠٩/١٢/٢٢]

كشف استطلاع حديث للرأي تراجعاً متزايداً في شعبية الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) بين المواطنين الأمريكيين، وأظهر الاستطلاع الذي أجري لصالح شبكة «CNN» أن معدل تأييد المواطنين لأوباما انخفض لأول مرة تحت حاجز ٥٠٪.

[صحيفة الاقتصادية الإلكترونية: ٢٠٠٩/١٢/٥]

أظهر تقرير جديد أعدَّه معهد المجتمع المفتوح أن المسلمين في بريطانيا هم الأكثر وطنية بالمقارنة مع نظرائهم في أوروبا.

التقرير الذي مَوَّلَه الملياردير الشهير جورج سوروس، وجد أن ٧٨٪ من مسلمي بريطانيا يعرِّفون أنفسهم بأنهم بريطانيون، بالمقارنة مع ٤٩٪ من المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم فرنسيين، و٢٣٪ من المسلمين الذين يشعرون بأنهم ألمان.

وأضاف التقرير الذي استند إلى ٢٢٠٠ مقابلة في ١١ مدينة أوروبية تعيش فيها جاليات مسلمة كبيرة، أن مسلمي بريطانيا هم الأكثر اندماجاً مع مجتمعهم من أي دولة أخرى في الاتحاد الأوروبي،

وأكد التقرير أن ٥٥٪ من المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي يرون في الوقت نفسه أن التمييز الديني والعرقي ضدهم ازداد في السنوات الخمس الماضية.

[صحيفة الديلي غراف البريطانية: ٢٠٠٩/١٢/١٣]

أظهرت بيانات البنك المركزي الأردني، أن نصف واردات الأردن تأتي من ٦ دول فقط، من بين أكثر من ١٠٠ دولة تتعامل معها عمَّان تجارياً.

وأوضحت البيانات أن الأردن استورد ٥١,٣٪ من السلع خلال الشهور التسعة الأولى من عام ٢٠٠٩، من السعودية والصين والولايات المتحدة ومصر وألمانيا وكوريا الجنوبية.

وبحسب التوزيع الجغرافي؛ فإن ٣١,٣٪ من الواردات مصدرها الدول العربية، يليها الاتحاد الأوروبي بـ: ٢٢٪، ثم الصين ١٠,٩٪، والولايات المتحدة ٧,١٪ وكوريا الجنوبية ٣,٨٪.

وبلغت قيمة الواردات ٧,٣ بليون دينار، بانخفاض ٢١,٨٪عن الفترة المماثلة من عام ٢٠٠٨.

[جريدة دار ا لحياة ٢٠٠٩/١٢/١٥]

أشار تقرير صدر حديثاً عن مكتب المفتش العام الأمريكي حول أشكال التمويل الموجَّهة من المعونة الأمريكية لمصر إلى تقديم ٧٣ منحة حقوق إنسان، و ٨ اتفاقيات تمويل مع جهات حكومية في مجالات مختلفة.

وحسب التقرير؛ فقد تراوح حجم التمويل للمنظمات غير الحكومية بمصر ما بين ١٩٢ ألف دولار إلى ١,٤ مليون دولار؛ حيث حققت المنظمات المستفيدة من الدعم ٦٥٪ من المستهدف من أعمالها فقط.

وانتقد التقرير مركز «النقيب للتدريب والديمقراطية» الذي تلقَّى ٦١٨ ألف دولار لتعزيز سلامة العملية الانتخابية عن طريق تدريب ٢٠٠٠ فرد، ولم يستفد منها فعلياً إلا ٤٠٪ فقط، وكذا انتقد «المركز الدولي لتدريب الصحفيين» الذي حصل على ١,٤ مليون دولار ولم يقدِّم بيانات واضحة حول عدد الصحفيين المتلقين بالتدريب.

[جريدة المصريون الإلكترونية: ٢٠٠٩/١٢/٢٣]

## س: ما هي أسباب الانطلاقة التركية الإقليمية؟

**ج:** يمكن إيجاز الأسباب الدافعة للحيوية التركية إقليمياً بمجموعتين من الأسباب:

الأولى: تخص المحيط الدولي والإقليمي.

أما الثانية: فترتبط بعوامل داخلية.

وتتركز الأسباب الخارجية في التالي:

١ – تطورات النظام الدولي:

بعد الحرب الباردة، اتسع المجال الحيوي لتركيا وامتد شرقاً في منطقة البحر الأسود وفي آسيا، وساعدها على ذلك الروابط التاريخية والثقافية التي تجمعها مع شعوب هذه المناطق، ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتعيد الزخم من جديد لأهمية الدولة التركية في الإستراتيجيات الغربية، خاصة بعد أن أضحى العالم الإسلامي ساحة رئيسية من ساحات المواجهة في العلاقات الدولية، وهو ما يقدِّم مناخاً ملائماً للفاعلين الإقليميين الكبار مثل تركيا؛ لتوسيع حركتها ولزيادة قدرتها على المناورة.

٢ – تطورات النظام الإقليمي:

يعاني النظام الإقليمي العربي من حالة وهن واضحة رسمت مساحات عريضة من فراغ القوة، وهو الوضع الذي استدعى الدول غير العربية، مثل: (إيران وتركيا) لملئه، وبسبب طبيعة الخطاب الإيراني وعلاقات النظام الإيراني المتوترة مع الغرب، كان لتركيا فرصة أكبر في مد دورها الإقليمي، خاصة أنها تسعى إلى احتواء المنافسة مع إيران بخلق قاعدة مصالح مشتركة معها.

٣ – تطورات السياسة الأمريكية:

ساهمت السياسة الأمريكية في عهد بوش الابن في فتح الطريق أمام تركيا للامتداد إقليمياً؛ حيث إن غزو أفغانستان والعراق ومحاصرة أطراف رئيسية، مثل: إيران وسوريا والعمل على إضعافهم، كان أحد عوامل تخفيف التوتر بين هذه الدول وبين تركيا وتسهيل سبل التعاون معها؛ فحالة الاستقطاب الإقليمي السائدة أعطت وزناً كبيراً للسياسة التركية العابرة للاستقطابات والمعسكرات.

ثم كان لوصول أوباما إلى البيت الأبيض تأثيره على التخفيف من حدة هذا الاستقطاب الإقليمي، ومع تبنيه القوة الناعمة أكثر من الصلدة خاصة في الشرق الأوسط، انفتح المجال أكثر أمام الخطاب التركي.

٤ – تطورات العلاقات (التركية – الأوروبية):

مضت تركيا قُدُماً في عملية إصلاحات داخلية متنوعة، أحد دوافعها التوافق مع الاتحاد الأوروبي للتسريع من عملية الانضمام إليه، لكن هذه العملية واجهتها مصاعب عدة، جعلت تركيا تغيِّر من اقترباتها وأساليبها للوصول إلى الهدف ذاته.

أما الأسباب الداخلية فيمكن تركيزها في ثلاث نقاط رئيسية:

١ – تطورات الحكم الرشيد:

فتركيا تسير في تطوُّر نظامها الداخلي بخطىً ديناميكية ثابتة للأمام نحو ما يمكن وصفه بالحكم الرشيد؛ فهي حكومة تحظى بشرعية تمكِّنها من صياغة سياسة خارجية طموحة وتنطلق بقوة في تنفيذها؛ حيث إنها رأت أن ديناميكية الحكم شرط لازم لسياسة خارجية نشطة ومتطورة، منطلقة وواثقة من ذاتها في تعاملها مع دول العالم من حولها، وبرهان ذلك تحوُّل الموقف تجاه المشكلة الكردية والذي عكس الرغبة التركية في حل القضية من جذورها.

٢ – رؤية شاملة انطلاقاً من المصلحة الوطنية:

تمتلك تركيا رؤية شاملة حول المجال الحيوي الذي يجب أن تنشط فيه، وكذا رؤية لأفضل الاقترابات لبناء قوة إقليمية كبرى، بل دولية في المستقبل.

٣ – بناء اقتصاد قوي:

من أهم متطلبات تقوية الدور الإقليمي التركي حدوث نهضة اقتصادية تسمح بتوفير الموارد اللازمة لتفعيل السياسة الخارجية بكفاءة؛ فلا بد من تحسين البنية التحتية للسياسة الخارجية التركية بالتطور الاقتصادي كضمانة أَوْلَى لعمل خارجي فعَّال.

وقد شهدت تركيا بالفعل طفرة اقتصادية في السنوات الأخيرة حتى صار الاقتصاد التركي رقم ١٧ في العالم.

[بتصرف... من مقال: «الانطلاقة الإقليمية التركية... لماذا؟ وكيف؟»، د. باكينام الشرقاوي: ٢٠٠٩/١٢/١٥]

# أجيبوا: كيف ينعقد السلامُ؟

محمود مفلح

دمـــاءٌ في الشـــــوارعِ أو حـطـامُ
أجيبُوا: كيفَ ينعَقِدُ الســـــلامُ؟

وكـيـفَ نمـدُّ لـلإجـــرام كفّـــاً
وغـزةُ تُســـتَـباحُ وتُســـتَضامُ؟

يمـــوتُ مـن الـعـذابِ بهـا أُلـوفٌ
ويـبـكي فـوقَ مســـجدِها الغمـامُ

أَلَـم تَسمَع بـغـزّةَ كـيـفَ صاحَـتْ
وكـيـفَ تـطايَـــرَت فـيـها الخـيـامُ؟

وزُلـزلـتِ الجـبَـــالُ بمـن عَـلَـيـها
وروّعـــت الـصـبـيّـــةُ والـغُـــلامُ

دمُ الأطـفـالِ يـبـحـثُ عَـنْ حُـسـامٍ
يَـــرُدُّ عـلـى الـعـــدوِّ ولا حـســامُ!

تمـــادَى لَـيـــسَ يَـلـجُـمُـه قـويٌّ
ولا اخـتـرَقَـــت جَـمـاجِمَـهُ الـسـهـامُ

ولا انـطـلَـقَـتْ كـتـائـبُـــهُ (المـثـنّـى)
ولا لـمـعَـتْ بـــــوارقُـهُ (هـشـــامُ)

تمـــادَى في جـرائـمِـــــهِ وطـالَـــتْ
أظـافِـرُهُ وقـد خَـــرِسَ (الـنـظـامُ)

رأَنـا أمّـــــةً هَـمَـــــلاً وأنّـــا
إذا ســـيـمَـتْ كـرامـتُـنـا نُـســـامُ

ولـيـس سـوى الحـنـاجـرِ مـن سـلاحٍ
نجـهّـــــزُه ونـنـعَـمَ الإنـتـقـــامُ!

وآلافُ الـنـســـــاءِ مـفـزّعـــاتٌ
وأطـفـالٌ عـلـى الـطـرقـــاتِ هـامـوا

فـهـذا الـطـفـــلُ لـيـس لـــهُ ذراعٌ
وهـــذا كُـسّـــرت فـيـهِ الـعـظـامُ

وتـلـك صـبـيّـــةٌ ســـــقـطـتْ عـليـها
قـذائـفُـهُـــــم وأدرَكَـهـــا الحِـمـامُ

ومـا ذَنْـبُ الـشـــيـوخِ وقـد أُريـقَـتْ
دماؤهُـــــمُ وفـوقـهُـمُ الـرُّكـــامُ؟

ومـا ذَنْـبُ الحَـمَـــــامِ وقـد تهـاوى:
أكـنْـتَ مـن (الـفـصـائـل)، يـا حـمـامُ؟

ألاســـــرائـيـل في الـتـاريـخِ عَـهْـدٌ؟
أأبـنـاءُ الـقـــرودِ لهـم ذِمَـــــامُ؟

أَيـكـذبُ ربُّـنـــــا؟ حـاشَـــــى؛ فـهـذا
كـتـــابُ اللّهِ والـرُّســـــلُ الـكِـرامُ

إذا لم يَـسْـــــفِكُوا فـــي كـلِّ يـومٍ
دَمـاً حُـــــرّاً فـعـيـــشُـهُـمُ حَـــرَامُ

(دمٌ لفطيـــرِ صهيـــــون)[1] علينا
لهـم عـشْـــــقٌ بـهِ ولهُـــــمْ غـرامُ

رســـــولُ اللّه عـالَـجَـهُـــمْ فـكـانَـتْ
مـصـارعُـهُـــــم وكـــان الإنـتـقـــامُ

وَأوغـــلَ فـــي صـياصـيـهِـــم عـلـيٌّ:
ألا سَـلِـمَـتْ يـــمـيـنُـكَ يـا إمـــامُ

لـقـد ســـقـطَ الـقـنـــاعُ فـلـيـس إلاّ
نـفـيرٌ فـيـهِ تـنـتـصـــفُ (الـشـآمُ)

وفـيـــهِ نجـهّـــــزُ الآفـــاقَ خـيـلاً
وإن نَـصـمُـتْ عـلـى الـدنـيـا الـسـلامُ

ومـا ذَنْـبُ الـمـســـاجـدِ؛ إذ تهـاوَتْ
وجَـمْـعُ المؤمنيـــنَ بهـا قِـيـامُ

أقـــولُ لـكـلِّ مـن (نَـبَـحُـــوا) عـلـيـنـا:
إذا صـــــرخَ الـذّبـيـحُ، فـهـل يُـلامُ؟

وأعـجَـبُ كـيـف بَـعـضُ الـعُـرْبِ تـاهـوا؛
فـلـيـــس لَـهُـــمْ إذا نـطـقـوا زِمَـــامُ

إذا لم تشـتـعِـــلْ غَـضَـبـــاً؛ فـمـاذا
تـبـقّـــى مـــن وجـــودِكَ يـا هُـمـامُ؟

(١) عنوان رواية للأديب الإسلامي الراحل: نجيب الكيلاني، رحمه الله.

# قراءة في التعامل الصهيوني مع الانتفاضات الفلسطينية (سياسياً وعسكرياً)

د. عدنان أبو عامر(*)

أحيا الإعلام الصهيوني خلال الشهر المنصرم الذكرى السنوية الثانية والعشرين لانطلاق انتفاضة الحجارة التي اندلعت في الثامن من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧، واستمرت حتى أواخر عام ١٩٩٣؛ حيث وُقِّع اتفاق أوسلو «سيئ الصيت»، وقبلها بشهرين جاءت الذكرى السنوية لانتفاضة الأقصى التي اندلعت في سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠٠، وما زالت حتى يومنا هذا تشهد حالات من المد والجزر.

التحليل التالي يسلط الضوء على التغطية الإعلامية الصهيونية لهاتين المناسبتين، وعلى تركيز الصهاينة على ما يسمونه: الاستعدادات الجارية لمواجهة «الانتفاضة الثالثة» المتوقعة.

## مفاجأة انتفاضة الحجارة:

تعرَّض الإعلام الصهيوني إلى تفسيرات اندلاع الانتفاضة، والتعامل معها، وتراوحت بين عدة اتجاهات:

١ - باغت اندلاع الانتفاضة الأوساط الصهيونية، لا سيَّما العسكرية، وفاجأتهم قوَّتها وشموليتها واستمراريتها، وهي التي اعتقدت أن الاحتلال استطاع خلال عشرين عاماً أن يُلحق الضفة الغربية وقطاع غزة به، وتحييد الغالبية العظمى من أهلها عن المسيرة الوطنية، ولم يخطر بباله أن الفلسطينيين سيجرؤون على تحدي سلطته العسكرية المُطْبِقَة عليهم بانتفاضة شعبية عارمة.

٢ - بقيت القيادة الأمنية العسكرية الصهيونية غارقة في غطرستها، وأعماها جمودها الفكري وعنصريتها عن فَهْم الانتفاضة لحظة انفجارها، ولم تستطع رؤية الظواهر الجديدة في الحركة الشعبية الفلسطينية كما هي، ولم تقرأها بصورة موضوعية مجردة عن «عنجهية المحتل»، واكتفت بالتعامل معها باعتبارها تكراراً لأحداث تعودت عليها لسنوات طويلة.

٣ - ظنَّ أركان الدولة العبرية أن بإمكانهم السيطرة على الانتفاضة بسهولة خلال أيام معدودة بالأساليب والوسائل القديمة، هكذا كانوا مقتنعين، وهكذا كانت تقاريرهم للقيادة السياسية تبيِّن ذلك، وبسببها رفض «رابين» الأخذ بنصيحة بعض مستشاريه بقطع زيارته لواشنطن والعودة إلى تل أبيب لمعالجة الموقف، وشجَّعته على إطلاق تصريحات عنجهية من واشنطن قال فيها: بعد أيام سأعود إلى تل أبيب، وعندها ستنتهي حركة «الشغب» الجارية في المناطق.

٤ - بعد فَشَل هذه التهديدات في إخماد لهيب الانتفاضة، حدثت أزمة في الاطمئنان النفسي الصهيوني للقوة العسكرية؛ إذ لم تعد دولة الكيان الصهيوني قادرة على اعتماد ما تحصَّلت عليه من أسباب القوة لإخماد وَهْجها المتنامي، بعد أن فرضت عليها نمطاً من المواجهة لم يحسب العقل الاستراتيجي الصهيوني حسابه، ومن ثَمَّ نجحت الانتفاضة في تحييد هذه القوة العسكرية وشلِّ فعاليتها.

وسرعان ما دفعت قوات الاحتلال بقواتها العسكرية إلى المواجهة؛ حيث وصل عدد جنودها أكثر من عددهم يوم احتلال الضفة والقطاع، بل زادت في بعض المناطق بنسبة ٢٠٠ - ٣٠٠٪، بالإضافة لاستخدام المجنزرات، وطائرات الهيلوكبتر، والأسلحة المتطورة في مواجهة الجماهير، وكذلك القمع والاعتقالات الجماعية للآلاف والتعذيب والبطش بصورة وحشية.

ولنا أن نقف أمام تصريحات «إسحاق شامير، وإسحاق رابين، وشمعون بيريز، وأرئيل شارون»: فالأول: جاهر بأن على الجيش أن يُرعب الفلسطينيين حتى يهدؤوا وتسكن حركتهم. والثاني: أعلن أنه سيتابع إصدار الأوامر للجنود

(*) كاتب فلسطيني.

كي يقوموا بقمعهم. والثالث: تابع تصريحات زخرف القول كعادته. والرابع: كما درج في سياساته كلها يهدد ويتوعد الفلسطينيين والعرب والعالم كله.

## دروس انتفاضة الأقصى:

تُعَدُّ انتفاضة الأقصى حالة معقَّدة للغاية بالنسبة لجيش الاحتلال، ويمكن تلخيص آثارها وتبعاتها على بِنْيَة الجيش ومعنوياته، وإفشال مخططات الاحتلال (التوسعية والأمنية والسياسية والاقتصادية)، وعدم تمكينه من تحقيق أيٍّ منها بالنقاط التالية، وذلك وَفْقاً لما أبرزها الإعلام الصهيوني مؤخراً:

١ - قدرة الانتفاضة الذاتية، وثباتها في مواجهة العدوان، ونجاحها في مقارعة المحتل بمختلف الوسائل (الأمنية والعسكرية والإعلامية والسياسية)، واكتساب الثقة الشعبية، واحتضان المجتمع لدَورِها، واستعداده للتحمُّل والتضحية.

٢ - إنتاج ظاهرة العمليات الاستشهادية، التي تنافس على القيام بها جيل الشباب دون الثلاثين من العمر منافسة شديدة؛ والغريب أن يشارك في المنافسة من تجاوز هذه السن ممن استقرت حياتهم الأسرية بشكل معقول، وكذا النساء والفتيات. ولعل هذا ما كان يقصده المحلل العسكري الصهيوني «أليكس فيشمان» حين قال: إن انخفاض معدل العمليات في بعض الأحيان، لا يعني أننا انتصرنا، وأن الانتفاضة على وَشَك الانتهاء؛ لأنه في المقابل يتضاعف عدد الإنذارات؛ وهو ما يعني أن جيلاً من الفدائيين يُخلق وينمو فوراً، بدلاً من الجيل الذي تمَّ القضاء عليه وسَيَخلُفه في الميدان، والجيل الجديد ليس أقل عنفاً.

٣ - تَمكُّن الانتفاضة من ضَرْب الجبهة الداخلية الصهيونية بشكل قوي لأول مرة منذ سنة ١٩٤٨، وهي النقطة الأضعف في الدولة والمجتمع؛ وهو ما لم تقم به الجيوش العربية أبداً في حروبها، وهو ما أوجع الاحتلال أيضاً، ليس على مستوى الخسائر المادية والبشرية فحسب، بل على مستوى استقرار الدولة ومستقبلها من حيث الوجود، إضافة لإيقاف الهجرة القادمة، وإحداث هجرة مضادة هاربة.

تلك الحقائق دفعت بالمؤرخ الصهيوني «بنتسيون نتنياهو» والد «بنيامين نتنياهو»، للقول: من يحلم بالأمن والاستقرار والهدوء في هذه البلاد يبحث عن أوهام لا يمكن أن تتحقق؛ فما دام الفلسطينيون يرون يوم استقلالنا يوماً لنكبتهم، فإن المواجهة ستبقى متواصلة وغير قابلة للتوقف.

## خسائر الاحتلال (اقتصادياً وبشرياً):

أبرز الإعلام الصهيوني في إطار مراجعاته لآثار وتبعات الانتفاضتين على الكيان، عدداً من مؤشرات الخسائر التي مُنِي بها (اقتصادياً وعسكرياً وبشرياً)، على النحو التالي:

١ - عانى المجتمع الصهيوني من تدهور وَضْعه الاقتصادي، الذي شهد ازدهاراً كبيراً قبل الانتفاضة؛ حيث تعطَّلت السياحة تقريباً؛ وهي تمثِّل ثاني مصدر للدخل. وكانت أعوام الانتفاضة هي الأسوأ من الناحية الاقتصادية منذ خمسين عاماً؛ حيث تراجع الناتج المحلِّي الإجمالي بنسبة ١٪، وارتفعت نسبة البطالة إلى ١٠,٥٪، وارتفع عدد الصهاينة تحت خطِّ الفقر إلى ٢٠٪ (أي: نحو مليون ومئتي ألف صهيوني)، وانخفض المعدل السنوي لإنتاج الفرد ثلاثة آلاف دولار، من ١٨٦٠٠ إلى١٥٦٠٠ دولار.

٢ - قدَّرت بعض التقارير الأمنية الخسائر الصهيونية من القتلى والجرحى بين عامَي: ٢٠٠٠م - ٢٠٠٦م بـ: ١١٠٠ قتيل، و ٦٠٠٠ جريح، وبلغ مجموع ما أُنفِق على الأمن سنة ٢٠٠٤ ما يقرُب من ٩,٥ مليار دولار، ومجموع من خرج للسياحة خارج البلاد أثناء الانتفاضة ٣٦٠ ألف صهيوني، أكثرهم خرج خوفاً من العمليات الاستشهادية؛ وهو ما دفع بوزير الأمن الداخلي السابق (عوزي لنداو) للقول: «إن الحرب التي تديرها قوات الأمن ضدَّ الحركات المسلحة، هي حرب أدمغة وأساليب جديدة».

٣ - وخلال أعوام الانتفاضة، نفَّذ الفلسطينيون أكثر من ٢٠ ألف هجوم من أنواع مختلفة، قُتل فيها أكثر من ألف صهيوني، وأكثر من ٥٦٠٠ جريح، منها ١٣٨ عملية استشهادية، قُتل فيها أكثر من ٥٠٠ صهيوني، وجُرح أكثر من ٣١٠٠ آخرين.

٤ - ووَفْقاً لآخر الإحصائيات الصادرة، أوضح العميد «يسرائيل زيف»، رئيس قسم العمليات في جيش الاحتلال، أن النفقات العسكرية في مواجهة الانتفاضة بين عامَي: ٢٠٠٢ - ٢٠٠٦ جاءت على النحو التالي: ٧٥٠ مليون دولار، ٣٠٠ مليون دولار، ٢٠٠ مليون دولار، ١٥٠ مليون دولار، ١٧٥ مليون دولار.

أخيراً: علَّق الإعلام الصهيوني في معرض استعداده لتغطية ما يصفها بـ: «الانتفاضة الثالثة» على أخطاء التعامل الصهيوني مع الانتفاضة؛ حيث تعرَّض الجنرال «غيورا أيلاند» رئيس قسم التخطيط في هيئة الأركان، للأخطاء التي ارتكبها الجيش (سياسياً وعسكرياً)، خاصة عدم الاستعداد لهذه المواجهة: لا بالمفهوم التنظيمي ولا بالمفهوم الفكري، وهو ما أدى لفقدان الإحساس بالأمن الشخصي، وباتت طُرُقُ الضفة الغربية غاية في الخطورة... وشعر العديد من الصهاينة بانعدام الأمان في الأماكن العامة.

# المراكز البحثية للمؤسسات الدعوية

أحمد طومان

**تمهيد:**

**ليست فاتحة هذا الطرح بصدد التعريف بدلالة عبارة: (المؤسسات الدعوية) تعريفاً دقيقاً، إنما المقصود تناوُل واحدة من القضايا المتعلقة بالرؤية المستقبلية والنظرة التطويرية لعمل هذه المؤسسات، والتي يُقصَد منها تلك المؤسسات غير الربحية (الربح المادي الدنيوي)، التي تسعى إلى التعريف بالإسلام ونشْره بين المسلمين أو غيرهم من خلال تناوُل قضاياه بشكل عام أو من خلال تبنِّي جانب معيَّن من جوانبه.**

كما أن المقصد ليس استقصاء هذه المؤسسات والتعريف بها؛ إذ الأمر يطول، إنما هي إيماءةٌ من خلال مثال يرى الكاتب أنه قابل للتطبيق على البقية الأخرى.

مع التأكيد على أن تناوُل هذا الموضوع لا يعني غياب الاهتمام بالنواحي البحثية لدى جميع المؤسسات الدعوية، بل إن ثمَّة العديد منها أوْلَت هذا الأمر عناية مشكورة، وقطعت أشواطاً متميزة، والمرجو أن تستمر في تقدُّمها وأن تحذو الأخريات حذوها وتُفيد وتستفيد من هذه التجربة.

## المؤسسات الدعوية والتحديات:

المؤسسات الدعوية تواجه تحديات ضخمة على مختلف الأصعدة (الداخلية والخارجية) تقتضي منها دوام المتابعة والمراجعة لأعمالها؛ لترقى إلى المنشود من الآمال، ولتحقق المطلوب من مقاومة الأعداء، (ولا شك أن جزءاً من المقاومة حرب إعلامية ومعلوماتية؛ بحيث تكون مصادرنا موثوقة، ومعلوماتنا مؤكَدة، وصياغتنا موضوعية)[1].

وحَسْبُ الباحث أن يبحث عبر أيٍّ من محركات البحث في شبكة المعلومات العنكبوتية عن المراكز البحثية أو مراكز الدراسات والمعلومات، سواء منها الحكومية أو الخاصة، وسواء كانت ذات طابع مستقل أو فَرْع من جهات أكبر؛ ليجد كَمّاً هائلاً من المواقع المتخصصة وقَدْراً كبيراً من المعلومات والدراسات في شتى المجالات بطرح علميٍّ عميق، وتناولٍ غاية في الدقة في قضايا أساسية أو حتى جزئية ثانوية.

في حين يواجه صعوبة في الحصول على مركز معلومات

(١) د. مالك الأحمد: حرب معلوماتية، مجلة البيان، العدد: ١٨٥، ص: ١٠٨.

دعوي تابع لجهة هو فَرْع منها، فضلاً عن الوقوف على موقع لمركز مستقل متخصص.

وليست المكتبات بأحسنَ حالاً على الشبكة؛ إذ قصارى ما هنالك أن يجد معلومات متناثرة هنا وهناك ظاهرة معلنة تارة، ومخفاة على استحياء تارة أخرى.

وكما يَعِزُّ البحث عن المعلومة عبر قنوات البحث النظرية، فإن بذل الجهد الجسدي المتمثل في زيارة هذه المؤسسات ومقابلة العاملين فيها للحصول على معلومات عامة، ولجني خبراتهم في قضايا معينة ليس بالحل الأنجع دائماً؛ إذ قد يجد الباحث كمّاً من المعلومات والتجارب حبيس رؤوس رجال، إن ظفر بمقابلتهم لم يسعفه الوقت، وربما الأسلوب؛ لاستخراج حاجته منهم، فضلاً عن تشتُّت المعلومات وغلبة النظرة الشخصية (غير العلمية وغير المؤصَّلة) عليها في بعض الأحيان.

أما إن نال شيئاً مكتوباً ومعدّاً سلفاً، فربما كان غير متكامل أو غير محدَّث أو يحتاج إلى مذكرات تفسيرية بدونها يستحيل هذا المكتوب إلى رموز وأحاج يصعب فهمها.

## أزمة بحثية معلوماتية:

الحق أن هذا الملحظ ليس خاصاً بالمؤسسات الدعوية، إنما هي ظاهرة عامة في عالمنا الإسلامي؛ (حيث تشير الدراسات إلى أن مراكز البحث العربي لا تزيد عن ٦٠٠ مركز، وأن عدد الباحثين العرب لا يزيد عددهم عن ١٩ ألفاً، بينما عدد الباحثين في

**وكما يعز البحث عن المعلومة عبر قنوات البحث النظرية، فإن بذل الجهد الجسدي المتمثل في زيارة هذه المؤسسات ومقابلة العاملين فيها للحصول على معلومات عامة ليس بالحل الأنجع دائماً**

فرنسا وحدها ٣١ ألفاً يعملون في ١٥٠٠ مركز بحثي. وبينما كل مليون عربي يقابلهم ٣١٨ باحثاً علمياً؛ فإن النسبة في أوربا تصل إلى ٤٥٠٠ باحث لكل مليون شخص؛ أي: أكثر من ١٥ ضعفاً)[1]؛ فهل ثمة مجال لاغتنام هذه الفرصة وشقِّ طريق الريادة ورَفْع راية الدعوة عبر سعيها إلى تكثيف الجوانب البحثية في عالمنا الإسلامي من خلال تطبيق المؤسسات الدعوية لذلك؟

إن المؤسسات الدعوية حققت نقلات تطويرية لا تخفى على متابع؛ فمن غرفة ملحقة بمسجد أو شقة صغيرة في بناية قديمة يضطلع ثلاثة أشخاص أو أقل أو أكثر بكل المهام قبل سنوات قلائل إلى مقارَّ بارزة وهياكل إدارية تنتظم عشرات العاملين في تخصصات مختلفة.

والتطوير لا زال في الطريق، والمطالب الاسترقائية تنادي بين حين وآخر، ومن زاوية وأخرى، وهذه واحدة منها.

لعل هذا التمهيد يعطي شيئاً من التبرير لهذه الدعوة، وشيئاً من الإغراء بقبولها.

## تعريف المراكز البحثية:

المراكز البحثية المطلوب إنشاؤها، هي عبارة عن وحدات مرتبطة بالمؤسسة الدعوية تستخدم أسلوب الاستقراء والتتبع والإنشاء والتأليف ضمن سلسلة (حلقة التغذية الراجعة)؛ بمعنى: أن هذه المراكز تتابع عمل المؤسسة عن كثب؛ لتقف على جوانب الخلل أو النقص وتحيل هذه الظواهر إلى مفردات مُعرَّفة، تُجمَع عنها المعلومات اللازمة، سواء منها النظرية أو التطبيقية من واقع الميدان؛ ثم تُحلَّل هذه المعلومات لاستخلاص الأسباب والنتائج، ومن ثَمَّ وَضْع الحلول وانتخاب أمثلها ليُطرح للتطبيق.

هذا في ما يخص الاستقراء والتتبع؛ أما الإنشاء والتأليف، فبطرح أفكار جديدة؛ لتطوير العمل تصاغ بطريقة واضحة ومدروسة وتُطرَح للتطبيق ضمن آليات متقنة تضمن نجاحها أو نجاح فرصة الاستفادة من فشلها.

كل ذلك في ظل نظام المراجعة الدورية التي تضمن عملية التطوير المستمر من خلال إعادة المخرَجات بعد طرحها وتشغيلها إلى مدخلات تُدرَس مرة أخرى لطرح نُسَخ محسَّنة منها.

مجالات عمل المراكز البحثية:

تطورت نواحي الاهتمام لدى المؤسسات الدعوية وتشعبت وتداخلت أمور ليست من صميم عملها: كالنواحي الإدارية والمالية، وعقود التوظيف، وإدارة الأملاك، والنقل، والحركة، والصيانة، والتشغيل، والمستودعات، والعلاقات العامة، وغيرها مما لا ارتباط مباشر له بالأصل الذي قامت عليه هذه المؤسسة وتصدَّت للتخصص فيه؛ وبناءً على ذلك يمكن وبنوع من التسطيح أن يُقسَّم العمل

(١) طلعت رميح: هروب النُّخب من الدول الإسلامية إلى الغرب، مجلة البيان، العدد:١٨٥، ص: ٧٦.

في المؤسسات إلى حزمتين أساسيتين:

الأولى: العمل في التخصص المباشر للمؤسسة.

الثانية: العمل الخادم، وهو ما سبقت الإشارة إليه من النواحي الإدارية والمالية والتشغيلية، وغيرها.

ولعل المطلب المثالي من هذه المراكز البحثية أن تتابِع بالدراسة والتحليل والنقد جميع الأعمال، سواء منها الأعمال الأساسية أو الأعمال الخادمة؛ إلا أن التصور الواقعي، والنظرة التطبيقية، والقناعة بمبدأ التخصص، والاعتراف بمحدودية الإمكانيات في المرحلة الحالية تُعارض ذلك؛ لتدعو إلى أن تتفرغ المراكز البحثية أو مراكز المعلومات والدراسات للعمل الأساس لهذه المؤسسات؛ وتتولى مراكز متخصصة خارجية تطوير ودراسة الأعمال الخادمة بالتنسيق مع مركز أبحاث المؤسسة إلى حين نضوج الخبرة وتكامل الفريق الكفيل بالاكتفاء الذاتي؛ وبناءً عليه يمكن تلخيص تصوُّر عمل المراكز البحثية في:

- متابعة وتتبُّع الواقع التطبيقي لعمل المؤسسة وتلمُّس جوانب الخلل.
- دراسة المشاكل وتحليلها ووضع الحلول.
- متابعة الحلول المطروحة وتطويرها وتحسينها.
- إصدار ما يمكن تسميته بـ (الدليل الإرشادي) وقد اصطُلح على تسميته في كثير من العلوم بـ handbook والذي يلخص أهم الأعمال المناطة بالعامل وطُرُق التغلب على المشكلات التي تطرأ، مع متابعة تحديثه باستمرار.
- إعداد المناهج التعليمية الإرشادية التطويرية، التي تكون محتوياتها مادة لدورات علمية وتدريبية تُعقَد للعاملين الجدد أو القدامى أو لمن توجِّه المؤسسة نشاطها إليهم.
- التنسيق مع مراكز بحثية وجِهَات تدريبية؛ لتطوير أداء العاملين في المجالات الخادمة.
- تأصيل وتدوين الأعمال والتجارب التي تقوم بها المؤسسة.
- الارتباط مع مراكز بحثية في مؤسسات دعوية أخرى من خلال:

١ - اللقاءات والاتصالات المباشرة.

٢ - الندوات والحوارات الدورية.

٣ - المؤتمرات العامة، سواء التقليدية أو الحاسوبية عبر شبكة المعلومات.

## تطبيق الفكرة:

كما سبق فإن الأعمال الدعوية من خلال المؤسسات المتخصصة تنوعت وتعددت ويصعب على مقال أو حتى على باحث أن يحيط بدقائقها وتفاصيل العمل فيها، وليكون هذا المقترح أكثر واقعية، فإنه سيحاول في ما يلي أن يُنْزِل هذه الفكرة على واحدة من هذه المؤسسات الدعوية؛ ألا وهي: المؤسسات التي تعنى بتعليم وتحفيظ كتاب الله، تعالى. مع التأكيد على أن الطرح ليس إلا لتقريب الفكرة ودعمها، وإلا؛ فإن مسميات هذه المؤسسات تختلف من بلد لآخر فضلاً عن تفصيل جوانب عملها، ودقيق تخصصاتها.

إن جمعيات تحفيظ القرآن الكريم تمارس نشاطها الأساس في النواحي التالية:

- تعليم الذكور وتحفيظهم القرآن الكريم وبعض علومه في حلقات المساجد.
- تعليم الذكور وتحفيظهم القرآن الكريم وبعض علومه من خلال دورات تُعقَد في مقارِّ هذه الجمعيات أو في أماكن أخرى.
- تعليم الإناث وتحفيظهن القرآن الكريم من خلال المراكز النسائية التي تكون في بنايات مستقلة مُعَدَّة لهذا الغرض، أو في المدارس الحكومية في فترة خلوِّها من التدريس النظامي.
- تعليم الإناث وتحفيظهن القرآن الكريم من خلال حلقات المساجد، والتي غالباً ما تكون في رمضان.

إذاً الهيكل الأساس للعملية التعليمية (تحفيظ القرآن الكريم):

ينتظم عِقْدَ العملية التعليمية - سواء للذكور أو للإناث - الفروع التالية:

- المعلم.
- الطالب.
- المشرف كـ (ممثل للإدارة ومندوب عنها).
- الإدارة متمثلة في التنظيمات والضوابط للعملية التعليمية. والشكل التالي لتخيل التسلسل الهرمي للأداء:

فالإدارة العليا يفصلها عن الفئة المستهدَفة بهذا العمل (الطلاب) عناصر أخرى؛ إذ يتم اتصالها بالمشرفين الذين يقومون بزيارة الحلقات. والمشرف بدوره لا يحتك بالطالب مباشرة وإنما ينصبُّ عمله على تقييم أداء المعلم الذي

يعمل بشكل مباشر مع الطلاب.

كما أن المعلمين يتفاوتون في عمق علاقتهم مع المشرفين، تلك العلاقة التي تتناقص قوة كلما اتجهنا لأعلى (علاقة المعلم مع الإدارة مباشرة)، فكذلك المشرفون تتناقص علاقتهم قوة مع الإدارة كلما علا موقع المسؤول.

وهناك الكثير من القضايا المشكِلة لدى الطلاب؛ سواء في مجال الحفظ أو في مجالات أخرى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة لا يتنبه لها المعلمون، وربما أدركوها؛ إلا أن انشغالهم بالعملية التعليمية وضيق الوقت، وربما عدم القدرة أحياناً يحول دون البحث عن حلول لها.

وكذلك الحال مع المشرف؛ فانشغاله بزيارات الحلقات وإعداد التقارير عنها، ورَفْعها إلى الإدارة ومتابعة التعاميم الاجتماعات الداخلية وخلافه، يحول دون التفرغ للتفكير في بعض القضايا الإشكالية لدى المعلمين وكذلك لدى الطلاب. ومن ثَمَّ وَضْع الحلول لها، فضلاً عن التفرغ لابتكار أفكار جديدة.

الإدارة إضافة إلى بُعدها عن المقصود الأساس (الطالب) هي منشغلة أيضاً بأمور تكميلية تحول دون عمق الدخول في تفاصيل أداء المعلم ومن ثَمَّ الطلاب والاكتفاء بتقارير المشرف طالما أن الأمور تسير على ما يرام ولا مشاكل ظاهرة تُذْكر. وبناءً على ذلك يبقى الجميع منشغلاً بما أوكل إليه ويتحرك ضمن موقعه خطوة لأعلى أو خطوة لأدنى ضمن التسلسل الهرمي.

وهنا تظهر أهمية تفرُّغ من يجمع المستويات كلها ويدرس الاحتياجات الآنية والمستقبلية لكل مستوىً ضمن ترابط وتنسيق وعمق في الدراسة والطرح، وهو الدور المطلوب من مركز البحث أو مركز الدراسات أو مركز المتابعة والتطوير.

## أهم القضايا التي يمكن أن يتبناها المركز:

ضمن التسلسل السابق ذكره للعمل داخل حلقات تحفيظ القرآن الكريم تبرز عدة قضايا وأمور بحاجة إلى الدراسة المركَّزة والتحليل العميق، في حين أنها لا تندرج بوضوح تحت اختصاص أيٍّ من المستويات المشكِّلة لهيكل العملية التعليمية؛ وبناءً على ذلك تبقى معلقة لزمن طويل يراها المتابعون ويعلمون عظيم أثرها ويقفون مكتوفي الأيدي أمامها؛ ليس لصعوبتها بل لنقصٍ، وربما لعدم وجود توجيه بحلِّها في ظل الانشغال العام.

وليس القصد في هذه الفِقْرة من هذا المقال سَرْد جميع القضايا التي يمكن أن يتبناها مركز الأبحاث والدراسات وإنما الدلالة على بعضها؛ لتقريب الصورة والإشعار بأهمية هذه المراكز.

ومن هذه القضايا التي تحتاج إلى متفرِّغ لدراستها ومتابعتها وبحثها وطرح الحلول بشأنها ما يلي:

### أولاً: في ما يخص إدارة الحلقات:

تحتاج الإدارة المباشرة للحلقات إلى ضبط المواضيع التالية:

- رؤية شاملة عن حلقاتها والمعلمين فيها ومستوياتهم بدقة ضمن معايير تقييم واضحة وصريحة.
- رصدٌ لتاريخ الجمعية وأهم الدروس المستفادة من تجارب الماضي في النواحي الإدارية للحلقات؛ سواء من حيث التعامل الداخلي مع المعلمين والمشرفين والإداريين أو من حيث التعاملُ الخارجي مع الجمعيات الأخرى أو القطاعات الأخرى من حكومية وغيرها.
- رصد خبرة الجمعية الحالية وتوثيقها وتهيئتها؛ لتكون جاهزة للتقديم بالشكل المناسب عند طلبها من الآخرين للاستفادة منها، فضلاً عن المشاركة بها وطرحها في قنوات البحث المختلفة.
- التنسيق بين الأقسام الإدارية المختلفة بما يخدم مصلحة العمل دون حدوث تناقضات أو إهدار للجهود.
- النظر في العلاقة المشترَكة

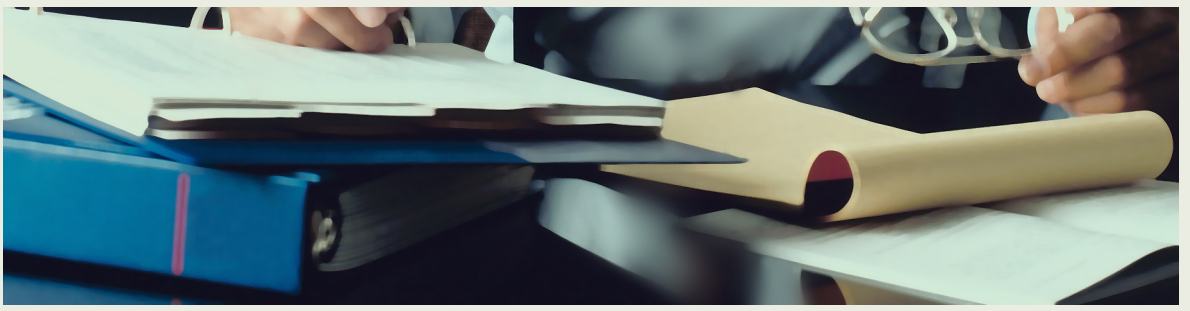

بين الإدارة والمعلم والمشرف والطالب وأهم ما يمكن أن يكون قد اعتراها من عوارض، وسبل تقويمها وتقويتها.

إضافة إلى أمور أخرى متعلقة بإدارة الحلقات تحتاج إلى البحث والدراسة والمتابعة والتطوير.

**ثانياً: في ما يخص المشرفين:**

لعل المشرفين المرتبطين بشكل مباشر بالحلقات في أماكنها - سواء في النواحي الإدارية أو التعليمية - هم أحد أهم الأعضاء العاملين في المراكز البحثية؛ إذ وجودهم في منطقة وسطية ضمن الهيكل التسلسلي للعمل يجعل من المناسب أن يكونوا هم حلقة الوصل بين مختلف الأفرع، إضافة إلى أن طبيعة عمل المشرف أو الموجِّه تجمع بين العمل المكتبي والميداني مما يتيح له تصوُّراً أشمل ونظرة أعمق لسير العمل؛ وبناءً عليه استيعاب مَواطِن الضعف والقوة.

وبالرغم من أن المشرف مرشح لأن أن يكون أحد أهم العاملين في المركز البحثي؛ إلا أن مجال الإشراف بحاجة إلى أن تُولِيه مراكز الأبحاث عناية من قبيل:

- توفير قواعد معلومات كاملة عن الحلقات والمعلمين؛ ليستند إليها المشرف عند الزيارة والتقييم.
- وضع الأسس والمعايير لاختيار المشرفين.
- تطوير أداء المشرفين من خلال تنظيم وتنسيق الدورات الشرعية والعلمية والإدارية، ومن خلال تنظيم زيارات للجمعيات الأخرى.

**ثالثاً: في ما يخص المعلم:**

الحديث عن المعلم يطول، بل إن القول بأن المعلم هو أساس العملية التعليمية ليس بالبعيد، والواقع يشهد بذلك، فكم من حلقة كانت متدنية المستوى؛ ضعيفة الإنتاج، سارت بذلك على مدى سنوات طويلة؛ وما إن يتغير معلمها حتى يتغير حالها، وبالعكس.

والمنتظَر من مراكز الأبحاث أن توفِّر دراسات ومعلومات متعلقة بالمعلمين تتناول العديد من الجوانب، منها:

- إصدار الكتاب الإرشادي للمعلم المتضمن طريقة البدء بالحلقة الجديدة، وطريقة التسميع للطالب والمراجعة، والتعامل مع المشاغبين والنجباء، والتعامل مع توجيهات وتعميمات الإدارة، وما إلى ذلك من أمور تتعلق بعمل المعلم، دفع للتقصير فيها عدم تخصُّص كثير من المعلمين مع ضعف الخبرة في هذا المجال، إضافة على أن الجمعيات تلجأ أحياناً إلى تعيين معلمين قليلي الكفاءة والحفظ؛ لسد نقصٍ أو تلبية طلب لا سيما في المناطق النائية، فلا أقل من تزويدهم بالكتاب الإرشادي لسد بعض النقص.
- إعداد دورات تأهيل للمعلمين، سواء من كان منهم على رأس العمل أو من يُعَدُّون لهذا الغرض، مع ما تتطلبه هذه الدورة من مناهج ومحاور تُناقِض صُلْب العملية التعليمية بعيداً عن الحشو الأكاديمي الممل.
- وَضْع آلية لتقييم المعلمين وتكريم المتميزين منهم ومساعدة المتعثر.
- دراسة ووضع حلول لمشاكل المعلمين المختلفة من قبيل: ضعف المادة العلمية (الحفظ، والتجويد)، ضعف الشخصية، ضعف اللغة (التفاهم مع الطلاب لغير العرب)، طُرُق التعامل مع الآخرين (معلمين، طلاب، مشرفين، إمام المسجد وجماعته، أولياء أمور الطلاب)، التجديد والابتكار في أساليب التدريس وتحفيز الطلاب... وغيرها.

**رابعاً: في ما يخص الطالب:**

الطلاب هم أساس العملية التعليمية، وتكاد المشاكل التي يكون الطلاب طَرَفاً فيها تتكرر في كل جمعية، بل في كل حلقة مع نقص الحلول التي تتناولها بجدية وعمقٍ وطول نَفَس؛ وهنا يبرز دور مراكز الأبحاث؛ لجَمْع وتصنيف هذه الأمور ومن ثَمَّ مناقشتها بالطرُق المختلفة للوصول إلى الحلول ومتابعتها، ومن هذه المشاكل:

- ضعف الحفظ والمراجعة.
- طول زمن المكث في الحلقة دون التقدم بالحفظ.
- الملل والتردد الذي يولِّد كثرة الغياب والانقطاع.
- تسرُّب الطلاب الكبار وانقطاعهم؛ حتى غدا معظم الحلقات لا يشغلها إلا الصغار.
- تقديم الدراسة النظامية على الدراسة في الحلقة؛ واستسهال الغياب عنها لأي طارئ.

وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى من يوليها العناية والاهتمام.

وبعد استعراض أهم الجوانب التي يمكن أن تتولاها مركز الأبحاث يتبين لنا مدى أهمية هذا المشروع في دفع مؤسساتنا الدعوية نحو الرقي والتقدم.

نسأل المولى - عز وجل - أن يوفقنا لخدمة دينه ونصرة شريعته.

# دعوة لزيارة جناح دار اليسر

## في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٠م

(١) بسراى ٤

(٢) بجناح مجلة البيان بالعرض المكشوف

خصم يصل إلى ٥٠ % وهدية لكل زائر

تأصيل.. وتواصل

مطلوب وكلاء في جميع دول العالم

٢٠ ش عبد العزيز عيسى، الحي الثامن

مدينة نصر، القاهرة.

ت: ٠٠٢ ٠٢ ٢٤٧٠٩٢٦٩

ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١

جوال: ٠٠٢ ٠١٦٢٢٧٦٢٠٨

Email: alyousr@gmail.com

# شيخ العسل

شيخ العسل ®

## عسل سدر بلدي أو حضرمي

عسل أبيض - عسل أطفال - غذاء ملكات

حبوب لقاح - خلطة المعاريس - خلايا وأدوات النحل

- عضو إتحاد النحالين العرب
- عضو الجمعية السعودية لعلوم الغذاء والتغذية
- عضو الجمعية السعودية لمكافحة السرطان

نفخر بأننا محل العسل الوحيد في مستشفى حكومي وتحت إشرافة

مائة ألف ريال لمن يثبت أنه غير طبيعي

❖ قبل شرائك اطلب شهادة المختبر

❖ إدارة سعودية ١٠٠ ٪ ❖ التوصيل مجاناً

المركز الرئيسي:

الرياض - الروضة - شارع أبي سعيد الخدري ((الكهرباء))

الفرع (٢) في مستشفى الملك فهد للحرس الوطني - علماً الفرع تحت إشراف الطب الوقائي في المستشفى فرع (٣) السويدي تقاطع شارع عائشة بنت أبي بكر مع السويدي العام

الفرع (٤) الدرعية في أسواق العثيم

جوال: ٠٥٠٥١٧١٧٩٥

www.almqal.com

# عن البهائية والبهائيين

هشام بنشاوي

لأن الأمر كان أشبه بصدمة، أن تكتشف أنهم حاضرون في مصر الأدب والعلم والفن، وكنت أعتقد أن الأمر مقتصر على شيعة بلاد فارس، بل إنهم يُضفون على (خزعبلاتهم) صفة الدين؛ لذلك كان لا بد من المخاطرة وإعلان الرغبة في اعتناق «الدين» البهائي، مع تحفُّظي الشديد على ما بين المزدوجتين. ولكن الغريب أن ينزلق الكاتب: (علاء الأسواني)، ويكتب في مقالة له عن البهائية واصفاً إياها بأنها: «ديانة مستقلة، والبهائيون ليسوا مرتدّين عن الإسلام لسبب بسيط، هو: أنهم لم يكونوا مسلمين في يوم من الأيام، والديانة البهائية موجودة في مصر منذ عام ١٨٦٤ وقد اعترفت الدولة المصرية بحقوق المصريين البهائيين من البداية؛ ففي عام ١٩٣٤ وافقت الحكومة المصرية على إنشاء المحفل البهائي وتم تسجيله في المحاكم المختلطة، وفي عام ١٩٤٠ وافقت الحكومة المصرية على إنشاء المعبد البهائي، وفي عام ١٩٥٣ أمر الرئيس محمد نجيب بتخصيص قطعة من أراضي الدولة؛ لتكون مقابر للبهائيين وَفْقاً لمعتقداتهم الدينية... وظلت الديانة البهائية تسجَّل رسمياً في البطاقة حتى ثارت هذه المشكلة الأخيرة».

وبعيداً عن علاء الأسواني ومشاكل البهائيين، وحتى لا أُتهم بأنني أروِّج لهذا المذهب؛ وحسب فتوى الشيخ (مشهور حسن آل سلمان)، فإن: «البهائية فرقة مرتدَّة ضالة كافرة، من انتسب إليها خرج من الإسلام، وليس له نصيب فيه، ولا يجوز الصلاة عليه، ولا يورَّث ولا يرث ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

نشأت البهائية في إيران سنة (١٢٦٠هـ، ١٨٤٤م)؛ فقد دعمها الاستعمار البريطاني وكانت من ورائها اليهودية ولا زالت؛ ولذا فإن هذه الفرقة تقوى في ديار المسلمين ولها وجود قوي في العراق، وفي كثير من البلدان، والآن لها وجود قوي في فلسطين.

أسس هذه الفرقة الضالة رجل يسمى: علي محمد رضا الشيرازي، وأعلن عن نفسه أنه (الباب)، ولما مات قام بالأمر مِنْ بعده الميرزا حسين علي الملقَّب بـ: (البهاء)، وسمي أتباعه بـ: (البهائيين) نسبة إليه، وله كتاب اسمه: (الكتاب الأقدس)، وتوفي البهاء سنة ١٨٩٢م.

وهناك شخصيات لها أثر في ديانتهم، من أهمِّها امرأة بغيٌّ تسمى: قرَّة العين، انفصلت عن زوجها وفرَّت منه تبحث عن المتعة، وعقدت مؤتمراً، أعلنت فيه أن شريعة البهاء نسخت الإسلام.

ويعتقد البهائيون أن الباب، هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي صدرت عنه جميع الأشياء، ويقولون: إنه حلَّ واتحد وذاب جسمه في جميع المخلوقات، ويقولون: إن من مات على صلاح - بمعاييرهم ومقاييسهم - فإن روحه تنتقل إلى شيء مشرِّف، ومن مات على فساد فإن روحه تنتقل إلى الخنازير والكلاب وما شابه ذلك. وهذا ما يسمى بتناسخ الأرواح أو التقمُّص.

والبهائية يقدِّسون رقم: (١٩). والمعجزة: (١٩) في القرآن؛ تلك التي قرأناها في بعض الكتب يقف وراءها البهائية، وعندهم السنة تسعة عشر شهراً، والشهر تسعة عشر يوماً.

ويقولون بنبوة بوذا، وكونفوشيوس، وزرادشت، وأمثالهم من حكماء الصين والهند والفرس، ويوافقون اليهود بقولهم: إن المسيح قد صُلِب، وينكرون معجزات الأنبياء جميعاً، وينكرون حقيقة الملائكة، وحقيقة الجن، وينكرون الجنة والنار، ويرون أن النعيم والعذاب، إنما يكون بتناسخ الأرواح فحسب، ويعتقدون أن القيامة إنما تكون فقط بظهور البهاء، وقِبْلَتهم البيت الذي وُلِد فيه الباب، بشيراز في إيران.

ويحرِّمون على المرأة الحجاب، ويحللون لها المتعة، وعندهم: أن المرأة مشاع لكل الناس؛ فلا يوجد للمرأة حرمة عندهم.

وعندهم أيضاً كُتُب يعارضون فيها القرآن الكريم، وينكرون أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين، ويرون استمرار الوحي وأنه لم ينقطع، ويوجدون بكثرة في إيران، ولهم وجود في سورية، والعراق، ولبنان، وفلسطين، ولهم وجود في هذه الديار، ولهم مدارس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالبهائية قوم كفار يَحْرُم علينا أن نعاملهم معاملة المسلمين ولا يرثهم مسلم ولا يرثون مسلماً ولا نغسِّلهم ولا نكفِّنهم ولا ندفنهم في مقابر المسلمين؛ لأنهم مرتدون خارجون عن الملة، وبهذا يفتي جميع علماء المسلمين، والله أعلم».

راسلتهم معرباً عن رغبتي في أن أصير واحداً منهم، باسم وبريد إلكتروني مستعارَين، طبعاً، فكان ردُّهم التالي:

(السيد المحترم (...)! تحية طيبة، وشكراً على رسالتك وسؤالك، ومرحباً بك، ويسعدني الرد على سؤالك.

في رسالتك تذكر رغبتك في أن تكون بهائياً؛ فأرحِّب بك في هذا الطريق؛ ولأنني لا أعلم مدى دراستك للدين البهائي، فأرجو أولاً: تستطير ما هو الدين البهائي وتعاليمه؟ وثانياً: ما هو البهائي. ثم تابعوا القول:

**أولاً: ما هو الدين البهائي؟**

«الدين البهائي هو أحد الأديان السماوية»، ويشترك معها - أساساً - في الدعوة إلى التوحيد، ولكنه دين مستقل له كُتُبه المقدسة وعباداته وأحكامه: كالصلاة والصوم... وغيرها، ولقد دعا إليه ميرزا حسين علي النوري، الملقب بـ: بهاء الله.

يختلف مدى انتشار الدين البهائي في العالم باختلاف المجتمعات وأنظمتها. ولكن ما يتميز به هو القبول العام لمبادئه وتعاليمه؛ فالملايين التي تؤمن به اليوم تمثل مختلف الأجناس، والأعراق، والثقافات، والطبقات، والخلفيات الدينية. ومنهم تتألَّف جامعة عالمية موحَّدة؛ تحظى باحترام وافر في المجالس الدولية، وتشترك، بوصفها منظمة عالمية غير حكومية، في نشاطات هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، وخصوصاً في ما يتعلق بالتعليم وحماية البيئة ورعاية الأم والطفل وحقوق المرأة والإنسان وغيرها؛ مما يخدم البشرية.

تتميز تعاليم الدين البهائي بالبساطة والوضوح،

وتركِّـــز على الجوهـــر، وتبتعد عن الشـــكليات، وتحث على تحرِّي الحقيقة، وتـنادي بِنَبْـــذ التقليد والأوهام، وتهتم بنقاء الوجدان، وتـنشد السعادة الحقَّة في السمو الروحاني، وتؤكِّد أبديَّة الروح الإنســـانية، وتبشِّر باستمرار تتابع الأديان، وتعلن أنَّ الدين هو ســـبب انتظام العالم واستقرار المجتمع، وتَـنْشُد الحرية فـــي الامتثال لأحكام الله، وتشـــترط أن تكون أقوال الإنســـان وأعماله مصداقاً لعقيدته ومرآة لإيمانه، وترفع إلى مقام العبادة كل عمل يؤدِّيه الفرد بروح البذل والخدمة، وتعتبر الفضـــل في الخدمة والكمال لا في حب الزينة والمال، وتدعو للصلح والصلاح، وتـنادي بنزع السلاح، وتروم تأسيس الوحدة والسلام بين الأمم، وترى أنه: إن كان حب الوطن من الإيمان، فمن الأَوْلَى أن يكون كذلك حب العالم وخدمة الإنسان.

لا وجـــود في الدين البهائي لكهنـــة، ولا رهبان، ولا رجال دين، ولا قديســـين، ولا أولياء. والعبادة فيه خالية من الطقوس والمراســـيم، وتؤدَّى صلاته على انفراد، وتميل أحكامه لتهذيب النفس أكثر منها للعقاب. وتجعل أساس الطاعة حبَّ الله.

ويعترف الدين البهائي بأن الأديان الســـماوية واحدة في أصلها، متحدة في أهدافها، متكاملة في وظائفها، متصلة في مقاصدهـــا، جاءت جميعاً بالهدى لبني الإنســـان. ولا يخالف في جوهره المبادئ الروحانية الخالدة التي أُنزلت على الأنبياء والرسل الســـابقين؛ وإنما تباينت عنها قوانينه وأحكامه وَفْقاً لمقتضيـــات العصر ومتطلبات الحضـــارة، وأتت بما يدعم روح الحياة فـــي هياكل الأديان، وهيَّأت ما يزيل أســـباب الخلاف والشـــقاق، وأتت بما يقضـــي على بواعـــث الحـــروب، وأظهرت مـــا يوفِّق بين العلم والدِّين، وســـاوت حقوق الرجال والنســـاء توطيداً لأركان المجتمع.

هذا بعض ما يقدِّمه الدين البهائي لإنقاذ عالم مضطرب وحماية إنســـانية محاطةٍ بخطر الفناء ما لم يتجدَّد تفكيرها وتتطوَّر أساليبها؛ لتتماشـــى مع احتياجات عصر جديد. إنَّ مبادئ وأحكام الدين البهائي التي أعلن حضرة بهاء الله أنَّها السبب الأعظم لنجاة البشر واتحاد العالم، قد أثبتت قدرتها علـــى تحقيق غاياتها في المجتمعـــات البهائية؛ فقد أدَّت إلى تطوير أفكار الناس، وتقويم سلوك الملايين من أتباعه وألَّفت منهم - مع تباين أعراقهم، وثقافاتهـــم، وبيئاتهم، ومكاناتهم الاجتماعية، وثرواتهم، وسابق معتقداتهم - جامعـــة إنســـانية لا شـــرقية ولا غربية متَّحدة في مُثُلهـــا ودوافعها وأهدافها، دائبة السعي لرعاية مصالح الإنســـانية جمعاء، بِغَضِّ النَّظر عن اختلاف الدين والرأي والتفكير.

**ثانياً: ما هو البهائي؟**

البهائـــي هو من يتبع (بهاء الله) وتعاليمه المناســـبة لهذا العصر الجديـــد. واتباع الدين البهائي يتطلَّب البحث وتحري الحقيقة ثم الاقتناع والإيمان.

إن الإيمان يشـــعر الإنســـان به في قلبه وروحه ووجدانه في أي مرحلة في البحث. ويســـعدني أن أراسلك؛ إذا رغبت الحصـــول على معلومات أكثر عـــن الدين البهائي في طريق البحث والتحرِّي عن حقيقـــة الدين البهائي، ويمكنني ترتيب أن تقابل شـــخصاً بهائياً بالمغـــرب؛ إذا رغبت، ولكن هذا قد يستغرق بعض الوقت.

أن يكون الشـــخص بهائياً كما ذكرت سابقاً، فهذه مسألة إيمان؛ أي شخص يؤمن بحضرة (بهاء الله) وبأنه رسول هذا العصـــر ويطبِّـــق التعاليـــم الإلهيـــة المنزلة على حضرته في حياتـــه اليومية، فهـو يعتبر بهائيـــاً. ولا توجد طقوس معينة في هذا الشأن.

إن الديـــن هو قناعـــة وجدانية للعبد المتَّجـــه لربه. لـمَّا سُـــئل حضرة عبد البهـــاء (ابن حضـــرة بهاء اللـــه والمبيِّن لتعاليمه) في إحدى المناسبات: ما هو البهائي؟

أجاب: (لكي تكون بهائيـــاً يلزمك أن تحب العالم وتحب الإنســـانية وأن تجتهد في خدمتها وأن تعمل للسلام والأخوة العامة). وفي مناســـبة أخرى عرَّف البهائيَّ بأنه: (الشخص المتحلي بالكمالات الإنسانية في الحياة العملية).

يوجِّـــه حضرة بهـــاء الله أتباعه للتعمق بدراســـة الآثار الكتابية المقدســـة، مثل: كتاب الإيقـــان، والكلمات المكنونة، وآيـــات وألواح أخرى؛ حتـــى يطَّلعوا على مـــا فيها من لآلئ الحكمة والأســـرار، ويؤكد حضرته أيضاً على ضرورة تلاوة آيات الله فـــي كـــل صباح ومســـاء؛ لِمَـــا في ذلك من غذاء لروح الإنســـان وهداية له. كما يتوجب على البهائي أن يؤدي الصلاة يومياً.

وفي الختام أرحِّب بك وبأي سؤال أو استفسار أو إرشاد في طريقك لاعتناق الدين البهائي).

(ن. إ).

وكانت رســـالتي الثانية رسالة شُكْر على التوضيح؛ مع أن مثل هذه الخرافات لا تعنيني في أي شيء؛ لأن الأمر بالنسبة لي، هو التأكُّد من معرفة وجود بهائيين في المغرب، وقد كاتبته بعد أيام قلائل من حملة محاربة التشيع في المغرب. وبعد أن صارحني بإمكانية تعريفي إلى بهائيين مغاربة، وسألته إن كان قبطياً؛ لأن اسمه كان مثل أقباط مصر، وهل سبق له أن كان

مسلماً أو قبطياً؟ وبنوع من السخرية لا غير سألته: ألا ترون أن دينكم سيكون أروع لو أنكم لا تقدِّسون هذا المدعو: (بهاء الله)، لا سيما أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء والرسل إلى العالمين، وقد كثر من يدَّعون النبوة في هذا العصر المجنون؟ أليس هناك شِرْك حين تكفرون بموسى وعيسى ومحمد، عليهم السلام أجمعين؟ واسمح لي أن أعتبر كتابكم الأقدس نسخة مشوهة ومضحكة أيضاً عن القرآن الكريم، الذي تكفَّل الله - عز وجل - بحمايته بعكس التوراة والإنجيل؟

ثم ما قولكم في من أعدمتهم إيران في القرن التاسع عشر، وقد كانا أباً وابنه يدعوان إلى تعاليم دينكم؟ وما علاقتكم بالشيعة؟ وكيف تنظرون إليهم؟.

أرجو أن أجد أجوبة لكل استفساراتي، ولا سيما أن دينكم هذا يزعم أنه يشجِّع على البحث عن الحقيقة، وهل يمكنني أن أصير بهائياً في بلد كالمغرب؟ وهل ثمَّة حماية من عواقب الكفر بعد أن أصير بهائياً؟

وسأكون سعيداً لو أمكنني الالتقاء بأي شخص بالمغرب.

فكان ردُّه التالي:

(السيد (...)! أنا ولدت في عائلة بهائية، ولكن ليس هذا بالأمر المهم. رسالتك تحتوي على تشويهات كثيرة؛ فأرجو أن تتحرى حقيقة الدين البهائي من مصادر بهائية، كما يكون - مثلاً - الدفاع عن الدين الإسلامي في البلاد الغربية من مصادر إسلامية، وليست من مصادر تعادي الإسلام وتشوِّهه.

البهائيون يعبدون الله وحده ويقدِّسون كلماته في جميع الكتب المقدسة.

البهائيون يؤمنون بأن سيدنا محمد هو آخر النبيين كما نص القرآن الكريم، ولكن لا يؤمنون بشرح بعض العلماء بأنه آخر المرسلين، وهذا الشرح غير موجود في القرآن الكريم. لكل شخص الحق في القيام بالبحث وتحرِّي الحقيقة لنفسه؛ فأتباع سيدنا موسى ما زالوا ينتظرون ظهور المسيح وأتباع سيدنا عيسى لم يؤمنوا بالإسلام، والغالبية من المسلمين رفضوا دعوة حضرة بهاء الله؛ فَلِمَ وصف الناس الرسل من قبل بالجنون؟ لك ما تقوله عن كتب حضرة بهاء الله، لكن تبيَّن ما ورد في القرآن الكريم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] انتهى.

البهائيون يؤمنون بالرسل: موسى وعيسى ومحمد ولا يكفرون بهم، بل يعتبر الكفر بهم هو كفر بالله وبرسول هذا الزمان (بهاء الله).

البهائية دين مستقل وليس لها علاقة بالشيعة إلا في التاريخ البهائي الذي بدأ في إيران، والتي تنتمي الغالبية من مواطنيها إلى المذهب الشيعي في الإسلام. الإيمان والكفر هو ما يحكم به علينا الله - عز وجل - فقط؛ وليس لأي شخص أن يحكم على الآخر بالكفر: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. والله هو الحاكم الرحمن.

إن عواقب الكفر والإيمان، هي عواقب لكل شخص حسب اختياراته وتصرُّفاته وأعماله، والله يحكم بين البشر. هيئات حقوق الإنسان تطالب بحماية حرية العقيدة في جميع الدول. ولا حماية توجد إلا حماية الله، عز وجل. وحماية الله الأبدية هي أسمى أنواع الحماية.

البهائيون يتقبَّلون التبرعات من أشخاص بهائيين فقط، ولا يتقبَّلون أية أموال من أية جهات أوأشخاص غير بهائيين).

وعن نبي هذا الزمان المزعوم: (بهاء الله)، سألته: هل صحيح أنه يظهر كل ألف سنة نبي بهائي؟ وهذا معناه أن فكرة النبوة، يمكن أن يدَّعيها أي شخص أو أشخاص حين يجيء موعد ظهور بهاء الله. الأمر يبدو محيِّراً: أليس كذلك؟

فأجاب: (وَضَح أن حضرة (بهاء الله) صاحب رسالة، وما قاله حضرة (بهاء الله): إنه لن تكون هناك رسالة أخرى قبل ألف سنة. أما الزواج، فليس محدوداً بين البهائيين، ولكن الأسئلة المهمة التي تتردد على أذهان الكثيرين، مثل: هل شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يرسل رسولاً، هو: (حضرة بهاء الله) في زمننا هذا؟ وماذا وعدنا الله في كتبه المقدسة؟ هل العالم بحاجة إلى بعث روحاني جديد؟

ستجد كتاب (الإيقان) المرفق مساعداً في معالجة هذه الأسئلة وفيه بيِّنة ما في الصحف الأولى. وعليك السلام). انتهى.

للتوضيح: الكتاب المرفق - عبارة عن نسخة إلكترونية - مترجَمة عن الفارسية، صدر في البرازيل عن (دار النشر البهائية)، لكن سرعان ما رميته في سلة المهملات الخاصة بالجهاز، وبقي السؤال الوحيد الذي تعمَّد ذلك السيد تَجَاهُل الرد عليه متعمِّداً (ربما لدواع أمنية)، هو: هل يوجد بهائيون في المغرب؟ وقد بعثت إليه رسالة إلكترونية، أُلمِّح له فيها أنه تعمَّد تجاهُل الرد بخصوص بهائيي المغرب؛ ففي الأمر نوع من التكتم أو الشك أو الخوف، وصارحته بأن هذا دليل على أن عقيدتهم لا تعيش في النور. وطال الانتظار، ولم أتلقَّ منه أي رد.

# التَّنْوير... مَقْبولٌ أم مَرفوض؟

عبد العزيز بن صالح العسكر(*)

كثر في الآونة الأخيرة ترديد مصطلح (التنوير)؛ وأكثر ما يردده بعض الكتَّاب حينما يتحدثون عن (التجديد) و(التطوير)، وتنشر الصحف من ذلك كمّاً هائلاً من المقالات والتحقيقات.

وتعليقاً على ما قرأت في ذلك أقول:

لكل مصطلَح في اللغة العربية معنىً جميل مشرق تألفه النفس ويرضاه العقل وَيُقرُّه الدِّين، (إذا كان متعلقاً بأمر شرعي)؛ فالتجديد أمر مطلوب ولا زال الناس على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم العلمية يُلِحُّون في طلبه والبحث عنه. والجديد له لذَّة وقَبول كبير، ولكنَّ العقلاء لا يمكن أن يقبلوا جديداً يُفقدهم غالياً على نفوسهم؛ فليس حُبَّ الولد (وهو جديد) ماحياً وملغياً حُبَّ الأب والأم، وليس حُبُّ الحاسب الآلي وهو عِلْم جديد مُلغياً أو مُنْسياً علوم القرآن والسُّنة، وليس حُبُّ ما جَدَّ من المآكل والمشارب ملغياً حُبَّ اللبن والتمر، وهما قديمان.

ثم إن مصطلح التطوير في أساسه غير مرفوض؛ إلا إذا صادم أو عارض حقيقة شرعية، أو حقائق علمية متَّفَق عليها.

أما التنوير فقد خرج علينا دعاته بمطالب غريبة وعجيبة، وكانت (صيحاتهم) تؤكد على أنَّ (التنوير) بديل لما يسمونه: (الموروث). ويدخل في ذلك الموروث: بعض أحكام الفقه والمعاملات والأخلاق والشيم؛

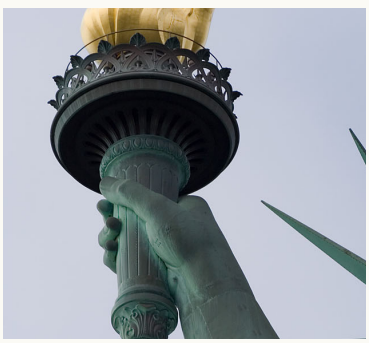

فيرون أن من التنوير التنازل عن بعض الأمور و (أَخْذَ) ما جدَّ عن الآخرين بدلاً منها، والغرض من ذلك كما يقولون: مسايرة الركب، ولا أدري أيَّ ركب يريدون؟

يقول أحد الكتاب: (التناقض بين القوالب الفكرية الموروثة وبين واقع الحياة العصرية يقود - حتماً - إلى حالة من اثنتين: إما إنكار المنجَز الحضاري الحديث بحكم أنه مناقض للموروث الفكري، وتكون نتيجته التوقُّف عن مسايرة الركب بما يعنيه ذلك من تخلُّف وجمود... أو الخروج على الموروث بما يترتب على ذلك من تمرُّد على المجتمع الذي تدين له بفضل التربية، وخروج على فكر أهلك وعشيرتك التي لن تلبث أن تنعتك بأقذع صفات التمرد والجنوح، وربما الكفر).

إن الأخ الكاتب هنا يرى أن من يريد ( مسايرة الركب) لا بد أن يتمرد على المجتمع ويخالف ما عليه الأهل

(*) عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.

والعشـــيرة، وتكون النتيجة: صراعاً مريـــراً تُفقَد فيه الثقة ويطـــول الخلاف. ومن أراد توقِّي مثل هـــذه النتيجة وُصِف بالتخلف والجمود! ولكن أليس من سبيل إلى نتيجة أفضل من هذه وتلك؟ أوَليس خالقنا - سبحانه وتعالى - قد أخبرنا في القـــرآن الكريم بما يضمن لنا تجديداً آمناً وتطويراً صحيحاً و (تنويراً) صالحاً. قال - تعالى -: ﴿قُـلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْـرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَـاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعـراف: ٣٢]؛ فكل جديد لا يخالف ديننا وأخلاقنا فهو مقبول وســـتكون نتيجة الأخذ به آمنة مقبولة لدى كل المســـلمين على اختلاف مســـتوياتهم العلمية وغيرها، ولكن الذي يُرفَضُ، والذي يثير المشـــكلات ويُشِيع الفرقة، هو ما كان بديلاً لفضيلـة أو داعياً إلى رذيلـة أو مزهِّداً في معروف. والسؤال الذي لن يُختلَف على جوابه، هو: هل مـــن التنوير أن يصبح الحرام حـــلالاً بحجة مرور الســـنين و (تطوُّر) العالم و (المتغيـــرات الدولية)؟ وهل من التنوير أن يصبح المكروه مســـنوناً بالحجة نفسها؟ وهل من التنوير أن تصبح الرذيلة والطرُق الموصلة إليها عُرفاً ومزاجاً حراً وحرية شخصية؟ هل من التنوير أن نقبل ذلك على حد قول الشاعر عن شهر رمضان وشرب الخمر:

رمـــضـــان وَلَّـــى هـــاتِـــهـــا يـــا سَـــاقِـــي
مُـشـتـاقـةً تسعى إلـى مُـشـتـاقِ

ومن الطريـــف أن يتمنى بعض الكتَّـــاب أو يؤمِّل أن يأتي علماء ينعتهم بـ: (التنويريين) وتكون مهمة أولئك العلماء النظر في بعض ما يسمى: (التراث) ومراجعة (ما كان عليه السابقون) والوصول إلى فتاوى وقرارات تتماشى مع الركب وتسايره.

ومن أعجب مـــا قرأت في هذا ما قاله أحد الكتَّاب من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يقرر الفتاوى والآراء الفقهية والعقدية التي تناســـب عصره فقط، من غير أن يضرب الكاتب لذلك مثالاً! وهذه مشكلة يعاني منها بعض حَمَلة الأقلام وروَّاد الصحافة في عصرنا؛ فالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده من بَعدِه وعلماء السُّنة السابقون - رحمهم الله - كانوا ينطلقون من كتاب الله وســـنَّة رسوله ﷺ. وقضايا العقيدة وأحكام الفقه وقواعد التفسير التي قرروها ليست من آرائهم الشخصية، ولم يقرروها لعصرهم وحده، ولم تكـــن علاجاً لأحوال فردية، ولم يكن عندهم ما يســـميه كتَّابنا: (الانغـــلاق) و (الجمود)، وإنما أخذوا في (المباحات) بما جدَّ في عصورهم من علوم وصناعات مختلفة، وتعاملوا مع غير المسلمين بما يقتضيه الشرع. وكان في عصورهم منكرات ومخالفات ناصحوا أهلها وأنكروا عليهـــم، ولم يكن هناك حل (وسط) معهم.

وجاءت السُّـــنة بأخبار وأقوال تؤكد قِدم دعوات الفتنة وضغوط (حضارة الآخر)، ومع ذلك بقيت أحكام المســـلمين وســـعد بها الناس وبَنَـــوا (حضارتهم)، ومـــا عاقهم جمود وتخلُّف. وخذ على ذلك أمثلة مختصرة:

١ - جـــاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال له: يا رســـول الله! أَبِـــح لي الزنا. فكان ردُّ النبي عليه حكيماً لطيفاً هادئاً؛ قال له: هـــل ترضاه لأمك... لأختك... لبنتك...؟ ثم قال: كذلك الناس لا يرضونه، فهدى اللـــه ذلك الرجل حتى قال: جئت إليه وليس شـــيءٌ أحب إليَّ من الزنا وذهبت من عنده وليس شيء أبغض إليَّ من الزنا.

٢ - وجد الزنـا والربـا والغـش، فلم يُبِح شـــيئاً من ذلك أو ينظر في حِلِّه.

٣ - تكرر في السُّـــنة النبوية عبـــارة: (خالفوا اليهود)؛ فجاءت في صيام عاشوراء، وفي إعفاء اللحية، وفي غيرهما، ولم يكن هناك سبيل إلى (مسايرة الركب).

وإذا عدنـــا إلى مصطلـــح (التنوير) وجدناه جميلاً مشـــرقاً، ولكنه يكـــون كذلك إذا عالج مشـــكلات مجتمعنا: من فقر وجهل وظُلم وغيرها. جميل إذا نقل التقنية إلى بلادنا واستغنينا بها عن (منَّة) شعوب الشرق والغرب علينا، جميل هو (التنوير) إذا كان فيه استعمال الآلة لنشر العلم وتقوية صِلات الناس وروابطهم، وجميل هو (التنويـــر) إذا اقتضى تخفيف الرتابة التعســـف في الأنظمة وإرهاق الناس بكثرة المراجعات وقَطْع المسافات لأتفه الأمور.

ذلك تنوير نحن بأمس الحاجة إليه وسيرحب به مجتمعنا كله. أما أن يأتي (التَّنوير) ليقول بأن دراسة البنت إلى جانب الشـــاب مقبولة أو بأن تُولَّى المرأة منصبـــاً قيادياً لرجل أو بأن الفوائد الربوية شـــيء مقبول لمســـايرة الركب ومواكبة (العالـــم)... وقل مثل ذلك في متابعة الركب في تحريم تعدد الزوجات، وتزويج المرأة لنفسها، وخلوتها مع الأجنبي، وإلغاء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فذلك تنوير يرفضه المجتمع المسلم كما رفضه نبينا محمد ﷺ وأصحابه من بعده ورفضه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ولم يأت علماؤنـــا اليوم - وفَّقَهم اللـــه - بجديد حينما تأتي فتاواهم وَفْقاً لما تَقَرَّر في شـــريعة الإسلام التي هي خاتمة الرسالات السماوية والتي رضيها لنا ربنا إلى قيام الساعة.

## بُنيتي!

قبل سِـنِّ العامين كانت تداعبني وتصحبني في فِراشـي، وفي خلواتي... أُحضِّر دروسـي فتأخذ القلم مني كلما تركته؛ وكأنها ترى أنها تساعدني وتخفف عني.

أراقب إشارات كتاباتها المعكوسة والمنحرفة والمتعرجة على أوراقي، فأغضب منها فترفض غضبـي بابتعادها قليلاً عني والدموع تترقرق في عينيها، فأضمُّها إلى صدري وأُدرك حالها، فتهدأ فجأة وكأن شيئاً لم يكن. لا تَنْشد إلا اللعب معي والعبث في أوراقي.

أريـد أن أنام ليلاً فتصيح: لا. فأحكي لها قصة فيشـتد انتباهها وأحاول أن أختصر القصة فأراها ناقدة ثاقبة النظر تقول: لا. أكمل القصة.

عندمـا أُصلِّي أجدها تلامس يداها يدي وأنا سـاجد لله رب العالمين وتكلمني ولا رادَّ لجوابها، وتضاحكني فيشـُّق عليَّ ذلك.

أذكـر - يا بنيتي - عندما كنت أُحفِّظك القرآن الكريم آيةً آية، حتى وصلتُ بك إلـى نصف الجزء خلال أيام وأيام، فإذا ما أراد الله للسـانك أن ينطلق سمعته يتلو: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. فلا تسـألي عـن الفرحة التي داخلتني وداخلت أمك بعد ما أنكرت عليَّ ما أفعله من استظهار القرآن في مثل سنِّك. وتحقق أملي بعد لأيٍ ومشقة. وعلمت أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وها أنت يا بنيتي تبلغين مبلغ النساء وحصلت على التعليم العالي بفضل الله، تعالى.

ولكن ما بلغتِ إليه جاء على جسر من التعب؛ فبكل تجعيدة في وجهـي رفع الله لك بها درجةً في العلم ومنزلة في الخلق، وبكل شعرة اشـتعلت شيبةً في رأسـي توقُّدٌ في ذهنكِ وقوةٌ ونشـاط في بدنك، وبكلِّ تقطيبةٍ في جبهتي فرحةٌ في وجهك، وبكل انتكاسـةٍ في بدني تقدُّم في صحتك. وها أنذا سـعيدٌ بذلك لا أمنُّ عليك بشـيءٍ؛ لأنها سُـنة الحياة الدنيا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وفقك الله وأعانك على الطريق

**يس عبد الوهاب نبيه مسعد**

**مدرس لغة عربية**

## الإعـلام المعاصـر بيـن البنـاء والهـدم فـي جرائدنا اليومية

الإعلام الإسـلامي البنَّاء: هـو الذي يقوم على بناء الأمة وبثِّ روح التمسك بالدين وترسيخ العقيدة السـليمة في النفوس ونَبْذ ما يضاد ذلك من أفكار ضالة ومفاهيم تضليلية ودسـائس شيطانية، وغير ذلك من تضليل وإلحاد وزندقة.

لقـد ظهرت فـي صحفنا اليوم - مع الأسـف الشـديد - صور ووسائل شـتى لمحاربة هذا الدين القويم ومبادئه؛ سواءٌ بطريق مباشرة أو غير مباشرة لأناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. وهذه بعض من تلك الصور الهادمة والمسمومة:

أولاً: ظهور صور النساء الكاشفات السافرات وما يسببه ذلك من فِتَن ومنكرات وقَتْل للحياء والحشمة التي هي زينة النسـاء وحفظها من الدنس وانتهاك العرض. وهـذا مخالف للإعلام الإسـلامي الذي يرفض كل تلك التصرفات؛ فأين نحن من قول النبي ﷺ: «العينان تزنيان وزناهما النظر...»[1] الحديث.

ثانيـاً: ما يكتبه بعض الكتاب، في سـعي حثيث للقضـاء على ديننا الحنيف السـمح، اسـتهزاءً به وبقيمه السامية وإبعاداً لكل طريق فيه تمسُّك بالسُّنة المطهَّرة، وإلقاءً للتهم على الأجهزة الشـرعية وحِلَق الذِّكر والعاملين عليها، بل ظهر تواطؤ بعض الصحف في نَشْـر صور من يعفي لحيته ويُكتب أمام صورته دَور المتطرف.

ثالثاً: ما ينشـره بعضهم بمسـمى: قضايا المرأة والدعوة للديمقراطية المزعومة والحرية المشـروعة والانحـلال ووقوع المرأة في سـجن وزنزانة مظلمة، والدعوة والاختلاط والسفور.

رابعاً: كتابـة بعض الكتَّاب المقـالات التي فيها تنقيص وتقليل من قَدْر العلماء الربانيين الراسـخين في العلم الذين رفع الله منزلتهم ومكانتهم؛ فَلِمَ نوجِّه

(١) رواه ابن ماجة.

لهؤلاء الشيوخ العلماء النقد على وجه التقليل من قَدْرهم والسخرية منهم؟ فالناس مراتب ومنازل، ومتفاوتون في ما بينهم؛ فكلٌّ أهل منزلة يخاطَبون حسب منزلتهم. ولقد امتدح الله العلماء وكرَّم الأعلام الذين علَّموا وفهَّموا الناس جميعهم، فقال - عز وجل -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال ﷺ: «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»[1].

أَبَعد هذا تُلقى التهم وتُرمى القذائف تجاه ورثة الأنبياء ومصلحي الدنيا؟

خامساً: اضطراب ميزان الصدق أو تحري الصدق في بعض الأخبار. قال ربنا - جل وعلا -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وفي المقابل فإن من الصور الهادفة والبناءة التي تشاد ما يلي:

- نَشْر العقيدة الإسلامية ومقاصد الشرع، وغَرْس الأخلاق الحميدة في نفوس الآخرين.
- تبيين خطر الفتن على المجتمع المسلم.
- القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
- تقديم الاستشارات، وإبداء الآراء، وطرح النقاشات.
- نَشْر كل ما فيه فائدة علمية أو طبية أو ثقافية أو إعلامية أو تقنية في المجالات أياً كانت تلك الفائدة والمعلومة.

أخيراً: يا رجال الصحافة! يا أيها الكتَّاب! يا أخي! ويا أختي! لكل كاتب ومحرر ورئيس تحرير: اتقوا الله فيما تكتبون وفيما تنشرون.

فبادروا - يا رعاكم الله - بالإصلاح لتَصلُح وتستقيم المطالب الدنيوية والأخروية التي نراقب الله فيها لنكوِّن - إن شاء الله - إعلاماً بنَّاءً شامخاً رفيعاً راقياً.

**أنس بن عبد الله الشبانات**

(١) رواه أحمد.

## سبُّ الصحابة

إن مما شاع وانتشر في هذه الأيام تطاوُلٌ سافِرٌ من أهل الأهواء على الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وذلك تحت مسمى: «النقد التاريخي»، ومسمى: «البحث العلمي»، وثالثة تحت مسمى «حرية الفكر». وأخطر من ذلك (وهو الأقوى نفاذاً إلى قلوب كثير من المسلمين) عَرْض ذلك في قالب الفن من خلال المسلسلات التاريخية، والتي يهدفون من خلالها إلى إظهار وإبراز مآثر المسلمين التاريخية. وهم في باطن الأمر يريدون إسقاط هيبتهم والعبث بتاريخهم وهو الملموس فعلاً؛ فلو سألت أحد المشاهدين عن شيء من ذلك لرأيت العجب العجاب.

إن القَدْح في الصحابة - رضوان الله عليهم - قَدْح في الرسول ﷺ بأبي هو وأمي، والقدح في النبي ﷺ قَدْح في رب العالمين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقَدْح في دينه (الإسلام) الذي ارتضاه للناس أجمعين.

ولهذا فإن سلفنا الأخيار اشتد نكيرهم وعلت أصواتهم جرَّاء هذا التطاول الآثم؛ فهذا الإمام مالك - رحمه الله - الذي لم يسلم هو من هؤلاء المرتزقة يقول في المتطاولين: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء؛ ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين».

قال تعالى -: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن صريح ما جاء في تحريم سبِّهم والقدح فيهم قول الرسول ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». فكيف بمن يبني في قلوب الناس من خلال المشاهدة إساءة الظن بهم واعتقاد النقيصة فيهم؟

وكان الأَوْلَى بهم: تولِّي الصحابة - رضوان الله عليهم - وحبَّهم والترضي عنهم وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم إياها ربهم - تبارك وتعالى - لأن محبتهم واجبة وحبَّهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن. قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغْض الأنصار».

**محمد علي الحكمي**

# الرُّقاة والمجرَّبات

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

لَمَّا أعرض فئام من المسلمين عن سبيل سُنة سيد المرسلين ﷺ، اعتراهم من الضلال والحيرة والشقاء بِقَدْر هذا الإعراض؛ فمستقلٍ ومستكثِر؛ فالإعراض والنكوص عن سبيل المؤمنين، يلازمه الابتداع والانصياع لمكايد الشياطين ونزغاتهم. ولما حُجِب هؤلاء عن شمس الرسالة ونور النبوة، أعقب ذلك أمراضاً روحانية ووساوس شيطانية، وآفات نفسانية؛ فاستحكمت الأهواء والشبهات، وراجت الأوهام والخرافات؛ فأي الفريقين أحق بالأمن والإيمان: الأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم الذين يفتحون الأعين العمي، والآذان الصُّم، والقلوب الغُلف، أم شياطين الإنس والجن الذين يُفسدون السمع والبصر والعقل[1]؟

وإزاء هذا الواقع المكتظ بالأمراض الروحانية، وصَرْع الجنِّ، وتسلُّط الشياطين، ورواج السحر، واستحواذ العين، ظهرت المدافعة لهذه الآفات، والمعالجة لتلك البليَّات؛ فبرز «الرُّقاة» يتطبَّبون ويعالجون هذه الأدواء، وسطَّر العلماء الكتب والفتاوى بشأن الرقية وأحكامها وأحوالها. كما تحدَّثوا عن آفات الرُّقاة، وسُبُل الخلاص منها، وكما قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور»[2].

**بعض رُقاة اليوم قد ارتكبوا مزالق ومآخذ، منها: الظاهر الجلي، ومنها: المشتبه الخفي**

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) انظر: النبوات لابن تيمية: ٢/١٠٤٩ - ١٠٥٣.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي: ١/١٨١.

ومع رقّة الإيمان، وضَعْف الديانة عند الكثير، وغلبة الجهل على طوائف من الرقاة، وما يكتنف النفوس من حبِّ المال والجاه، آلَ الأمر إلى الاشتباه بين الرقاة وبين الدجالين والمشعوذين، بل استحال بعض الرقاة سحرةً وشياطين. ولئن كان الشيطان قد زيَّن الشرك؛ فأظهره في قالب محبة الصالحين كما وقع لقوم نوح - عليه السلام - فإن الشيطان قد لبَّس على أقوام واستدرجهم إلى الشرك تحت ذرائع التطبب الفاسد والرُّقى المحظورة، كما حصل لأهل نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وكما جاء مبيَّناً في تاريخ نجد لابن بشر[1].

والمقصود أن بعض رُقاة اليوم قد ارتكبوا مزالق ومآخذ، منها: الظاهر الجلي، ومنها: المشتبِه الخفي، ونورد في هذه السطور ملحظاً، هو محل اشتباه وإشكال، ألا وهو التعويل على المجرَّبات؛ فلقد أفرط الكثير من الرقاة في المجرَّبات، وفتحوا الباب على مصراعيه، فقيَّدوا ما أطلقه الشرع، وخصَّصوا ما كان عامّاً، وأطلقوا ما كان مقيَّداً؛ فآيات قرآنية حددوها لعلاج الداء الفلاني، وآيات أخرى خصصوها لداء آخر... وهكذا.

كما أثبتوا هيئات معيَّنة، وأعداداً محدَّدة عند الاستشفاء بالقرآن، ودون دليل أو برهان على تلك الهيئات أو الأعداد، وقد يحتجُّون بما ورد عن بعض السلف... مع أن ما ورد عن السلف لو صحَّ عنهم، فهو من موارد الاجتهاد والنزاع التي تُردُّ إلى نصوص الوحيين، وما أطلقه الشارع فلا يسوغ تقييده بلا دليل. يقول ابن تيمية: «شَرْع الله ورسوله ﷺ للعمل بوصف العموم والإطلاق لا يقتضي أن يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقييد، مثال ذلك: أن الله شرع دعاءه وذِكْرَه شَرْعاً مطلقاً، فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ونحو ذلك من النصوص؛ فالاجتماع للدعاء والذكر في مكان معيَّن، أو زمان معيَّن، تقييد للذكر والدعاء، لا تدل عليه الدلالة العامة المطلقة بخصوصه وتُقْييده»[2].

كما قرر الشاطبي هذا المعنى بقوله: «إذا ندب الشرع - مثلاً - إلى ذكر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات، لم يكن في نَدْب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تُفْهم التشريع»[3].

وساق الشاطبي في موطن آخر أمثلة على البدعة الإضافية؛ فكان مما قاله: «ومنه تكرار السورة الواحدة في التلاوة، أو في الركعة الواحدة؛ فإن التلاوة لم تُشْرَع على ذلك الوجه، ولا أن يَخُصَّ من القرآن شيئاً دون شيء، لا في صلاة، ولا في غيرها، فصار المخصِّص لها عاملاً برأيه في التعبد لله. وخرَّج ابن وضاح عن مصعب قال: سئل سفيان عن رجل يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. لا يقرأ غيرها كما يقرؤها، فَكَرِهه، وقال: إنما أنتم متَّبعون؛ فاتبعوا الأولين، ولم يبلغنا عنهم نحو هذا، وإنما أُنْزل القرآن ليُقرأ ولا يُخصُّ شيء دون شيء.

وخرَّج أيضاً عن مالك - رحمه الله - أنه سئل عن قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مراراً في الركعة الواحدة، فَكَرِه ذلك، وقال: هذا من محدثات الأمور التي أحدثوا»[4].

والمقصود أن في هذه المجرَّبات تقييداً لما أطلق الشارع، والتزامَ هيئات وكيفيات لا دليل عليها؛ فأحوال هذه المجرَّبات أنها تتعلق بعبادات ثابتة من جهة أصلها: كتلاوة آيات القرآن أو الدعوات... ونحوها، لكنها مُحْدَثة من جهة صفتها وهيئتها وعددها[5]؛ ولا سيما أن جمهور السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - رضوان الله عليهم - لم يُنقَل عنهم تلك المجربات، ولو وَرَد عنهم ذلك لنُقِل؛ فهذا مما تتوفر الدواعي لنقله؛ فكان هذا الترك الراتب عن جمهور الصحابة سُنةً وسبيلاً للمؤمنين.

وما جاء عن بعض تجارب السلف فهم آحاد، ويُردُّ ذلك إلى الميزان من نصوص الكتاب والسُّنة، وما عليه جمهور السلف الصالح، وخاصة أنهم قد يعوِّلون على ما عاينوه عن علماء جرَّبوا ذلك، والاستدلال بأفعال العلماء من أضعف الاحتجاج، وكان يقال: لا تنظر إلى عمل الفقيه، ولكن سَلْه يَصْدُقك.

وأيضاً فإن هذه المجربات لم تَعُد شيئاً عارضاً، بل أضحت أمراً راتباً، وقواعد مشتهرة ومنتشرة، يتداولها

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر: ١/ ٣٣ - ٣٤.
(٢) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ١٩٦ = باختصار.
(٣) الاعتصام: ١/ ٢٤٩.
(٤) الاعتصام: ٢/ ١٥.
(٥) انظر: قواعد معرفة البدع لمحمد الجيزاني: ص ١١٣ - ١١٩.

طوائف من الناس على أنها مسلَّمات وقطعيات وعبر وسائل الإعلام المتنوعة.

وكثرة المُحْدَثات والتجاوزات توجب المزيد من الحزم والصرامة، كما فعل الفاروق - رضي الله عنه - في إنفاذ وقوع الطلاق بالثلاث جملة، فلَمَّا أكثر الناسُ مما نُهُوا عنه من إيقاع الطلاق بالثلاث جملة، رأى عمر الفاروق أن يعاقبهم بإنفاذ ذلك عليهم.

«ولا ريب أنه إذا كثر المحظور احتاج الناس فيه إلى زجر أكثر مما إذا كان قليلاً»[1].

ويقال أيضاً: يتعذر الجزم بأن هذه المجرَّبات سبب مطرد في حصول المطلوب؛ فقولهم - مثلاً -: من كان عقيماً، فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩] كذا وكذا مرة، يحصل مراده كما جُرِّب؛ ولا سيما أن السبب لا يستقل بنفسه في حصول المطلوب.

فلعل شدة افتقاره ولجأه إلى الله - تعالى - هو سبب الإجابة، وليس لأجل التزام هذه التجربة وعَدَدها، ولَمَّا احتج بعضهم بأثر لا يثبت: من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه[2]، وقال سفيان بن عيينة: جرَّبناه منذ خمسين سنة، فما رأينا إلا خيراً[3].

تعقَّب ذلك ابن تيمية قائلاً: «لا حجة في قول سفيان ابن عيينة؛ فإن الله أنعم عليه برزقه، وليس في إنعام الله بذلك ما يدل على أن سببه كان التوسيع يوم عاشوراء»[4].

وقال في موطن آخر: «ومن هنا يغلط كثير من الناس؛ فإنهم يبلغهم أن بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة، أو دعوا دعاءً، ووجدوا أثر تلك العبادة، وذلك الدعاء، فيجعلون ذلك دليلاً على استحسان تلك العبادة والدعاء، ويجعلون ذلك العمل سُنة، وهذا غلط... خصوصاً إذا كان ذلك العمل إنما كان أثره بصدق قام بقلب فاعله حين الفعل، ثم يفعله الأتباع صورة لا صدقاً»[5].

كما أن حصول المطلوب، وقضاء الحاجات ها هنا لا يقتضي مشروعية هذه المجرَّبات بإطلاق؛ «فإن المشركين يُقضى كثير من حوائجهم بالدعاء عند الأصنام، والأماكن التي يعظمونها؛ فهل يقول مسلم: إن مثل ذلك سوَّغ لهم هذا الفعل المحرَّم بإجماع المسلمين[6]؟

فلو كان المطلوب مباحاً وسائغاً، فإنه قد يفوِّت ما هو آكد وأهم، وقد بيَّن ذلك ابن تيمية بقوله: «ليس لكل سبب أثر يكون مشروعاً، بل الشارع ينهى عن أمور لها تأثير في طلب بعض المطالب، إذا كان ضررها راجحاً على نَفْعها، كما ينهى عن طلب السحر ونحو ذلك؛ وإن كان قد يمكن أن يُقتَل به كافر، ويُطَّلع بذلك على بعض أخبار أعداء الإسلام»[7].

وقال أيضاً: «حصول الغرض ببعض الأمور لا يستلزم إباحته، وإن كان الغرض مباحاً، فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجحة على مصلحته»[8].

والمقصود: أن الإيغال في تلك المجربات، والانشغال بها يفضي إلى أن تكون هي المعيار والميزان، وليس لزوم السُّنة وتحرِّي حال السلف الصالح؛ فعلى الراقي والمسترقي أن يلزم ما عليه جمهور السلف، وأن يقف حيث وقفوا؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل - لو كان فيها - أحرى؛ فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنَّتهم.

**كثرة المُحْدَثات والتجاوزات توجب المزيد من الحزم والصرامة، كما فعل الفاروق - رضي الله عنه - في إنفاذ وقوع الطلاق بالثلاث جملة، ولَمَّا أكثر الناسُ مما نُهُوا عنه من إيقاع الطلاق بالثلاث جملة، رأى عمر الفاروق أن يعاقبهم بإنفاذ ذلك عليهم.**

(١) جامع المسائل لابن تيمية: ١/٣٣٧.
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٦٢٢.
(٣) انظر: لطائف المعارف لابن رجب: ص ٥٢.
(٤) مجموع الفتاوى: ٢٥/٣١٣.
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٦٩٤.
(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٧/١٧٢.
(٧) الرد على البكري، (ت: السهلي): ص ٢٧٤.
(٨) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ص ١٨٤.

جوال

# بالمليون

للإشتراك

ارسل رسالة فارغة

STC الاتصالات السعودية ٨٨٠٠٤

موبايلي mobily ٦٣٦٣٩٣

رسائلنا تحكي أهدافنا

## اجعلها في الآخرة

# زيادة

الاثنين 1431/1/25هـ

## تدعم مشاريعنا 100 ريال

- الدعوة إلى الإسلام
- مكتبة الطفل المسلم الخيرية
- مشروع دلني على الخير

CAREEB

مكتب الدعوة والإرشاد بشرق بريدة

369 58 80 - 0555 154 340

SA80 80000

رقم الآيبان للتحويل من أي بنك

333 000 608010 212

رقم الحساب بمصرف الراجحي